

مئة مقال في سلطان الله

حول الإنجيل والتّوراة والقرآن الكريم

تأليف

العلامة السيّد محمد المؤسّس الشيرازي الشهير

بسلطان الواعظين

صاحب كتابي ليالي بساور والفرقة الناهية

ترجمة

الشيخ فاضل الفرق

دار القاري

مِائَةُ مِيقَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ
حَوْلَ الْإِنْجِيلِ وَالْتَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

مِائَةُ مَقَالٍ فِي سُلْطَانِيَّةِ حَوْلِ الْإِنْجِيلِ وَالتَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تَأَلَّفَ

الْعَلَّامَةُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ الْمُؤَسَّسِيُّ الشِّيرَازِيُّ الشَّهِيرُ
بِسُلْطَانِ الْوَاغِظِيِّ قَدِيسِهِ
صَاحِبِ كِتَابِي لِيَايِي بِيَاوَرِ وَالْفِرْقَةِ النَّاهِيَةِ

تَرْجَمَهُ

الشَّيْخُ فَاضِلُ الْفَرَاقِيِّ

دَارُ الْقَارِيَةِ

كافة الحقوق محفوظة وسجّلة

لِدَارِ الْقَارِيَّةِ

بِירוْت - لِبْنَان

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

لا يحق لأحد طباعة هذا الكتاب في بيروت

دار القاريّة للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٤١٣٢٥٦ / ٠٣ - بيروت - لبنان بريد إلكتروني: DAR_ALKARI@hotmail.com

كلمة الناشر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على محمد خير الأنام، وعلى عترته أعلام الورى، وسادة
التقى، ومصاييح الدجى، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم أجمعين.
وبعد:

فالمسيرة المباركة النيرة لهيئة محمد الأمين الثقافية العالمية ما زالت
تخطو خطوات نشعر أنها محفوفة بعناية إلهية وبركات محمدية علوية مهدوية،
فما من يوم يطل إلا والأقلام الحرة والأفواه الكريمة تكتب المزيد وتفوه بما يعطر
الدنيا بأسرها.

وبحمد الله قد وفقنا إلى الآن لإصدار عدة كتب صالحة في مجالات شتى
وأبواب مختلفة كالعقائد والأخلاق والفقه والتاريخ والسيرة كلها تصب في بحر
محمد وآله الطاهرين.

وها نحن اليوم نقف أمام كتاب بديع، وأخ ثالث لكتابي ليالي بيشاور
والفرقة الناجية اللذين تصدت الهيئة لطبعهما من قبل، وضم هذا الكتاب بين
دفتيه مائة مقالة ناقش فيها المؤلف التوراة والإنجيل والقرآن الكريم وأثبت
تحريفهما سوى القرآن، واحتوى أيضاً على مواضيع علمية جديدة في السيرة
والتاريخ وعلوم القرآن، ولعل لا يوجد بعضها في الكتب المتداولة، فهي بحد ذاتها
تشكل تراثاً قرآنياً يغني ويخدم المكتبة الإسلامية.

وهذا الأثر النفيس سطرته أناملُ أحد علماء الإمامية ومفكرهم ألا وهو
(السيد محمد الموسوي الشيرازي الشهير بسلطان الواعظين رحمته).

حيثُ كان أصلُ الكتاب باللغة الفارسية ولأهميته ولخدمته العظيمة
للمذهب الشريف والدين الحنيف انبرى سماحة الشيخ النبيل (فاضل الفراتي)
(دام ظلّه) وشمّر عن ساعديه مشكوراً لترجمة هذا السفر القيم رغم مشاغله
الكثيرة، وظروفه ونظروف البلد العويصة فله الشكر الجزيل وجزاه الله عن الدين
والمذهب خيرَ جزاء المحسنين.

وفي هذا الخضم الزاخر شقّ هذا الكتاب المبارك، (مائة مقالة سلطانية)
العباب ليصل إلى شاطئ الأمان وليظهر إلى عالم النور بحلته القشبية الزاهية،
ويمثلُ بين يدي القارئ العزيز الذي طالما انتظره بفارغ الصبر.
وأخيراً نلتمسُ العذرَ من القراء الكرام عما صدر منا من غير عمدٍ وسهو
مستغفرين الله تعالى وطالبين منه التوفيق والسداد، وصلى اللهم على محمدٍ وآله
الطاهرين.

نزار الحسن

عن هيئة محمد الأمين الثقافية العالمية

قم المقدسة

١٤ رجب / ١٤٢٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مائة مقالة سلطانية

حول اليهود والنصارى والمسلمين لمعرفة التوراة والإنجيل والقرآن

[مقدّمة المؤلف]

الحمد لله حمداً غير متناهٍ، وشكراً كاملاً لله الذي دلّ على ذاته بقدرته وهيمنته وسلطانه وفتقه الوجود الذي بعد عن بصر العيون وتصور العقول، وعلمّ الإنسان ما لم يكن يعلم، وسلاماً بلا نهاية لأمين وحي الله وخاتم الأنبياء الرحمة المهداة والنعمة والرحمة الملقاة الى الناس، وأمان العذاب والنقمة محمد المصطفى ﷺ، الذي بعثه الله حينما أطبقت الارض بالجهل والتخلف، وحرّفت الكتب السماوية السابقة على أيدي علماء السوء، فأفلت شمس الأنبياء آنذاك، حينها بعث الله تعالى شمس النبوة من جديد (محمد ﷺ) ليشرق بعلمه وفضله وأخلاقه على هذا الخلق المنكوس من الحجاز وبطحاء مكة، وليصدّق من مضى من قبله من الأنبياء ويعمل على إنقاذ الناس من ظلمات الجاهلية بمشعله الخالد (القرآن المجيد) وهو كتاب سماوي أوحى إليه من عند الحق سبحانه وتعالى، الذي وصفه سيد المجاهدين والمعلم الثاني (بعد الرسول الكريم) وباب علم

النبي ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في إحدى خطبه بقوله: (ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحُه وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يدرك قعره ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه، وفرقاناً لا يخدم برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعزاً لا تهزم أنصاره، وحقاً لا تخذل أعوانه فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينايع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام وبنياه وأودية الحق وغيطانه. وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون. جعله الله ريثاً لعطش العلماء وريعاً لقلوب الفقهاء ومحاجاً لطرق الصلحاء، ودواءً ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وهدي لمن ائتم به، وعذراً لمن انتحله. وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاج به، وحاملاً لمن حملة ومطيّة لمن أعمله وآية لمن توسم، وجنة لمن استلام وعِلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى^(١)).

فمن هذا المنطلق يُعد القرآن الكريم هو مصدر الحق والقاضي بالصدق بفضل توضيحات أمير المؤمنين ومولى الكونين باب مدينة علم الرسول ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام.

فيقول العبد الفاني محمد الموسوي سلطان الواعظين الشيرازي^(٢):

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٩٨.

(٢) ابن علي أكبر (أشرف الواعظين) بن قاسم (بحر العلوم) بن حسين بن اسماعيل (المجتهد الواعظ) ابن ابراهيم بن صالح بن أبي علي محمد بن علي (المعروف بالمردان) بن أبي

قد طلب مني جناب الدكتور السيد عبد الكريم الفقيهي الشيرازي^(١) صاحب جريدة عِلْمُ الإسلام (پرچم اسلام) أن أكتب سلسلة من المقالات الدينية والفكرية لينشرها في صحيفته الاسبوعية، وقد اعتذرتُ منه بعدم خوضي في كتابة المقالات واختلاف اسلوبي عن أساليب الصحف والنشريات، ولكنه رجع وأصر عليّ حتى قبلت العرض إلا أنني بقيت فترة من الزمن أفكر ماذا اكتب له؟ ومن أين أبدأ؟ حتى خطر في بالي يوماً بعد أدائي لصلاة الصبح أن أتفاءل بالقرآن المجيد وقرأت دعاء الاستخارة طبقاً لسنة رسول الله ﷺ «اللهم إني تفألْتُ بكتابك وتوكلت عليك فأرني من كتابك ما هو مكتوم من سرِّ المكنون في غيبك» وفتحت الكتاب المجيد فخرجت هذه الآية: ﴿فبشِّرْ عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾^(٢) فوجدتُ إنشراحاً في قلبي وأحسست أن باباً قد فُتح لي تواء، صحيح أن الآية تخاطب رسول الله ﷺ ولكنها من باب إياك أعني واسمعي يا جارة، ففهمت من الآية وأحسستُ أن موضوعي سيكون فيه تحريك لأولي الألباب وطرح المسائل

= القاسم محمد تقي بن (مقبول الدين) حسين بن أبي علي حسن بن محمد بن فتح الله بن اسحاق بن هاشم بن أبي محمد بن ابراهيم بن أبي الفتيان بن عبدالله بن الحسن بن أحمد (أبي الطيب) بن أبي علي حسن بن أبي جعفر محمد الحائري (نزير كرماني) بن ابراهيم الضرير (المعروف بالمجاب) بن أمير محمد العابد بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين بن الامام أبي عبدالله الحسين (سيد الشهداء) بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام / المؤلف رحمه الله.

(١) عُرف في الأوساط الاجتماعية بخدماته مضافاً الى عمله كطبيب والطب أحد العلوم المستحبة كما قيل العلم علماً علم الأبدان وعلم الأديان، وتصدى لإدارة صحيفة علم الاسلام في ١٧ ربيع الثاني ١٣٦٥ هـ / المؤلف.

(٢) الزمر: ١٨.

الدينية بأسلوب عقلي، ولطالما اهتم القرآن الكريم بالجانب العقلي بعبارات مختلفة كما في «أفلا يتفكرون» (أفلا يتدبرون) «أفلا يعقلون» إذاً فهناك عدة قضايا وعدة مواضع والعقل هو ذلك الذي يتبع أحسن تلك القضايا مستعيناً بعقله سواء في أموره الدنيوية أو الأخروية.

والعقلاء يذمّون الذي يتبع آبائه عن عمى ويقلّدهم بلا دليل، لأنّ تقليد الأباء والامهات يعني تنازلاً عن العقل وتمسكاً بالموروث القديم بما فيه من روااسب وعوالق. والعقلاء يمدحون ذلك الإنسان الذي يستمع الى الأقوال والأفكار بكل دقة ودراسة ثم يختار الأفضل والأحسن منها بعد المقايسة والمقابلة بينها، وهذه هي الطريقة القرآنية في الحياة ابتداءً من انتخاب الدين (الأفضل) وانتهاءً بأبسط الأشياء.

يقول الفيلسوف الفرنسي الشهير (ارنست رنان): الدين الأفضل هو ذلك الدين الذي يصدّقه ويوافقه العقل والعلم.

وبما أننا لم نكن في الأزمنة السابقة مع الأنبياء وأصحاب الشرائع وحرّما من التشرف بمحضرهم ونهل فيوضاتهم ولم نَرَ دلائلهم بأعيننا، فعلينا اليوم أن نستفيد من عقولنا لمعرفة الدين الأفضل ونترك التعصب والتقليد الأعمى وطريقة السلف، ونأخذ بزمام العلم والعقل والمنطق والادلة لمعرفة الحق والانتخاب الأفضل والأحسن في عالم المعرفة والأديان، ونرفض كل ألوان الخرافة والأباطيل والموهومات واليوم يطل العالم كله على ثلاثة أديان كبيرة هي الإسلام، واليهودية، والنصرانية. وكل واحد يدعي أنّه أحق وأفضل من الآخر.

وعلىنا نحن كعقلاء أن نقارن وندرس عقائد وأفكار هذه الأديان من خلال كتبها المقدسة، لأنّ كتب وصحف الأنبياء هي أساس الأديان ولدينا اليوم القرآن

وهو الكتاب السماوي الذي نزل على النبي محمد ﷺ وهو أساس الإسلام، والانجيل وهو الكتاب السماوي الذي نزل على عيسى وهو أساس النصرانية، والتوراة نزلت على موسى وهي أساس اليهودية.

وعلينا أن نضع نصوص هذه الكتب الثلاثة تحت المجهر العقلي والأدلة الثابتة، وفكرة المقالات هذه هي عبارة عن دراسة مستفيضة لهذه الكتب الثلاثة والمقارنة بينها وفقاً للنسخ المتداولة اليوم في أيدي أصحاب هذه الديانات، على رغم اعتقادنا أنّ التوراة والإنجيل الموجدان في زماننا هذا قد حرفتا عما نزلتا عليه في زمن عيسى وموسى ﷺ - كما سيتضح ذلك بالأدلة المقنعة - إلا القرآن فإنه بقي مصوناً من التحريف والتلاعب؟

وسوف أثبت هذه المطالب المهمة بلغة بسيطة وواضحة كما قال الشاعر:
لقد ظهرت فلاتخفى على أحدٍ إلا على أكمه لا يبصر القمر
وأما سبب جمع هذه المقالات المائة وتحويلها الى كتاب فهو لأمرين:
الأول: هو امتثالي لما طلبه مني بعض مراجع الدين العظام وبعض أهل العلم والأدب من ذوي الفضل لإثبات الحق ودحض الباطل.

والثاني: إنني قد واعدتهم بالموافقة وكذلك واعدتُ القراء في كتاب ليالي بيشاور بذلك وها أنا ذا أفي بالوعد للجميع.

وسميت هذا الكتاب بـ (مائة مقالة سلطانية) نظراً لعدد المقالات التي كتبتها للصحيفة فأطلب من القراء أن يقرأوا الكتاب بكل إنصاف بعيداً عن الرواسب الفكرية، وأنا العبد الفقير المحتاج الى رحمة ربه الذي يقرّ ويعترف لوالديه بكل هذا الفضل العلمي والعملية وأدعو لهما بالخير.

ثم أنّ امتيازات هذا الكتاب عن غيره من الكتب المصنفة في هذا المجال

هي:

- ١- إنه كتاب مختصر بلا تطويل ممل حول التوحيد والنبوة.
- ٢- أنه كتاب واحد ولكنه جمع الأديان الثلاثة في مناقشات علمية بينما كانت المصنفات السابقة تتناول أحد هذه الأديان فقط وكل هذا من فضل ربي سبحانه وتعالى الذي سهل في إكمال هذه المقالات وإخراجها على شكل كتاب مستقل.

فأدعو أهل العلم لاسيما اليهود والمسيحيين لقراءة هذا الكتاب بلا تعصب وبلا نظرة سلبية، بل أدعوهم لقراءته بإنصاف وعناية ودقة، لأن ما ذُكر في هذا الكتاب لا يمثل عقائدي الشخصية بل هي عقائد المسلمين حول التوحيد والنبوة، ولكن مع ذلك أعترف بالتقصير وأن ما قدّمته هنا قطرة من بحر وذرة من الأرض فأرجو من اخواني قبول عذري سلفاً وأوصيهم بالدعاء لي.

العبد الفاني

سلطان الواعظين الشيرازي

جمادى الثانية ٢ / ١٣٧٧ هـ

المقالة الأولى

قوانين وأحكام الأنبياء

مناهج للبشرية

هناك دلائل كثيرة على إثبات الخالق سبحانه وتعالى (واجب الوجود) العالم المريد الحكيم القادر، ومن جملة هذه الأدلة هو دليل النظام والإنسجام في عالم الطبيعة، فكل مَنْ أَمَعِنَ النظر ودقق في هذه المخلوقات العجيبة يدرك بعقله أَنَّ لهذه الموجودات مبدءاً أفيّاضاً أوجدتها بلطفه وقدرته، ثم ألبسها حُلّة البقاء والترقي والتكامل ضمن قوانين دقيقة جداً وعجيبة للغاية، بحيث سخر بعض الأمور الكونية لبعض الكائنات الحية أو غيرها لتبقى حلقة الموجود متكاملة كما أشار الله في القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ أَنْ فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

فالخالق هو الذي هدى هذه الموجودات على اختلافها إلى طريقها ومسلكها المتناسب معها، ولكل موجود هداية تتلائم معه فهي - الهداية - تختلف في ماهيتها وطبيعتها باختلاف الموجود، لأنَّ مفهوم الهداية مفهوم كلي ينطبق على كثير من المصاديق، فقد تكون الهداية بواسطة الأعضاء والجوارح والمشاعر

(١) لقمان / ٢٠.

(٢) الجاثية / ١٣.

بالمعنى الاعم الذي يشمل مختلف الحيوانات، فإنها تهتدي بجوارحها الى مصالحها وكمالها، اندفاعاً من الغرائز التي أودعها الخالق في فطرتها فتميز العدو من غيره، فمثلاً هروب الفأر من القط، أو الشاة من الذئب حتى لو كان الفأر قد رأى القط لأول مرة في وجوده، لأن القضية ليست تعليمية بل فطرية تماماً، وهكذا بقية الحيوانات تعيش ضمن هذا القانون في إقامتها وهجرتها من أجل البقاء (بحثاً عن الطعام أو عن البيئة الملائمة) بمختلف السبل فالدجاجة تعلم أن رزقها بين أجزاء التراب فتراها دائمة البحث والحفر، وصغير البط منذ صغره يعلم أن رزقه في الطين والماء وما شابه ذلك.. أنها الغرائز التي يُعَبَّر عنها بالهداية.

والعقل عندما يمعن النظر في مثل هذه الأمور يعلم أن وراء هذا النظام ووراء عالم الغرائز والفطرة هناك حكيم عليم يريد أفاض هذه الأمور الشعورية والفطرية في تكوين المخلوقات، كما صرَّح القرآن ﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(١).

وأما الإنسان الذي يختلف عن الحيوان بالعقل فله هداية من نوع آخر بإعتبار أن له جنبه مادية وجنبه روحية وله من الكمالات والقابليات ما ليس موجوداً في غيره ولذلك فَضَّل على المخلوقات كلها، إذ تكمن القوى العظيمة في دواخل هذا الإنسان فهو يملكها بالقوة وإذا شاء بإختياره ونوع سعيه أخرجها من طور القوة الى الفعل حتى يصل الى أوج الترقى والتكامل وأبرز ما أُعطي للإنسان هو العقل والاختيار، وهو بمثابة النور الذي يعين الإنسان في الظلمات بواسطته يدرك ويرى سبيله التكاملي ولكن هذا العقل (كالنور) قد يُحجَّب ويلوَّث ويخمد نوعاً ما فيرسل الله له الرسل تلو الرسل ليُثيروا في الناس دفائن العقول ومنسي

الفطرة، ويعيدوا فاعليه العقل وتوجهه من جديد ولذا جاء في القرآن: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾^(١) فالمراد من النور هو القوة العاقلة في الإنسان التي تحفظه من المهالك كما يحفظ النور الإنسان السالك في ظلمات البراري من الوديان والمهالك، وأما الكتاب فهي السنن والشرائع التي أتى بها الأنبياء عن الله تعالى لإنقاذ الناس من ظلمات الجاهلية والتخلف المقيت ولترسم لهم منهاجاً يؤمن لهم سعادتهم في الدنيا والآخرة.

ومن الخطأ الفادح أن يعتقد البعض أن الأنظمة المدنية والأكاديمية اليوم هي التي تتكفل بسعادة الإنسان باعتبارها تعبّر عن وجهات نظر البرلمان الذي يعبر عن وجهة نظر الناس!

ومن أوضح الأدلة على بطلان ذلك أن هذه القوانين والدساتير تتغير دائماً في كل عام، وكلما مضى عليها زمن اكتشفوا أن القوانين السابقة فاقدة لكثير من الصلاحيات فيتم استبدالها بقوانين أخرى، وهذه أيضاً تُبدّل بعد مضي فترة من الزمن تبعاً للنظام السياسي أو الاقتصادي فمثلاً أطلقت بعض الدول الحرية لتناول بيع وتصنيع المشروبات المسكرة (الخمير) مقابل أخذ الضرائب العالية من أصحاب المعامل والتجار المحليّة فكانت عائدات الدولة سنوياً بالملايين واعتقدوا بنجاح هذا القانون، ولكنهم غفلوا بعد مضي فترة من الزمن أن هذا القانون كلّف الدولة أكثر مما ربحت فلقد كثرت الجريمة في البلاد وأصبح الإخلال بالنظام أمراً عادياً بالنسبة للسكران وكثر الطلاق، وظهرت الأمراض الخطيرة وإلى غير ذلك من سلبيات دلّت على بطلان هذه القوانين.

إذاً فالإنسان يحتاج الى قانون يضمن له سعادته في الدنيا باستمرار لا

مؤقتاً، ويضمن سلامته الروحية والجسمانية ولم يأتِ بمثل هذه القوانين إلا الأنبياء العظام ﷺ.

وأما القوانين السائدة اليوم فهي لا توفر ما يوفره قانون السماء؛ لأنّ ظاهر هذه القوانين جميل ولكنها لا تؤثر على باطن الإنسان ولا تعالج مشاكله الروحية، وبعبارة أخرى أنها لا تصلح الإنسان من الباطن بقدر ما ترتب له الظواهر، مثالها مثل الإنسان المريض بالسرطان الذي يحتاج الى دواء وحلّ جذري لإنقاذ حياته بينما يكتفي بالإعتناء بملابسه ومظهره الخارجي.

وهذا الحل الذي تبحث عنه النفوس الذي له القدرة على التأثير الباطني للنفوس لا يوجد في القوانين السائدة اليوم وأكبر دليل على ذلك ما نشاهده من الفحشاء والاستهتار والدعارة وشيوع ألوان الإنزلاق الروحي والانحراف الأخلاقي والإجتماعي في أمريكا وأوروبا ومع ذلك فقد اسموا هذا الوضع القبيح بـ (التمدّن) فترى الناس يشعرون بالفراغ الروحي والنفسي، ويخافون من القانون أكثر من خوفهم من الله تعالى، ويراقبون القوانين أكثر من مراقبتهم أنفسهم وإصلاح روحياتهم، وبالتالي انتهت روح الديانة واضمحلت من تلك الأوساط. وبعد أن سرت هذه الحالة الى أوساط المسلمين فَقَدَ المسلمون الكثير الكثير من الأخلاق والمعنويات كما فقدتها تلك الشعوب وانتهت الحياة البسيطة والهادئة التي كانوا ينعمون بها لتحل محلها الحياة المعقدة المليئة بالمشاكل الإجتماعية.

والحلّ الوحيد لهذه المشكلة هو تقوية الشعور الديني، وبث الروح الدينية في الأفراد، لأنّ الدين نهج سماوي خالٍ من الخرافات، وفاقد للفراغات فليس فيه فراغ يشعر الإنسان من خلاله بالفراغ النفسي، والروحي الذي يشبّط معنوياته، بل الدين يستوعب كل جوانب الحياة الفردية والإجتماعية وهناك إحساس

فطري في صميم كل إنسان بالحاجة الى الدين، وعليه فلازم علينا تقوية وإشباع هذا النداء الفطري بزرع الدين في النفوس بإعتباره القانون الذي يتكفل بإصلاح الظاهر والباطن والروح والبدن.

والإسلام هو الدين الوحيد الذي له قابلية الإستيعاب والشمول - بعيداً عن التعصب - لجميع وقائع الحياة وبنفس الوقت لا تجد فيه للخرافة والخيال والأوهام أي مجال يُذكر بل الإسلام يحارب الخرافات، والبدع وسائر ألوان التضليل والتحريف ولذلك بقي أساسه (القرآن) بعيداً عن التحريف خلافاً لبقية الأديان التي لم تسلم كتبها من التلاعب - كما سنشير إليه - وبالتالي أفلت ولم تعد قادرة على استيعاب الإنسان روحياً، بخلاف الإسلام الذي (كالشمس) يشرق على النفوس بمعنوياته الرائعة ليزيد من كمالها وتكاملها وليس في الوجود أي قوة طبيعية تقف أمام زحف الإسلام في النفوس، يقول الفيلسوف الروحي المعروف تولستوي في كتابه (أقوال محمد ﷺ): الإسلام ليس دين الاختلاف بل أنه يقوّي روح الاتحاد والاتفاق.

وجاء في كتاب دائرة معارف لاروس^(١): لم يأت في التاريخ فاتح كالإسلام فإنه حرّك البشرية ودعاها الى الاعتدال لكي تصل الى مقاصدها، فالنصارى قالوا بترك الدنيا للوصول الى الحق، واليهود قالوا بضرورة الإهتمام بالدنيا وتقوية الجانب المالي، لأنّه الذي يتكفل بسعادة الإنسان، والإسلام دعى الى الاعتدال بين هذا وذاك فلا رهبانية مطلقة ولا مادية مطلقة، لأنّ الأولى تدعو الى التكاثر والطمع والخور والضمور القابليات، والثانية تجعل الإنسان وحشاً كاسراً، بل

(١) بتصرف.

كما قال الله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً﴾^(١) أي إن فرص الحياة متوفرة ولكن ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾^(٢) و﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾^(٣) لأنه ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾^(٤) فلا داعي للتكالب على الدنيا، بل ورد في الأحاديث الإسلامية: (تفكر ساعة خير من عبادة سنة)^(٥). فالإسلام يؤمن ويدعو الى الاعتدال في كل شيء فالتهور ليس شجاعة وكذا الجبن، لأنهما إفراط وتفريط في الشجاعة، وكذلك بالنسبة لطلب الدنيا فلا بد من الاعتدال، فالكسل والخمول والاستجداء مرفوض في الإسلام، كما أن التكالب على الدنيا مرفوض، فلا بد من التوازن والاعتدال لكي لا تتولد الطبقية في المجتمع، والإسلام دين يدعو الى الاعتدال على سبيل الحقيقة وليس أمره على ما هو عليه الفاتيكان فا(البابا) يدعو الناس (النصارى) الى ترك الدنيا والاهتمام بالآخرة بينما تجد أن بناية الفاتيكان مكوّنة من مئات الغرف الكبيرة والمؤثثة بأحدث الأثاث، ولـ (البابا) كرسي خاص مطلي بالذهب وكذا بقية التحف والأثاث، وكراسي الرهبان خاصة تعادل الملايين من الأموال، لأنها مطلية بالذهب ومرصعة بالجواهر، وللـ فاتيكان رجال حماية لا يسمحون لأي إنسان بالدخول على (البابا)، فأين تلك الدعوات من هذا الواقع الذي يختلف عنها ١٨٠ درجة؟!

وبخلافه تجد الأمر عند مراجع التقليد في الإسلام حيث البساطة في الدور

(١) البقرة / ٢٩.

(٢) البقرة / ١٨٥.

(٣) البقرة / ٢٨٦.

(٤) النجم / ٢٩.

(٥) جامع السعادات للنراقي المتوفى ١٢٠٩، ج ١، ص ١٦٦، ط النجف ١٩٦٣ م.

السكنية، والأثاث البالي والتواضع وفتح الباب على مصراعيه للداخل والخارج فلا يوجد أي حاجز بين الناس والقيادة الدينية، وكل مَنْ زار مراجع التقليد يرى آثار الزهد والحياة البسيطة جداً بلا تكلف وبعيداً عن زخارف الدنيا ومباهجها فليس للتناقض وجود بين دعواتهم الروحية والتربوية، وبين سلوكهم وحياتهم الشخصية. تأسيساً برسول الله محمد ﷺ فقد عاش القيادة كأحد المسلمين بلا أدنى مائز، وذاق طعم الجوع والفقر، وعمل بيديه في بناء المسجد للمسلمين، وكان يأمرهم بالاعتكاف وهو معهم، ويخوض غمار الحرب معهم بل في طليعتهم وكان يأمرهم بادئ المسؤولية فكل مسلم مسؤول وعليه أن يؤدي وظيفته وكان ﷺ يعمل على المحافظة على الحياة الاجتماعية العامة ويقدمها على الحياة الشخصية، وبعبارة ثانية المصالح العامة حاکمة على الأنا، وهذا سر انتصار الإسلام وتقدمه بسرعة فائقة، لأنّ التضحيات كانت مفردة من مفردات حياة المسلمين، وروح التعاون خلق سائد فيما بينهم، ومع قلّة المسلمين بالنسبة لغيرهم من الأديان إلا أنّهم استطاعوا بفاعلية وروحية عالية من رفع راية الإسلام في أكثر من بقعة في العالم.

واليوم أضحي المسلمون كُسالى خاملين بعد أن فقدوا تلك الروحية والفاعلية والهمة العالية بإختيارهم، فنرى المسلمين اليوم مع كثرتهم الهائلة إلا أنّهم عاجزون عن تحقيق ذلك التقدم الذي حققه الأوائل، لأنهم تنازلوا عن الإسلام كدستور وقانون ونهج للحياة، وتمسكوا به كطقوس دينية فقط وبالتالي يطلبون المجد والعظمة فلا ينالون شيئاً، حتى صار الإستقلال حلماً يراود الجميع، مع أنّ ذلك كلّهُ موجود في ظلال العدالة الاجتماعية وتقديم المصلحة العامة وتجسيد السلوك المعتدل في كل شيء بعيداً عن الإفراط والتفريط، وبالجملّة فنحن بحاجة للعودة الى الدين والعمل به.

المقالة الثانية

بما أن الإنسان موجودٌ عاقل فعليه انتخاب أفضل الأديان

قال الحكيم في القرآن المجيد: ﴿فبشّر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾^(١).

العقل هو أكبر نعمة إلهية وهبها الخالق للإنسان وبه ميّزه عن بقية الحيوانات البهيمية وشرّفه بالمقامات العلية، إذ من خلاله يستطيع الإنسان أن يرتقي سلّم الكمال ويعرج بروحه الى مرعاة العز والظفر، كما يقول مولى الموحدين الإمام علي عليه السلام: (أصل الإنسان لبّه، وعقله ودينه، ومروته حيث يجعل لنفسه)^(٢) فاصل الصفات الحسنة التي تنبعث من الإنسان كالمروءة مثلاً هو العقل كما قالوا: العقول أئمة الأفكار والأفكار أئمة القلوب والقلوب أئمة الحواس والحواس الأعضاء، إذاً فظهور الصفات الحسنة دليل على وجود العقلانية عند الإنسان وكلما ازداد الإنسان حُسنًا في سلوكه وأفعاله كلما دلّ ذلك على تكامل عقله ونضوجه ورشده؛ لأنّ القوة العاقلة هي التي تحرّك وتهذب القوة الفاعلة، ومن هنا كان العقل نوراً يستضاء به كما وصفه القرآن: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾^(٣) فالنور في الآية الكريمة هو العقل، وقد عبّر عنه بالنور للطافته وظرافته، وقوله: «من الله» يوحي لنا أن العقل هبة إلهية عظيمة لا تقل عن عظمة «الكتاب» المبين ولما كان قصدي في هذه المقالات هو الاختصار فلذا أعرضتُ عن تعريف العقل

(١) الزمر / ١٨.

(٢) مشكاة الأنوار لأبي الفضل الطبرسي من أعلام القرن السابع الهجري، ص ٢٥٥، الباب السادس، الفصل الثاني، ط بيروت الأعلمي ١٩٩١.

(٣) المائدة / ١٥.

وكذا البحث عن ماهيته ومعناه اللغوي وما شابه ذلك، لكي لا تكون المقدمة أطول من ذي المقدمة كما هو الحال في مقدمة ابن خلدون!

ولكن المهم هو البحث عن آثار وعلائم العقل وكيف يمكن معرفة العقلاء، أما عن علاماته فهي كثيرة جداً وسأكتفي بالإشارة إلى العلامات الظاهرة لأنني في صدر الكلام مع كل الناس لا خصوص أهل العلم والتحقيق ولذا سوف لن أخوض في العلامات العلمية التحقيقية لكي لا يلزم نقض الغرض.

أما العلامات: قلتُ في المقالة السابقة أن البشر بأمس الحاجة إلى الدين باعتباره - بما يحمل من معنويات وقوانين - حافظاً للإنسان من المزالق والضلالات، كما أن الحواس الظاهرية والباطنية للإنسان تحفظه من المهالك والأمراض فهو بحاجة إلى عينه واذنه ورأته وقلبه... ليبقى حياً سليماً في الظاهر، كذلك هو بحاجة إلى الدين الذي يحفظه روحياً وعقائدياً وفكرياً. وعليه فلا بد للإنسان من دين مقدس يستوعب كل مرافق حياته ويجيبه عن أسئلته كلها وعليه - الإنسان - أن يستعمل عقله هنا ويستفاد من هذه النعمة العظيمة القادرة على التمييز بين الصالح والطالح، وانتخاب الدين في هذه الحياة من أهم الأمور باعتباره المأمّن للإنسان. فاللازم عليه أن يرى دعوات الأديان ويدرس أصولها الاعتقادية ثم يرجّح الدين الذي يكون موافقاً للعقل السليم، والأديان في عصرنا الحاضر ثلاثة: الإسلام والنصرانية واليهودية فعلى كل من آمن بالحق ووثق بنفسه متكللاً على قوته العقلية أن يقارن بين هذه الأديان الثلاثة ثم ينتخب الأفضل والأحسن وفق الموازين العقلية، بعيداً عن الرواسب الجاهلية والتعصبات الإنحيازية، والمتابعة السلفية العمياء للامهات والآباء، لأننا لم نعاصر ولا نبي من هؤلاء الأنبياء الثلاثة (محمد ﷺ وموسى وعيسى)، وطريقة الدراسة والمقارنة هي الرجوع إلى كتب هذه الأديان والموجودة في أيدينا فعلاً.

المقالة الثالثة

في ولادة موسى ﷺ ونبوته وإنقلاب بني إسرائيل وخراب بيت المقدس وذهاب التوراة

في هذه المقالة نبدأ بدراسة حول التوراة القديمة، وقبل كل شيء علينا أن نعرف هل أن هذه التوراة الموجودة اليوم بيد اليهود هي نفس التوراة التي أنزلت على النبي موسى ﷺ أم لا؟ فإذا كانت هي نفسها شرعنا بدراسة مضامينها وإلا فلا. قبل ٣٨٠٠ عام (أي قبل ١٨٢٧ عام من ولادة المسيح ﷺ، و ٢٤٦٥ عام من هجرة النبي محمد ﷺ) ولد النبي موسى ﷺ بمصر في عهد فرعون (الوليد بن مصعب) الذي ادعى الربوبية لنفسه، وفي عهد الملك الضحاك، الذي حكم إيران بكل قوة آنذاك وعاش وترعرع موسى ﷺ طيلة ٣٣ عام في قصر فرعون الطاغية، الى أن قتل ذلك القبطي فهاجر الى مدين وبقي فيها عشرة سنين يعمل أجيراً عند نبي الله شعيب ﷺ، فلما صار عمره ٤٣ عاماً وسبعة أيام ألهم وأعطى النبوة في الوادي المقدس، ثم عاد الى مصر وهاجر منها ثانية حتى بلغ ١٢٦ عاماً من العمر فتوفي بعد أن أوصى إلى وصيه وخليفته في أمته يوشع بن نون، والتحق بربه في ٢١ من شهر رمضان المبارك.

وخلال فترة نبوته التي امتدت ٨٣ عاماً قدام موسى ﷺ خدمات عظيمة للمجتمع الإسرائيلي بشكل خاص فقد أنقذهم من عذاب واسترقاق فرعون وأنجاهم من بؤس الحياة الجاهلية الإستبدادية، وهداهم من الضلال والكفر والشرك حتى جعلهم أمة مؤمنة توحد الله سبحانه وتعالى، وقد ترك لهم تراثاً مقدساً عظيماً مهيباً فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ألا وهي التوراة والألواح

في ولادة موسى ﷺ ونبوته وإنقلاب بني إسرائيل و... ٢٣

المقدسة التي نزلت عليه من عالم الغيب والملكوت بعد أربعين يوماً من الرياضة الروحية، ولما نزلت عليه أمره الله تعالى أن يحفظها في صندوق (العهد) ويخرجها لبني إسرائيل كل سبع سنوات مرة واحدة يقرأ منها عليهم في يوم العيد بيت المقدس، ثم جعل هذا الصندوق في بيت المقدس ليحفظه من أيدي الأعداء^(١). ولكن للأسف فإن هذه التوراة الأصلية مع شدة المحافظة عليها والتوصية بها إلا أنها لم تسلم من عبث المغرضين، فقد سُرقَت وحُرِّفَت فالتوراة الموجودة اليوم بيد اليهود هي غير تلك التوراة التي كانت على عهد موسى ﷺ حتى أن اليهود لا ينكرون ذلك بل يصرّحون به في كتبهم فالألواح والأسفار الخمسة التي نزلت على موسى غير موجودة اليوم، ولا يوجد أي اتصال سندي بين هذه التوراة وبين نبي الله موسى ﷺ، ولكن لا يمكن القطع والجزم بالزمان الذي فُقدت به التوراة الأصلية من صندوق العهد إلا أن القدر المتيقن به أنها لم تكن موجودة قبل نبي الله سليمان ﷺ كما ذكر ذلك في الآية التاسعة من الباب الثامن من سفر الملوك حيث جاء فيه:

إنّ سليمان ﷺ حينما فتح صندوق العهد لم يجد فيه سوى لوحين من الصخر^(٢) فيهما الأحكام العشرة فقط.

وذكر اليهود (كما سنشير إليه لاحقاً في المقالات الآتية) أنه بعد إرتداد نبي الله سليمان ﷺ؟! (والعياذ بالله) حدث إنقلاب عظيم في بني إسرائيل وبقي حتى وفاة سليمان ﷺ فافترق أسباط بني إسرائيل الى فرقتين؛ الفرقة الأولى عشرة أسباط بقيادة (بوريعام) أطلق عليهم بـ (المملكة الإسرائيلية) والفرقة الثانية كانوا

(١) العهد القديم، تشنية ٣١ الاصحاح ٣١ الآية ٩ - ١١، ط دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، الطبعة الحديثة.

(٢) المصدر نفسه سفر الملوك ٨ الآية ٩.

عبارة عن سبطين بقيادة (رجعام بن سليمان) وأُطلق عليهم (يهودا) واستمر وجود هاتين الفرقتين ٢٥٠ عاماً وكلهم انحرفوا عن خط التوحيد وعبدوا الأصنام، واشركوا بالله فلم تكن التوراة الأصلية عند هؤلاء أبداً حتى سلط الله عليهم (الاشوريين) فقتلوهم ومزقوهم وطاردوهم حتى تفرقوا في الممالك المختلفة. وصحيح أن فرقة (يهودا) كان يحكمهم بعض المؤمنين أحياناً ولكن غلبة غير المؤمنين كانت أكثر وأطول وهؤلاء لا علاقة لهم بالتوراة أبداً، وحتى لو قيل بوجودها آنذاك فإنها فقدت على أثر الحروب والحوادث فقد تعرض بيت المقدس (بعد وفاة موسى ﷺ) لغارات عسكرية من قبل سلاطين الجور حتى خرب بيت المقدس ونهب ما فيه وهنا أشير لبعض هذه الغارات الكبيرة بشكل مختصر:

- ١- منها حادثة السبي البابلي لليهود فقد هاجم ملك بابل «بعد وفاة موسى بـ (١٥٠٢) عاماً) واحتل فلسطين والشامات، وقتل مقتلة عظيمة من بني إسرائيل وهدأ أركانهم وسباهم واحتل بيت المقدس وأحرق ما فيه من الكتب والنسخ.
- ٢- وبعد أن مضى على هذه الحادثة ١٧ عاماً جاء بخت نصر الى السلطة وصار ملكاً لبابل، فلما استقرت به الامور نظم هجوماً عسكرياً قوياً على بلاد الشام فاستطاع أن يحتل سوريا وفلسطين فهدم بيت المقدس وأحرق جميع المنازل، ثم مضى الى المسجد الأقصى الذي بناه نبي الله سليمان ﷺ طيلة عشرين عاماً، فاحرقه وأمر بهدمه حتى ساواه مع الأرض، وأحرق كل ما بقي من نسخ التوراة، فبقي بيت المقدس خالياً من السكان طيلة (٧٠) عاماً، سوى بعض المزارعين الذين يعملون تحت نظر ومراقبة الحراس البابليين^(١).

(١) يقول (جانمل فر) في كتابه الكاثوليك ص ١١٥ المطبوع عام ١٨٤٣ هـ: اتفق أهل العلم على

الى أن جاء ملوك بلاد فارس واحتلوا بابل فأمر الملك كورش ملك إيران ببناء بيت المقدس فعاد إليها مَنْ تبقى من بني إسرائيل الذين فرّوا في البلدان فاجتمعوا من جديد وسكنوا عند بيت المقدس وكان عددهم (٤٢٣٠٠) شخصاً وقد استغرق بناء بيت المقدس ستة سنوات وقد عقد احتفالاً كبيراً عند الانتهاء من العمل به، ولكن لم يبقَ من الشريعة الموسوية أي شيء فعمل الناس بأقوال شيوخهم الطاعنين في السن ولهذا السبب حصل الاختلاف في بني إسرائيل الى أن جاء الملك (خشايار) فأمر (عزراي) أن يكتب ما كان يحفظه من التوراة ويجعله كتاباً عاماً لبني إسرائيل يدرّسهم إياه فكان كما أمر، وهذه الحوادث كلها قد ذكرت في ملحقات التوراة ضمن الباب ٢ و ٧ و ٨ من كتاب عزراء النبي. وبهذا يُعلم أن جميع نسخ التوراة الأصلية وحتى التي كُتبت فيما بعد قد احترقت وتلفت وضاعت ضمن الحملات العسكرية والهمجية والسياسية، ومن أشدّ هذه الحروب عنفاً هي:

١- وقعة (أنيتوكس) ملك الشام الذي احتل أورشليم بعد استشهاد نبي الله يحيى ﷺ بـ (١٥٩) عاماً ففتح بيت المقدس وجمع نسخ التوراة كلّها وحرّقها ثم نادى مناديه في البلاد: إنَّ كلَّ مَنْ وُجد عنده نسخة من التوراة، وكلَّ مَنْ عمل بوظيفته الشرعية وفق الدين الموسوي فجزاءه القتل، ولهذا السبب لم تبقى أي نسخة للتوراة حتى التي كتبها عزراي^(١).

٢- واقعة طيطوس - ملك الروم - التي حدثت قبل الواقعة الأولى أي بعد استشهاد النبي يحيى ﷺ بـ (٩٠) عاماً حيثُ خاض هذا الملك حرباً عظيمة ضد

= أن نسخ التوراة الأصلية وسائر كتب العهد القديم كلها وقعت بيد بخت نصر وضاعت / المؤلف.

(١) ذكر (جانمل نر) حتى المنقولات الصحيحة التي دونها عزراي وسائر كتب العهد القديمة ضاعت في واقعة (أنيتوكس).

بني إسرائيل حتى استطاع أن يفتح بيت المقدس، وأمر بقتل بني إسرائيل على التل الذي أريق عليه دم نبي الله يحيى عليه السلام، سبعين ألفاً من بني إسرائيل، وقتل ألف ألف (مليون) ومائة ألف في نفس بيت المقدس ونواحيه، وقد هلك بعضهم بالجوع أو العطش وبعضهم حرقاً بالنار وبعضهم بالتيه وآخرون بالسيف، وأسر منهم (٩٠/٠٠٠) ألفاً وباعهم في الأقاليم المختلفة^(١).

وفي هذه الحادثة خُرب بيت المقدس مرة أخرى بعد بنائه من قبل (داريوش) ملك إيران، وفقدت منه جميع الكتب المقدسة وتمَّ إحراق الباقي، وهرب بعض الناجين من بني إسرائيل والتحقوا ببلاد الاندلس والمغرب العربي ومنذ ذلك الحين انقرضت دولتهم.

إذاً من هذه الحوادث نعرف أنَّه لم يبقَ للتوراة الأصلية أي وجود، فضلاً عن بقية نسخ التوراة المكتوبة، وهذه الحروب التي رافقها الدمار الشامل أحد الأدلة على بطلان التوراة المتداولة اليوم، فإنَّها بلا شك ليست التوراة الأصلية بل هي من نسج وتأليف الأحرار والبرهبان وهذا ما سنأتي إليه إن شاء الله بالأدلة المتظافرة حول هذا الموضوع.

(١) ذكر هذه الحوادث المؤرخ (بوسي فس) وكلُّ مَنْ أرخ هذه الحقبة.

المقالة الرابعة

إبطال التوراة الحالية بأدلتها

إنَّ الغرض الرئيسي من إرسال الرسل هو هداية الناس - الذين تلوّثوا بالماديّات - الى التوحيد وعبادة الله تعالى عن طريق المعرفة وتحريك العقول فعندما تتكامل المعرفة عند الإنسان تُفتح له أبواب السعادة، والمراد من المعرفة هي معرفة الله سبحانه عن طريق الآثار والصفات، لأنَّ معرفة الذات الإلهية أمر محال حتى بالنسبة للأنبياء العظام، ووجه الإستحالة أنَّ المُحاط لا يحيط بالمحيط به، فالخالق تبارك وتعالى هو المحيط بالإنسان علماً ومعه لا يمكن للإنسان (المحاط به) أن يحيط علماً بالخالق، وكل صورة ذهنية يتصور الإنسان أنَّها الخالق سبحانه فهو تصور خاطيء ولذا ورد: (كلما ميزتموه بأوهامكم فهو مخلوق لكم ومردود إليكم^(١)) وورد أيضاً: (تكلّموا في خلق الله تعالى ولا تكلموا في الله فإنَّ الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلاّ تحيراً^(٢)).

وأما المراد من معرفة الله تعالى بالآثار والصفات «كما دعى إليها القرآن» فهو التفكير في مخلوقاته العلوية والسفلية، بل التفكير في نفس خلقه الإنسان الذي هو أشرفها وأكبرها، فصدر هذه المخلوقات العجيبة يدل على وجود الخالق العظيم العليم القدير، إذ العقل يمنع أن تصدر هذه الموجودات من غير العليم القدير، وهكذا التأمل في النظام الطبيعي وموجوداته فأثّر يقود الإنسان للإقرار

(١) حق اليقين للسيد عبدالله شبر: ج ١ ص ٧١.

(٢) حق اليقين للسيد عبدالله شبر المتوفى (١٢٤٢): ص ١ ص ٧٠، ط، قم، أنوار الهدى.

والاعتراف بوجود قوة غيبية تتصف بالعلم والحياة والقدرة والحكمة هي وراء هذا النظام، بل من أوضح الأدلة على إثبات الصفات الإلهية هو وجود نسبة من هذه الصفات (بالقياس مع الفارق) في نفس الإنسان كالحياة والعلم والإدراك والإرادة، والعقل يرى أن وجود هذه الصفات لا يأتي إلا من جهة تستجمع هذه الصفات (ولكن بنحو آخر) لأن فاقده الشيء لا يعطيه.

ثم إن صفاته تعالى غير صفاتنا، لأننا لانفهم من صفة (الحياة) بالنسبة إليه تبارك وتعالى إلا أنه لا يموت ولا يطرأ عليه العدم، ونفهم من صفة (العلم) أنه ليس بجاهل ولا يطرأ عليه الجهل، ونفهم من (القدرة) أنه ليس بعاجز وإلى آخر صفاته سبحانه وتعالى، وهذا اعتقاد المسلمين حتى أنه من اعتقد ودان بغير ذلك - قولاً أو اعتقاداً أو كتابةً - فقد خرج عن ربة التوحيد.

وبعد هذه المقدمة نقول: إن أحد أدلة بطلان التوراة الحاضرة وأنها غير التوراة الأصلية (وكذا الانجيل) وجود عقائد فاسدة فيهما حول التوحيد، منها ذكرهما أن الله تعالى عاجز وجسم وجاهل!! خلافاً للدالة العقلية القائلة بضرورة إتصافه سبحانه بالقدرة، والعلم، والإرادة، ونزاهته عن الجسمية وسوف استعرض بعض الأفكار الوهمية والخرافية التي وردت في التوراة من باب المثال:

- ١- في الآية (٦) من الباب (٦) من سفر (التكوين) في أسفار العهد القديم (التوراة) جاء فيها: فحزن الربُّ أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه^(١).
- ٢- وفي الآية (٣٤) من الباب (١٥) أول كتاب صموئيل من أسفار العهد القديم جاء: إن الله ندم على جعله شاوول ملكاً على بني إسرائيل^(٢).

(١) ص ١٠ - ١١ ط دار الكتاب المقدس.

(٢) ص ٤٥٢ ط دار الكتاب المقدس.

٣- وفي الآية (١٦) من الباب (٢٤) من الكتاب الثاني لصموئيل من أسفار العهد القديم جاء: **إِنَّ اللَّهَ نَدَمَ حِينَما أَنْزَلَ الْبَلَاءَ عَلَى اورشليم بيد الملائكة** ^(١).
فهذه بعض الأباطيل حول إبطالهم الصفات الثبوتية لله تعالى وهو العالم بكل جزء من اجزاء هذا الوجود والقادر عليه.
وأما الآيات الدالة صريحاً على جسمية الخالق في التوراة فأني أذكر بعضاً منها:

١- الآية الأولى من الباب ١٨ من سفر (التكوين) في أسفار العهد العتيق جاء فيه: **إِنَّ اللَّهَ تعالى حينما أراد إهلاك قوم لوط مرَّ بابراهيم وهذا نص التوراة:**
وظهر له الرَّبُّ عند بلوطات ممراً وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد الى الأرض، وقال... ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون ^(٢).

٢- وفي الآية ٢٤ من الباب ٣٢ من سفر التكوين:
إِنَّ اللَّهَ بات ليلة عند نبيه يعقوب «فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ولما رأى أَنَّهُ لا يقدر عليه ضرب حق فخذَه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعه معه وقال: اطلقني، لأنَّه قد طلع الفجر فقال: لا أطلقك إن لم تباركن فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنَّك جاهدت مع الله والناس وقدرت ^(٣).

٣- وفي الآية ٩ من الباب ٢٢ (صموئيل الثاني) من العهد القديم جاء فيه

(١) ص ٥٢٦ طبع دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

(٢) ص ٢٥ المصدر السابق.

(٣) ص ٥٤ المصدر السابق.

«إِنَّ اللَّهَ غَضِبَ فَصَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ جَمْرًا... وَنَزَلَ - الرَّبُّ - وَضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ رَكَبَ عَلَى كُرُوبٍ وَطَارَ رُؤْيَى عَلَى أَجْنَحَةِ الرِّيحِ...»^(١).

وعلى غرار هذه الخرافات توجد العشرات بين طيات الأسفار الخمسة من التوراة مما يدل على بطلانها للأسباب التالية:

١- ما جاء في نفس التوراة من إمتناع رؤية الله تعالى وذلك حينما طلب قوم موسى رؤية الرب، فقال تعالى لموسى: «وَقَالَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُرَآهُ وَيَعِيشُ»^(٢) فكيف تنص التوراة في بعض المواقع على رؤية الأنبياء لله تعالى رؤية بصرية عينية؛ ومرة ثانية تنص على امتناع رؤيته؟ فهل هذا إلا تناقض صريح وتخبط واضح؟

٢- وقلنا سابقاً إنَّ الله تعالى ليس بجسم بينما تؤكد نصوص التوراة على جسميته وهو أمر مخالف للعقل، لأنَّه تعالى ليس مركباً ولا جوهرأ ولا عرضاً، إذ لو كان واحداً من هذه الأمور تنطبق عليه لصار محدوداً بالأبعاد الثلاثة الطول، والعرض، والعمق مع أنَّ ذلك باطل بالبداهة لعدم تناهي الرَّبِّ سبحانه وتعالى، وأيضاً نقول: لو كان مركباً لاحتاجت أجزائه بعضها الى البعض الآخر والاحتياج من صفات المخلوقين، وأيضاً أنَّ لكل مركب مركب لاجزائه والمولى سبحانه وتعالى مركب لا مركب.

ولو قلنا بجسمية الرَّبِّ سبحانه وتعالى - جدلاً - لأصبح ذات الواجب محلاً لوقوع الحوادث من قبيل النقل، والانتقال، والآلام، والأمراض والهموم، والغموم، والشرب، والأكل، والنوم... وكل ذلك باطل بالعقل، مرفوض بالبداهة عن الرَّبِّ

(١) ص ٥٢٢ المصدر السابق.

(٢) سفر الخروج ٣٣ الآية ٢٠ ص ١٤٣ المصدر السابق.

سبحانه، بل هو مبرءٌ من هذه النواقص، والعيوب، ولو قلنا: أنه يُرى ولكنه ليس بجسم^(١) فهو ضرب من الجدل والمغالطات، لأنَّ العين المجردة عجزت عن رؤية بعض الأجسام اللطيفة كالأرواح فكيف بها تقدر على رؤية الله سبحانه الذي خلق هذه الأرواح.

وأخيراً علينا أن ننزّه ساحة الأنبياء العظام عن مثل هذه الخرافات، بل عملوا على تنزيه الله تعالى ولم يدع أي أحد منهم رؤيته - سبحانه - ومن العجب أن ننسب ذلك إليهم والاعجب أن ننسب ذلك إلى الله نفسه، ومنه يعرف العقلاء أنَّ هذه التوراة الموجودة اليوم هي ليست تلك التوراة الأصلية التي نزلت من عالم الغيب على موسى بن عمران عليه السلام لهداية البشر إلى علم التوحيد الخالص بل هذه التوراة المتداولة اليوم عبارة عن كتاب محرّف تناولته الأيدي المغرضة ودسّت فيه الخرافات، والأباطيل كما أشرتُ إلى بعضها ولما سيأتي لاحقاً.

(١) هذا مذهب بعض الأشاعرة من أهل السنة إذ قالوا بإمكان رؤيته سبحانه مع أنه ليس بجسم راجع الباب الحادي عشر للعلامة الحلي رحمته الله بحث الرؤية وقد أبطله المصنف والشارح بالأدلة.

المقالة الخامسة

إبطال إتهامات التوراة للأنبياء وتنزيه ساحتهم عن الفواحش والمعاصي

لقد تقدم البحث عن وجوب بعثة الأنبياء بالدلائل العقلية، والبراهين الضرورية المتقدمة وعرفت أن مدّعي النبوة يجب أن تتوفر فيه شرائط خاصة من خلالها تثبت له النبوة وإلا فلا، وأهم هذه الشروط العصمة، وهي ملكة إلهية راسخة تمنعه من التفكير في ارتكاب المعاصي، بل تعقل جميع القوى العصبية والشهوية وغيرهما بعقل العقل فلا يجري في تصوره الانحراف حتى يُجبل على ذلك لتكون العصمة طبيعته العادية، بلا تكلف ولا إجبار، وقد أجمع علماء الإمامية الأثني عشرية وكذا أكثر المسلمين على وجوب عصمة الأنبياء من المعاصي - الكبائر والصغائر - عمداً أو سهواً أو نسياناً.

لأن الغرض من بعثة الأنبياء هو هداية وتربية الناس، ولا يحصل ذلك - أي إنقياد الناس لهم - فيما إذا صدرت منهم المعاصي إذ لا يتم التصديق والإطمئنان بهم ﷺ وبالتالي لا ينقادون إليهم وهو نقض للغرض الإلهي.

ثم لو تنزلنا وقلنا بعدم عصمة الأنبياء للزم المحال، إذ في حال معصيتهم يجب زجرهم ونهيهم من جهة مع وجوب طاعتهم والإمتثال لأوامرهم من جهة ثانية وهو جمع بين النقيضين.

ويمكن الاستدلال أيضاً على عصمة الأنبياء بأن يُقال: إن العاصي ظالم

لنفسه وكل ظالم ملعون بصريح قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١) ولا يمكن لأحد أن يزعم أن الأنبياء ملعونون، بل صرح القرآن الكريم بأن مقام النبوة لا يناله الظالمون قال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢) وهو عهد النبوة، أو الولاية فثبت القول بوجوب عصمة الأنبياء، وقد صرحت التوراة والإنجيل بعصمة الأنبياء أيضاً ولكن نالته أيدي حزب الشيطان فحرّفت نصوصه، وتلاعبت بآياته وطعنوا بالأنبياء العظام، وشوهوا صورتهم ولكنهم لن يفلحوا مع قيام الدليل العقلي على عصمة الأنبياء: ﴿أَلَا أَنْ حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمَفْلُحُونَ﴾^(٣) ﴿أَلَا أَنْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٤) وبلاستعانة بالدلائل العقلية يمكن إبطال كل كتاب ينسب المعصية إلى الأنبياء لاسيما إذا ادعى أن هذا الكتاب من الله تعالى، لأنه سبحانه حكيم لا يمكن أن يفعل هذا الأمر القبيح ويصلح هذا كدليل على إبطال التوراة، والإنجيل الحالية على أنهما قد حُرِّفاً وبدلاً وأنهما ليسا كتابين سماويين، بل تناولته أيدي الإنحراف وملئته بالأباطيل كاللعب، واللهو، وشرب الخمر، والزنا وعبادة الأوثان ونسبوا كل ذلك للأنبياء العظام والحال أنهم يتورعون من نسبة هذه المهاترات والمخازي إلى رهبانهم وقسيسهم، بل نراهم يدعون الشرف لعلمائهم الدينيين.

وإن تعجب فعجب تراهم في المحافل والمعابد ينزهون رهبانهم عن حب الدنيا وبقية المثالب، والمخازي وأكثر من ذلك، ولا يستحون في نسبة كل ذلك إلى الأنبياء العظام بكل وقاحة وجرأة، حتى يندى لها الجبين.

(١) هود / ١٨.

(٢) البقرة / ١٢٤.

(٣) المجادلة / ٢٢.

(٤) المجادلة / ١٩.

ويؤسفني كثيراً أن أورد بعض مقاطع التوراة والإنجيل المحرقتين كشواهد ودلائل، ولكن ماعساي أن أفعل وأنا في صدد إبطالهما وتأبيداً لما قلته في نسبتهم بعض الأباطيل الى الأنبياء أنقل لكم بعض مقاطع ونصوص كتبهم:

١- الآية ٣٠ الى ٣٨ من باب ١٩ من سفر التكوين حول قصة النبي لوط عليه السلام

جاء في التوراة: وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسقي أبانا خمرًا ونضطجع معه، فنحیی من أبنائنا نسلًا، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إنني قد اضطجعتُ البارحة مع أبي نسقيه خمرًا الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه فنحیی من أبنائنا نسلًا، فسقتا أباهما خمرًا في الليلة أيضاً وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابناً ودعت اسمه (موآب) وهو أبو الموءابيين الى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه (بن عمي) وهو أبو بني عمون الى اليوم^(١).

ثم يزعمون أن بعض أنبياء الله العظام من قبيل موسى، وعيسى، وداود وغيرهم من هذه القبائل والطوائف.

ولو أردنا قبول هذا النص - جدلاً - فإننا سنضطدم بنص آخر يعارض ويناقض هذا وهو قول الرب: لا يدخل مخصي بالرضا، أو محبوب في جماعة الرب لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في

جماعة الرب لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب...»^(١).

فالتنتيجة التي نحصل عليها أن موسى، وعيسى، وداود وغيرهم ليسوا من الأنبياء، لأنهم تولدوا من زنا - والعياذ بالله - وقد نصت التوراة على أن ابن الزنا لا يدخل في جماعة الرب!! أهمل يُعقل أن هذا كتاب سماوي؟

٢- الآية ٢ الى ٢٧ الاصحاح ١١ من سفر صموئيل الثاني من العهد القديم جاء فيه: وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملوك أن داود أرسل يوآب وعبيده معه وجميع إسرائيل فأخرجوا بني عمون وحاصروا ربه، وأما داود فأقام في أورشليم وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بتشبع بنت أليعام امرأة اوريا الحثي، فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئها، ثم رجعت الى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت أنني حُبلى... وفي الصباح كتب داود مكتوباً الى يوآب وأرسله بيد أوريا - وهو زوج المرأة - المكتوب يقول اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت... فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضاً.. فلما سمعت امرأة زوريا أنه قد مات أوريا رجليها ندبت بعلمها ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها الى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً وأما الامر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب^(٢).

وفي مقابل هذا النص جاء في إنجيل متى أن والدته النبي سليمان هي تلك

(١) العهد القديم تثنية الإصحاح ٢٣ الآية ١ وما بعدها ص ٣١٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٩٩.

المرأة التي زنا بها داود^(١) - والعياذ بالله - وصرّحت التوراة أن مَنْ زنا بامرأة ذات بعل حرمت عليه مؤبداً.

والآن فليحكم القارئ المنصف وليقضي وفق هذه النصوص التوراتية أيعقل أن نبي الله داود يفعل هذا الفعل القبيح والحرام؟ وهل يُتصور أن سليمان وهو خليفة الله في الأرض ولد من طريق الشبهة؟ ولو نظرنا بعين الدقة لعرفنا أن داود قد ارتكب ثمانية كبائر كلّها محرّمة والعياذ بالله ولكن لايسع المجال لذكرها، فعلى العاقل أن يحكم بعدما يرى هذه التناقضات.

٣- الآية ١١ و ١٢ الإصحاح ١٢ من سفر صموئيل الثاني: هكذا قال الربّ ها أنذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك واعطيهنّ لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس، لأنّك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدّام جميع إسرائيل، وقدام الشمس فقال داود لناثان: قد أخطأت الى الرب^(٢).

وجاء في التوراة أيضاً تمةً لهذا «فصبوا لابشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم الى سراري أبيه - يعني داود - أمام جميع إسرائيل..»^(٣).

فهذا هو العجب كل العجب من هذه الخروقات والفضائح التي يتعشقون الصاقها بالأنبياء العظام، بل يُستنتج منها توجيه الاتهام والظلم الى الله تبارك وتعالى فانهم أرادوا إظهار العدل الإلهي فزعموا ان الله سلط «أبشالوم» على نساء داود فزنى بهنّ أمام بني إسرائيل جزاءً لما فعله داود من الزنى بزوجه أوريا!! هكذا يصورون العدل الإلهي!!

(١) التوراة العهد القديم صموئيل الثاني الإصحاح ١٢ ص ٥٠١ الآية ٢٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٠٠.

(٣) سفر صموئيل الثاني الإصحاح ١٦ الآية ٢٣ ص ٥١٠.

ولو قلنا لأحد الرهبان أنك زנית بابنتك، أو أمك لا تنتفض منزعجاً وخرج عن طوره مدّعياً الشرف، والنزاهة عن مثل هذه التهمة، فكيف ينسبون هذه الأضاليل، والقبائح الى أنبياء الله العظام.

وأنا الكاتب لهذه السطور كلّي حياء وخجل من مقام النبوة وأنا أبطل خرافات اليهود والنصارى.

٤- وفي الآية ١٢ باب ١٨ سفر لاويين جاء فيه: عورة أخى أبىك لا تكشف الى امرأته لا تقترب أنها عمتك..^(١) أي حرمة الزواج من العمة وهي حرمة أبدية، ومع ذلك نسبت التوراة فضيحة الصقتها بعمران والد نبي الله موسى حيث جاء في سفر الخروج من التوراة: إنَّ عمران والد النبي موسى ﷺ زنا بعمته (يوكابد) فأولدها موسى وهارون!! وهذا هو نص التوراة «وأخذ عمرا يوكابد عمة زوجته له فولدت له هرون وموسى»^(٢).

ولو أردنا أن ندخل في عمق هذه الإتهامات ونأتي بجميعها حول إبراهيم ويعقوب ونوح ﷺ لخرجنا عن أسلوب المقالة ولتحول الى كتاب ضخمة، ولكن هذه الاشارات، والشواهد المختصرة تكفي اليهودي، والنصراني، والمسلم أن يعرفوا أنَّ التوراة الحالية ليست كتاباً سماوياً، بل حُرِّفَت التوراة بعد رحيل موسى ﷺ وكان الهدف من تحريفها إضاعة شريعة الله تعالى وإضلال الناس.

والأفان مقام الانبياء أعلى وأجل من هذه الخزعبلات التي أرادوا - المحرّفون - من خلالها إطاحة مقامهم الشامخ ﷺ ولذلك نرى أنَّ آيات القرآن المجيد تمجّد الأنبياء وتذكرهم بكل تقديس وإحترام وتجعلهم قدوة وأُسوة.

(١) ص ١٨٧.

(٢) سفر الخروج الإصحاح ٦ الآية ٢٠ ص ٩٥ الطبعة الحديثة.

المقالة السادسة

في ذم الخمرة وذكر مساوئها وإبطال إتهامات التوراة حول شرب الأنبياء لها

قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾^(٢) لمعرفة الله تبارك وتعالى توجد علامات، وآيات وطرق لاحصر لها إلا أن أشدها ظهوراً ووضوحاً هو نفس الإنسان بهيكله المادي هذا فقد انطوى فيه العالم الأكبر كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه في الشعر المنسوب إليه:

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي باحرفه يظهر المضمّر^(٣)
ولكن للأسف قد يغفل أكثر الناس عن ذلك.

لقد أودع الله سبحانه وتعالى العديد من آيات الحكمة والقدرة في بدن الإنسان، وخصّه بامتيازات لا توجد في بقية الحيوانات والموجودات وأبرزها العقل فهو من أكبر الهبات الإلهية وهو الجوهرة التي لا تقدّر بثمن، لأنه مصدر كل

(١) فصلت / ٥٣.

(٢) الذاريات / ٢٠ - ٢٢.

(٣) ديوان أمير المؤمنين عليه السلام: ص ٧٢، تأليف عبدالرحمن المصطاوي، ط بيروت دار المعرفة

إشراق بل به حقيقة الإنسان وإمتيازه عن الحيوانات، وبه يتم معرفة الحسن والقبح والجمال وعكسه والحق والباطل، والحق هو الغاية كما قال خاتم الأنبياء ﷺ: «العقل ما عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان»^(١) وجاء في الديوان المنسوب الى أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

إذا كمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومأربه
وأفضل قسم الله للمرء عقله وليس من الأشياء شيء يقاربه^(٢)
إذا فعلى كل ذي عقل أن يعرف قدر هذه الجوهرة الغالية التي لو فقدها لم يعد هناك مائزاً بينه وبين الحيوانات ولعل الحيوان يُفَضَّل عليه، كما نلاحظ في الواقع الخارجي إذا سقط ملك أو رئيس الدولة سقطت وزارته وبسقوطها تسقط البلاد.

وعليه فالمطلوب من الإنسان العاقل أن يحافظ على عقله ولا يعمل على زوال أو تضعيف هذه القوة العاقلة كي يبقى ضمن بني البشر.
فإنه من جملة الأشياء التي تؤثر على العقل وفاعليته ونشاطه المخدرات بمختلف أنواعها ولذلك حرّم الشارع المقدس كل ما يخدّر العقل وأهمها الخمر فإنه من أكبر المسكرات التي تضعّف العقل وتزيله وهو واقع مشهود بالعيان والحس لا يحتاج الى دليل وبرهان، ولذلك فإننا نشاهد بمجرد أن يتناول الإنسان الخمر حتى يصل الى حدّ الإسكار فإنه يفقد توازنه وعقله وتصدر منه مختلف الأعمال القبيحة والمنفرة، بل أنه يؤثر حتى على أخلاقه وأموره الباطنية فضلاً عن الظاهرية.

(١) عدّة الأصول للشيخ الطوسي المتوفى ٤٦٠ هـ، ج ١، ص ١١٢، ط مؤسسة آل البيت عليه السلام.

(٢) ديوان أمير المؤمنين عليه السلام: ص ٢٧، قافية الباء، ط بيروت دار المعرفة.

ولقد ذكر علماء أوربا والغرب أمثال باستور، وبرتيليون، ومسوسيو تريزل، وكلينتول، وهوزز استاذ علم البيولوجيا في جامعة دار الفنون كلارك في أمريكا، وكوبلين، وكاليتيه بوآسير وكوز مكشف الميكروب الالمانى وغيرهم، ذكروا أنَّ للخمِر أضراراً هائلة وأنا أكتفى بذكر بعضها للإختصار مع أنَّ ديننا - الإسلام - حرَّم الخمر قبل أكثر من ألف وثلاثمائة عام، وجاء في النصوص المقدسة: كل مسكر مائع نجس حرام^(١) ومن أضرارها:

أولاً: أول آثار الخمر أنها تفسد الدم تدريجياً وتخل بعمل تغذية الأعضاء ثم تحيط بالقلب طبقة من الدهون تُثقله وتضعف من وظيفته وحركته ولذلك تكون ضربات القلب غير منتظمة عند أغلب الذين يشربون الخمر، فالقلب لم يعد قادراً على دفع الدم في الشرايين بقوة.

ثانياً: يكون صوت الذين يشربون الخمر غير طبيعي فالصفة الغالبة عليه هي الخشونة بسبب ضмор عمل الحنجرة وتأثر قصبات الرئة ويصاحب ذلك سعال دائم.

ثالثاً: ويسبب الخمر للذين يشربونه ضعفاً في صدورهم فيكونون أكثر استعداداً للإصابة بمرض السل من غيرهم، وقد ثبت بالتجربة أنَّ المسلولين أغلبهم من مدمني الخمر.

رابعاً: وتؤثر الخمرة على الدماغ، والنخاع الشوكي وقد يسبب ذلك نزفاً في الدماغ مما يؤدي الى موته بصورة فجائية. أو قد يؤدي الى إنسداد بعض العروق فلا يصل الدم الى الدماغ، ثم أنَّ نزف الدم في الدماغ قد يؤدي الى الإصابة بالشلل أو الصرع في أحيان أخرى، ولو ذهب أي شخص الى دار المجانين وأحصى

(١) راجع وسائل الشيعة للحر العاملي رحمته الله: ج ٣ ص ٣٦٨ باب ٣٨.

وإبطال إتهامات التوراة حول شرب الأنبياء لها ٤١

الأرقام هناك لوجد أن نسبة ٤٠٪ من المجانين الذين أُصيبوا بمرض الجنون بسبب إدمانهم على الخمر ويسمى هذا المرض بـ (الجنون الخمري)، ويلاحظ عليهم أنهم يضربون رؤوسهم بالجدار دائماً بسبب فقدانهم عقولهم وإرادتهم ويسعون للانتحار.

خامساً: ويؤثر الخمر على المعدة، وحتى على اللسان فلا تعود فاعليته في التذوق قوية، وبسبب بقاء الخمر في المعدة مدة طويلة فإنه يؤدي الى أمراض كثيرة منها: القرحة فيبدأ الشخص بتقيأ الدم المائل لونه الى السواد، وتورم الكبد، وكثرة التبول، وتورم بعض الأعضاء كالجفون والبطن والرجلين.

هذه خلاصة مقتضبة جداً لبعض مضار الخمر التي تحدث في الأحشاء الداخلية للإنسان على ما ذكره علماء الطب.

وأما الأضرار الخارجية فهي أكثر من أن تحتاج الى دليل أو أرقام علمية، بل تكفي المشاهدة بالعيان لأولئك الذين يُدمنون على الخمر، أو يشربونها ليلاً حيث ترى عربدتهم وصراخهم، وإنفلات عقولهم وتحولهم الى أناس في غاية العنف يهددون المارة، وتصدر منهم حركات وكلمات مخزية تُذهب بكرامتهم وبمكانتهم وبقدرهم حيثُ يتحولون الى أضحوكة يقرؤها كل من رآهم بهذه الحالة القبيحة.

والأنبياء العظام ﷺ - وهو محل بحثنا - بإعتبارهم الحجج الظاهرية لله تعالى بُعثوا من أجل تقوية العقل البشري بالحكمة لكي يصل الإنسان الى السعادة الحقيقية، لأنّ الخير كلّهُ معقود بالعقل وكماله، إذ به يتم تمييز الخير من الشر، والحسن من القبيح ولهذا فقد أمر الله تعالى أنبياءه بمحاربة كلّ مخدر يؤدي الى

زوال العقل، كما قال إمامنا الرضا عليه السلام: ما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر^(١) وعملوا عليهم السلام على بيان مفسد الخمر وكل نوع من أنواع المخدرات، وحذروا الأمم من هذه المخاطر ولا سيما ديننا الحنيف - الإسلام - فقد عدَّ الخمر من الخبائث وحرَّمها ومنعها بأشد المنع، لأنَّ الخمرة من أكبر الشرور في الحياة الدنيا، ورأس الجرائم^(٢)، ومن القبيح أن يتناولها مَنْ يقتدي بالأنبياء فضلاً عن الأنبياء عليهم السلام، ومن العجائب أنك ترى النصارى يريدون مدح المسيح عيسى ابن مريم فيذكرون له واحدة من المعاجز الخارقة للعادة حيث حوّل الماء - وهو مادة الحياة الطيبة الطاهرة - إلى خمر مسكر!! ويعدّون ذلك من مفاخر المسيح عليه السلام، وهم يجهلون أو يتجاهلون نصائح الحكماء والأطباء في نهى الناس عن تناول الخمر لكثرة مضارها الاجتماعية والبدنية والنفسية، أفيقل أن يكون أطباؤهم أعلم من المسيح عيسى عليه السلام؟! مع أنه عليه السلام من أنبياء أولي العزم الذين لهم النظرة الثاقبة لعواقب الأمور.

ولم يكتف علماء النصارى بذلك بل تراهم يشربون الخمر في ذكرى ميلاد المسيح عليه السلام باسم دمه (والعياذ بالله) ويدعون أتباعهم إلى شربها في ذلك اليوم^(٣) وهذا العمل القبيح هو أحد الأسباب التي أدّت إلى تخلف اليهود والنصارى من

(١) أصول الكافي: ج ١ ص ١٤٨ ح ١٥، ط، دار الكتب الإسلامية، ط ٣.

(٢) قال رسول الله ﷺ: (الخمر أم الخبائث)، وقال ﷺ: (جُمع الشرُّ كُلُّه في بيت، وجُعِلَ مفتاحه شرب الخمر).

وقال ﷺ: (لعن الله شارب الخمر، وعاصرها، وساقها، وحاملها، والمحمولة إليه).

وقال ﷺ: (الخمر جماع الإثم، وأم الخبائث، ومفتاح الشر).

وللمزيد راجع كتاب جامع الأخبار للشيخ محمد السبزواري من أعلام القرن السابع الهجري ص ٤٢١، فصل ١١٣، ط، مؤسسة آل البيت (قم).

(٣) سيأتي المؤلف على تفصيل ذلك في المقالة ٣٦.

الناحية الروحية وفقدانهم الدين وتورطهم في المهالك.

ومن الأدلة الواضحة والظاهرة على بطلان سماوية الأنجيل، والتوراة الحاضرة أنهما يدعوان الى شرب الخمر والمسكر، بل تجد في النصوص التوراتية والإنجيلية إتهامات فظيعة حيث يتم نسبة شرب الخمر الى الأنبياء عليه السلام.

١- جاء في الآية ٢١ الإصحاح ٩ من سفر التكوين في قصة النبي نوح عليه السلام:
«وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً»^(١).

٢- وقد ذكرنا سابقاً نصوص التوراة التي صرحت بأن النبي لوط قد شرب الخمر أيضاً^(٢).

٣- وجاء في الآية ٢٧ و ٢٩ من الإصحاح ٢٦ إنجيل متى^(٣)، وفي الآية ٣٣ و ٣٤ من الإصحاح ٧ إنجيل لوقا^(٤)، وأيضاً في الإصحاح ٢٢ الآية ١٧ الى الآية ٢٠^(٥)، حيث جاء صريحاً في هذه الآيات أن المسيح قد شرب الخمر وأمر أتباعه بشربها مع وجود آيات عديدة في التوراة والإنجيل تحرّم الخمر وتمنع من شربه وسأكتفي بذكر آية واحدة؛ لأنني كنت قد صممتُ على إختصار المقالات. جاء في الآية ٢٠ الى ٢٢ من سفر التثنية الإصحاح ٢١ «ابننا هذا معاند ومارد ولا يسمع

(١) ص ١٥ من الطبعة الحديثة.

(٢) سفر التكوين الإصحاح ١٩ الآية ٣٠ ص ٢٩.

(٣) هذا هو نص الآية «وأخذ الكأس وسكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم».

(٤) هذا هو نص الآية «جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فتقولون هو ذا إنسان أكل وشرب خمر».

(٥) هذا هو نص الآية «وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد...».

لقولنا وهو مسرف وسكّير فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت»^(١).
حيث عدّت صفة السكر من جملة الصفات القبيحة التي يذم صاحبها، بل
يُرجم حتى يموت.

فبعد مطالعة هذه المقالة أيعقل أن يشرب الأنبياء الخمر ويأمرُوا أتباعهم
بشربها مع علمهم بقبحها وأضرارها التي تؤدي بالإنسان إلى عالم التيه بعد فقدان
عقله؟

قطعاً سيكون الجواب بالنفي الاكيد إذ لا يمكن أن تدعو الكتب السماوية
الى ممارسة القبائح، ومن المستحيل أن تحمل في طياتها التناقضات، بل إنهما -
التوراة والإنجيل - من الكتب المحرّفة التي نالتها أيدي المغرضين والمحرّفين
وأدرجوا فيها بما يتفق ومصالحهم، وأهوانهم التعيسة، ومن ثم قدموها للناس
على أنهما كتابان سماويان، يأبى الله ذلك والعقل السليم.

المقالة السابعة

التوراة تتهم الأنبياء بأنهم يعبدون الأصنام، وهارون يصنعُ العجلَ للعبادة!

قلنا فيما مضى أنّ بني البشر فُطروا على التوحيد وذلك لوجود القوة العاقلة أي العقل فأنّه يحكم بضرورة وجود الخالق الواحد كما قال النبي ﷺ «العقل ما عبده الرحمن»^(١).

وقال: «كل مولود يولد على الفطرة»^(٢).

وقال الله تبارك وتعالى: «فطرة الله التي فطر الناس عليها»^(٣).

ولكن لم يكف شياطين الإنس والجن عن دعوة الضلال والباطل فقد عملوا على إغواء الإنسان وصدّه عن الصراط المستقيم حتى فتحوا له أكبر باب من أبواب الشقاء، والعناء والسقوط ألا وهو الشرك بالله، فتمرد الإنسان على دعوة الحق وأنكر التوحيد، فكان من باب اللطف أن يرسل الله تعالى رُسلاً لكي يعملوا بمختلف السبل على هداية هذا الإنسان وإنقاذه من طرق الردى وإعادته الى عالم التوحيد والفطرة الأولى.

فكان على عاتق الأنبياء مسؤوليات عظيمة أكبرها وأهمها هي محاربة الشرك والكفر والإلحاد من لدن آدم ﷺ وإلى الخاتم ﷺ وقد ثبت بالأدلة المتواترة أنّ جميع الأنبياء خاضوا هذا الصراع المرير لاسيّما نبي الإسلام العظيم

(١) عَدّة الاصول للشيخ الطوسي ﷺ: ج ١ ص ١١٢، ط، مؤسسة آل البيت ﷺ.

(٢) حق اليقين للسيد عبد الله شبر ﷺ: ج ١ ص ٢٦، الفصل الأول ط، قم أنوار الهدى.

(٣) الروم: ٣٠.

خاتم الأنبياء ﷺ فقد شهدت ميادين الحروب بشخصه، وعمل على إقتلاع جذور الشرك بمختلف أشكاله وأباطيله^(١) وقد ذكر القرآن الكريم في مواضع عديدة من دعوات الأنبياء أمهم إلى توحيد الله تعالى كقوله حكاية عن رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٢).

ويتضح من هذه الآية أن هدف الأنبياء واحد، وأن دعوتهم واحدة لا سيما في قوله تعالى: ﴿لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾^(٣) ولكن من العجب العجيب أن ينسب أهل الأباطيل، والضلال، الشرك، والكفر وعبادة الأصنام إلى الأنبياء العظام!!!

ويؤسفني أن أذكر هذه المطالب وأنّي في غاية التأثر والتألم ولكن ما عساي وأنا في طريقي لاثبات الحق، والغريب في الأمر أن ينسبوا كل شيء كانوا

(١) لقد كان للشرك أشكال متعددة

فمنهم من يعتقد بوجود إلهين إله للنور وإله للظلمة يزدان واهريمن وهؤلاء هم المجوس، ومنهم من يعتقد بأصلين قديمين أزليين متساويين في الجوهر والطبع والروح والفعل، ومنهم من يعتقد بوجود أكثر من إله حتى عدّهم مجموعة أرباب، ومنهم من جمع بين ثلوث النصرى وشرك الثنوية وقالوا بالاصول الخمسة.

ومنهم من عرف بـ (أصحاب الهياكل) الذين اعتقدوا بوجود الكواكب السيارة، والروحانيين كواسطة بينهم وبين الله تعالى فعبدوها من هذه الجهة.

ومنهم - وهم الأكثر إلى يومنا هذا - من عبد الإنسان أو الحيوان أو الأصنام المصنوعة من الحجر أو المعدن وعمل لها بيوتاً للعبادة بإعتقادهم أنّها مظاهر ووسائط الفيض، ولو أردت أن أخوض في هذا المجال لخرجت عن مقالي ولكن هذا المقدار يكفي لوضوح الصورة. (المؤلف).

(٢) آل عمران / ٦٤.

(٣) البقرة / ٢٨٥.

يفعلوه الى الأنبياء كشرِب الخمر والزنا والرقص وغيرها، ولم يكتفوا بذلك حتى نسبوا إليهم الشرك والكفر!! وذلك لإضلال الناس وصدّهم عن الحق والتوحيد.

ولكن اتّهاماتهم هذه هي أقوى دليل وأوضح برهان على أنّ تورّاتهم كُتبت بأيديهم وأنّهم صنعوها وهو دليل على بطلانها ونسفها، ومن شواهد إتهامهم للأنبياء بالشرك ما جاء في الآية الأولى من الإصحاح ٣٢ سفر الخروج: «ولما رأى الشعب أنّ موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. لأنّ هذا موسى الرجل الذي أصدّنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيتكم وبناتكم وأتوني بها فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها الى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصدّتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون، وقال غداً عيد للرب فبكروا في الغد وأصدّوا محرقات وقدموا ذبائح سالمة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب»^(١).

وأقبح من تلك القبائح ما جاء في الآية ٣٣ من الإصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول: «لأنّه هكذا قال الرب إله إسرائيل ها أنذا أمزّق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط... لأنّهم تركوني وسجدوا لعشتورت آلهة الصيدونيين ولكموش إله المويّيين ولملكوم إله بني عمون ولم يسلكوا في طريق ليعملوا المستقيم...»^(٢) وهذه الآيات تصرّح بكل وضوح أنّ النبي سليمان عبد أصنام عشتورت وترك عبادة الله تعالى وعلى أثر ذلك انتزع الله منه ملكه.

(١) الآيات من ١-٦ ص ١٤٠ من الطبعة الحديثة.

(٢) ص ٥٥٥.

فهاتان الآيتان نموذجان يكفیان لإبطال كون التوراة كتاباً سماوياً، وأنا أغرق في خجلي وحيائي من مقام الأنبياء بسبب نقلي لهذه الأكاذيب والأباطيل في مقام الرد والتفنيد للتوراة المحرّفة، وأعجب من اليهود والنصارى كيف سوّغت لهم أنفسهم ذكر وحياسة هذه الترهات من أجل المنصب والزعامة ثم أودعوها في كتاب رتبوا فصوله على أهوائهم وقالوا إنه كتاب سماوي.

والحال إننا لو رددنا هذه الأكاذيب والمواصفات التي وصفوا بها الأنبياء - كذباً وزوراً - ووصفناهم بها لكثير ضجيجهم وصراخهم ولعملوا جاهدين على تبرأة ساحتهم من هذه المخازي، بل ولو صفوا أنفسهم بكل صفات الإيمان والكمال والشرف والقداسة.

ولكنهم بكل وقاحة وتعاسة وشقاء يصفون الأنبياء العظام بصفات لا يرضون أن تطلق عليهم، وقد فات عليهم أن هذه الإهانة التي أهانوا بها الأنبياء إنما هي إهانة للحق تبارك وتعالى، إذ كيف يبعث الله الأنبياء لهداية الناس وإرشادهم إلى التوحيد والحال أنهم يشركون بالله ويعبدون الأصنام؟ أكان الله تعالى يعلم ذلك منهم مسبقاً أم لا؟

فإن كان يعلم ومع ذلك بعثهم فهو خلاف الحكمة الأزلية لله تعالى بل لا يتعاطاه البشر العادي منّا فكيف بالحق تبارك وتعالى. وإن كان لا يعلم فالمصيبة أعظم.

معاذ الله من هذه المقالات الفاسدة وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فمع نقل هذه المقدمات والشواهد يقطع كلُّ عاقل منصف بأن التوراة الحالية ليست كتاباً سماوياً بل هو كتاب (ملوث) حوى من الأباطيل والفجائع ما تكفي هي لوحدها لنسف أسطورة القداسة حول هذا الكتاب المهين.

وذلك للقطع بعصمة الأنبياء العظام ﷺ وأنهم كانوا فوق المستوى الذي

صوره كذابوا اليهود والنصارى. والقرآن الكريم - وهو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم تنله يد التحريف - يعطي أفضل الصور المشرقة عن الأنبياء سلام الله عليهم وسوف نتناول ذلك في آخر المقالات إن شاء الله.

فمثلاً موضوع صناعة العجل فإنّ القرآن برّىء ساحة هارون من هذا العمل المنحرف ويشرح القصة مفصلاً، وأنّ الذي صنع العجل ودعى بني إسرائيل لعبادته هو السامري وليس هارون سلام الله عليه، بل أنّ هارون وقف بوجه السامري بكل قوة وثبات وقد تناولت سورة (طه) هذه القضية بالتفصيل ومَنْ أَحَبَّ فليراجع.

من هذا وذاك يقطع المنصف أنّ هذه التوراة ليست تلك التي أتى بها موسى ابن عمران من الله تعالى، بل هي التوراة المحرّفة بلا أدنى شك بعدما ذكرتُ لك شيئاً من التناقضات والأباطيل والخرافات وسنأتي في المقالات اللاحقة على إبطال الإنجيل أيضاً، فإذا أبطلناهما ينكشف الحق لأهل المعرفة، لأنّه كما قيل: إنما تُعرف الأشياء بأضدادها.

المقالة الثامنة

في ولادة و صلب عيسى عليه السلام، وغلبة اليهود للنصارى و حرقهم الإنجيل وإنقطاع سند الإنجيل المتداول اليوم عن الإنجيل الأصلي

لقد ذكرنا بعض الشواهد - على ما يسمح لنا مجال المقال - من التوراة ومن خلالها أبطلنا كونها كتاباً سماوياً مستعنيين بالأدلة العقلية وبالتناقضات التي حوتها نفس التوراة، فهي كتاب قد خلط أوراقه وكتبت الكثير من فصوله وأسفاره بأيدٍ مغرضة لإضلال اليهود قرون وقرون، ورغم كل هذه الأدلة على بطلانها إلا أنهم يتمسكون بها تمسك الأعمى بالعصا عناداً ولجاجاً كما كان أسلافهم.

وفي هذه المقالة سنأتي على بعض المطالب من الإنجيل وندعو كل من له عقل سليم أن يحكم بمقتضى إنصافه لتكشف الحقائق، وتبدأ الأحداث هكذا:

قبل ١٩٤٦ م - وهو تاريخ نشر هذه المقالات - ولد المسيح عيسى بن مريم بطريق الإعجاز في فلسطين في بيت المقدس، وبعد ٣٠ عاماً بعث رسولاً ونبياً من أنبياء أولي العزم على نبينا وآله وعليهم السلام، ثم أنزل الله تعالى عليه كتاباً سماوياً مقدساً وهو الإنجيل، تكميلاً للتوراة وهداية لبني إسرائيل خاصة، وبعد مضي ثلاثة سنوات من رسالته ودعوته سعى جماعة من اليهود لقتله لشقاوة أنفسهم وحقارة ذواتهم ولذلك هرب المسيح عيسى مع اثني عشر رجلاً وهم حواريه فالتجأوا في غار، الى أن قبض أحد حواريه وهو (يهوذا الاسخريوطي)^(١) ثلاثين درهماً فضيماً من اليهود وأرشدهم الى مكان نبي الله

(١) أقول: انظر ذكر اسمه ومحاولته في تسليم المسيح في إنجيل مرقس الإصحاح ١٤ الآية ١٠

في ولادة و صلب عيسى عليه السلام ، وغلبة اليهود للنصارى و حرقهم الإنجيل و... ٥١

عيسى عليه السلام ، فهجم اليهود بشكل عجيب ومفاجيء على المسيح وجماعته وسجنوهم ووضعوا عليهم الحرس والرقابة المشددة، لكي يتم إعدامهم صلباً في اليوم التالي أمام الملك والأهالي.

وقد زعم النصارى من ذلك اليوم والى الآن - اعتماداً على إنجيلهم - أن المسيح عليه السلام تم صلبه وبقي مصلوباً ثلاث أيام ثم دفن، وزعموا أنه قد عادت إليه الحياة في القبر وخرج من قبره وعرج الى السماء، وفي كنيسة (الآخرة) المقابلة للباب الشمالي لبيت المقدس يوجد قبر يزعم النصارى أنه مكان عروج المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

ولكن نحن المسلمين نعتقد غير هذا - اعتماداً على القرآن الكريم - فالمسيح لم يُصلب ولم يُقتل بل التبس الأمر عليهم يقول الله تعالى: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلاّ اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه﴾^(١) فقد ألقى الله شبه عيسى على أحد أصحابه، وأما عيسى عليه السلام فقد رفعه الله الى السماء وهو في السجن، وبعد ذلك قام اليهود بقتل وتعذيب ومطاردة أتباع المسيح في كل مكان وصبّوا عليهم عذاباً شديداً يفوق ما عمله البابليون في اليهود وإثر ذلك فرّ المسيحيون الى الصحاري والجبال والأماكن النائية وتفرقوا في بقاع الأرض، وقام اليهود بحرق جميع نسخ الإنجيل حتى بقي النصارى بلا كتاب ولا تشريع لسنين طويلة، فكانوا يأخذون بعض أحكامهم من السنة الطاعنين في السن على ما يتذكرونه.

حتى مضت عليهم فترة طويلة جداً أنكر فيها جماعة منهم أن يكون

= وما بعدها ص ٨٢ من الطبعة الحديثة / المترجم.

(١) النساء: ١٥٧.

لعيسى عليه السلام كتاب سماوي اسمه الإنجيل، فقد ذكر بعض علماءهم أمثال (جيروم) و(ارجن) المفسرين المسيحيين المعروفين وكذلك (كُنت) و(تولستوي) الروسي، ذكروا - لاسيما تولستوي - أن الإنجيل لم يكن في عهد المسيح وإنما أوجد فيما بعد المسيح بسنين طويلة، وذكر بعض علمائهم أن هذه الأناجيل جاءت إلى الحواريين عن طريق الإلهام إلا أن المفكر تولستوي ينكر ذلك بقوة ويقول لم تكن عن طريق الوحي أصلاً، بل القساوسة أشاعوا ذلك^(١).

وبعد مرور أكثر من ألف عام على تلك الحوادث لا نجد تاريخاً دقيقاً وموحّداً في كتب النصارى عن تاريخ تصنيف وتأليف هذه الإنجيل الموجودة الآن، فمن باب المثال ذكر (هورن) وهو من أكبر المفسرين المسيحيين^(٢): ما وصل إلينا عن زمان تأليف الأناجيل من قدماء المؤرخين أتر ومقطوع السند وغير محدد، وقد اعتمد المشايخ القدماء في أول أمرهم على روايات واهية إلا أنهم صدّقوها وأدرجوها في كتبهم، ثم جاء العلماء من بعدهم، وقبلوا تلك الروايات حفاظاً على كرامة وسمعة المشايخ!! وهكذا تم نقل الروايات من قبيل الصادق والكاذب من كتاب إلى كتاب حتى صارت عملية تنقيح هذه الروايات أمر مشكل اليوم.

ويقول تولستوي الروسي في كتابه السالف الذكر: الإنجيل الموجودة اليوم في زماننا لا يوجد لها إتصال سندي بعيسى عليه السلام بل أنها كُتبت بعده بأربعمئة عام. ويقول (هورن) في تفسيره: إن إنجيل متى كُتب عام ٣٧ أو ٣٨ أو ٤١ أو ٤٣ أو ٤٨ أو ٦١ أو ٦٢ أو ٦٣ أو ٦٤ بعد الميلاد!!

(١) راجع كتابه الموسوم بـ (الإنجيل) في مقدمة الكتاب.

(٢) تفسير هورن: ج ٤ القسم ٢ الباب ٢ ط عام ١٨٢٢ م.

في ولادة و صلب عيسى عليه السلام ، وغلبة اليهود للنصارى و حرقهم الإنجيل و... ٥٣

وإنجيل مرقيس كُتب ما بين ٥٦ الى ٦٥ بعد الميلاد، وإنجيل لوقا كُتب في عام ٥٣ أو ٦٣ أو ٦٤ بعد الميلاد، وإنجيل يوحنا كُتب في عام ٦٨ أو ٦٩ أو ٧٠ أو ٩٨ أو ٩٩ بعد الميلاد.

إذاً حتى علماء النصارى يصرّحون بأنّ هذه الأناجيل الأربعة لم تكن في زمن المسيح عليه السلام بل كُتبت وأُلفت بعده بسنين، والعجيب أنّهم لم يعرفوا حتى تاريخ تأليف هذه الكتب المجعولة فكيف يمكن الإطمئنان إليها؟ بل كيف يمكن أن تكون كُتباً سماوية؟

المقالة التاسعة

إقرار علماء النصارى على إنقطاع سند إنجيل متى

لقد ذكرتُ فهرسة سريعة عن إضطرابهم في تحديد تاريخ الأناجيل الأربعة والآن أذكر الأدلة على بطلان كل نسخة من الإنجيل على حده.

يعد إنجيل متى من أقدم الأناجيل الأربعة عند المسيحيين وهم يعتقدون أن (متى) من حوارى عيسى عليه السلام.

ولكن عند التدقيق نرى أن علماء النصارى لم يقدموا دليلاً قطعياً على أن هذا الإنجيل المتداول اليوم هو نفس إنجيل متى الحوارى، وذلك لأن إنجيل متى بإتفاق العلماء القدماء كان مكتوباً باللغة العبرية ومن ثمّ تُرجم، فهنا سؤالان: أولاً: أين النسخة العبرية الأصلية؟

ثانياً: مَنْ هو المترجم وما اسمه؟ وهل كان عادلاً أم فاسقاً؟ وهل فهم المطالب كما ينبغي أم لا؟ وهل ترجمها كلها أم لا؟

ولذلك حاول بعضهم الفرار من هذا المأزق فزعم أن إنجيل متى الأصلية كتبت باللغة اليونانية، ومع ذلك لا دليل على هذه المزاعم أيضاً، بل يبطله قول أكثر المحققين من علمائهم أمثال (هورن) و(يوسى بيس) و(جيروم) و(پي پيس) و(ارنينوس) و(پي فلس) فقد صرحوا أن إنجيل متى كان باللغة العبرية.

وقد ذكر (هورن) في تفسيره في الجزء الرابع ٢٤ اسماً من أسماء علماء النصارى الذين اعترفوا أن إنجيل متى كان باللغة العبرية.

وقال المؤرخ (ريود) المسيحي المعروف في تاريخه: القول إن إنجيل متى كان باللغة اليونانية غير صحيح.

وقال المؤرخ (بوسي بيس) في تاريخه: يعتقد أغلب علماء ومرشدي المسيحية أن إنجيل متى كان باللغة العبرية لا اليونانية.

ولعل نقل أقوالهم يخرجنا عن المساحة المسموح لنا في كتابة المقال ولهذا اكتفي بذكر هؤلاء.

واعتقد أن هذا المقدار يكفي لمن طلب الحق لاسيما المسيحيين أنفسهم ليعلموا أن النسخة العبرية لإنجيل متى مفقودة تماماً، وما موجود بأيديهم نسخة مترجمة لا يعلم مدى تطابقها مع الأصل فضلاً عن مجهولية المترجم، ولهذا فقد كذب (فاستس) والبروفسور (جرمني) أن تكون هذه الإنجيل المتداولة هي إنجيل متى، ويمكن مراجعة كتب التفاسير والسير المسيحية لمعرفة صدق ما ذكرنا في نسف أقدم إنجيل يعترف به النصارى اليوم.

المقالة العاشرة

اختلاف الأقوال في مرقس، وأنه لم يكن من الحواريين قطعاً، وإنجيله مقطوع السند

الإنجيل الثاني عند النصارى هو إنجيل مرقس الذي يكبره النصارى بشكل عجيب مع إنعدام الدليل على صحته.

فلقد اختلفت الأقوال في مرقس وإنجيله عند المؤرخين المسيحيين الكبار فقد جاء أن اسمه الصحيح هو (يوحنا)^(١)، ولقبه مرقس ولم يكن من حوارى المسيح الاثنى عشر، بل كان يهودياً آمن بالمسيح.

وجاء في الإصحاح الرابع من رسالة كولوسي: إنه ابن اخت برنابا، وجاء في الإصحاح ١٥ من أعمال الرسل «. فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضاً يوحنا الذي يدعى مرقس، وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما بمضيئية ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما فحصلت بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، وبرنابا أخذ مرقس وسافر في البحر الى قبرس، وأما بولس فاختر سبيلاً وخرج...»^(٢).

وعلى ضوء هذا النص كيف يمكن الركون الى الإنجيل التي كتبها خادم برنابا المرفوض من قبل بولس المقدس - عند النصارى - بل أنه تشاجر مع رفيقه برنابا وفارقه كل ذلك رافضاً ليوحنا كاتب الإنجيل؟!

(١) انظر الإنجيل - أعمال الرسل الإصحاح ١٢، الآية ١٢ ص ٣١٢.

(٢) الإنجيل، أعمال الرسل، الإصحاح ١٥ الآية ٢٦ - ٤٠ ص ٢١٩.

وحتى لو فرضنا أن يوحنا (مرقس) قد كتب ما سمعه ولكن كيف يطمئن بقول رجل واحد؟ لاسيما وأن العالم الفاضل المعروف عند المسيحيين (جيروم) يقول: لقد شك العلماء المتقدمون في آخر إنجيل مرقس، وشك بعضهم في بعض الآيات أيضاً مثل الإصحاح ٢٢ إذ لا اعتبار له.

إذن فهم يعترفون إن مرقس لم يكن من الحواريين، ولم يشاهد عيسى عليه السلام ولم يسمع منه، بل كان خادماً لأحد الحواريين فكيف يتم الركون إليه والتصديق بأن ما كتبه معبراً عن إرادة السماء؟ وحتى لو فرضنا صحته فلماذا طعن وشكك فيه علماؤهم أمثال جيروم وهورن؟

بل إن علماء النصارى اختلفوا حتى في كاتب الإنجيل ولم يتفقوا على أنه مرقس، فقد ذكر ابن البطريق وهو من المؤرخين المسيحيين في الشرف: إن بطرس رئيس الحواريين كان في عصر (نرون) قيصر الروم الكبير وهو الذي كتب الإنجيل من جانب مرقس في مدينة (رومية) ونسبها إلى مرقس.

وذكر صاحب كتاب (مرشد الطالبين) وهو عالم مسيحي: إن جماعة كتبوا إنجيل مرقس بتدبير من بطرس في عام ٦١ م وقدموها إلى الناس.

وذكر جماعة آخرون منهم (ارينوس) إن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس.

ومن هذه الاختلافات يكاد يُصاب العاقل بالجنون فأَي الأقوال والآراء يمكن الاعتماد عليها؟

فمن الذي كتب الإنجيل مرقس أم بطرس أم غيرهما؟ وفي مثل هذه الحال لا يمكن ترجيح أحد الأقوال دون الآخر إلا مع الدليل ومع عدمه فجميع الاحتمالات متعادلة وفيها ما فيها من التعارض والتناقض، نعم لقد رجّحوا أحدها من باب التعصب لا الدليل.

والإختلاف الآخر بين علماء النصارى حول هذا الإنجيل هو في تحديد زمان كتابته، فقد ذكر المؤرخ (هورن) إنَّ إنجيل مرقس كُتب ما بين ٥٦ و ٦٥ م، بينما ذكر أغلب النصارى أنَّه كتب في عام ٦٠ أو ٦٣ م.

وهذا الاختلاف يضاف إلى تلك الإختلافات لتعود الصورة أكثر ضبابية ويحتار فيها الباحث ويقطع من خلالها المفكر بأنَّ هذه الإنجيل غير قطعية الصدور عن عيسى عليه السلام، بل أمرها ظني والظن لا يغني عن الحق شيئاً.

المقالة الحادية عشرة

إنّ لوقا لم يكن من تلامذة بولس ولا من الحواريين،
وإنّ إنجيله ليس بأنجيل عيسى بن مريم عليه السلام

إنجيل لوقا هو الإنجيل الثالث الذي يهتم ويتعبد به النصارى وهو الآخر قد حصلت فيه الاختلافات بين علماء النصارى.

أولاً: فالاختلاف الأول حول وجود شخصية لوقا كاتب الإنجيل فقد ذهب البعض أمثال (ابن البطريق) و(القس ابراهيم سعيد) و(بلوكيوس) ان لوقا من أهل أنطاكية ولد ودرس الطب فيها وعرف كطبيب ماهر،

بينما ذكر آخرون مثل (الدكتور جورج پوست) بعدما كذب الرأي الأول، أنّ لوقا لم يكن من أهل أنطاكية، بل من أهل رومانيا ونشأ في إيطاليا، ولم يكن طبيباً بل رساماً ماهراً^(١) ومن هذه الصورة الموجزة يتضح أنّ علماء النصارى لم يتفقوا على شخصية لوقا من أين هو وما كانت مهنته؟

ولكن في الوقت ذاته اتفقوا كلّهم على أنّ لوقا كاتب الإنجيل لم يكن من تلامذة الحواريين، ولا من حوارى النبي عيسى عليه السلام، بل هو من تلاميذ بولس، ومادّونه في إنجيله عبارة عن أخبار اعتقد حسب ذوقه القاصر أنّها من المسيح عليه السلام وهكذا نسبها إليه عليه السلام.

وأما علماء النصارى فلا يوجد عندهم أي دليل قاطع بأنّ هذه الكلمات التي

(١) انظر كتاب قاموس الكتاب المقدس وقد طبع باللغة العربية عام ١٨٩٤ م في المطبعة الأمريكية - بيروت.

كتبها لوقا هي نفس تلك الكلمات التي قالها عيسى بن مريم ﷺ كيف وقد اعترف لوقا في أول إنجيله قائلاً: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصّة في الأומר المتيقنة عندنا كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعته كلّ شيء من الأوّل بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس...» فهو ليس أكثر من متتبع، ومنّ يقطع أن تتبعه كان تاماً؟

ثانياً: والاختلاف الثاني بين علماء النصارى هو أنّه إنجيل لوقا لاي قوم كُتب فقد ذكر (القس إبراهيم سعيد) إنّ إنجيل لوقا كُتب لليونانيين، كما أنّ إنجيل متى كتب لليهود، ومرقس كُتب للروم، ويوحنا كتبه لأهل الكنيسة بينما ذهب البعض الآخر أنّه كُتب لأهل مصر، لأنّه ذكر في أول إنجيله اسم (ثاوفيلس) ومن المسلّم به أنّ الأخير من علماء مصر المعروفين آنذاك. إذن فالإنجيل هذا قد كُتب للمصريين لا لليونانيين.

بينما ذكر ابن البطريق المؤرخ أنّ (ثاوفيلس) كان من كبراء الروم وعلى هذا الرأي يكون إنجيل لوقا قد كُتب لأهل الروم.

ثالثاً: واختلفوا هل كتب لوقا إنجيله في زمان پولس أم بعد وفاته؟ فقد ذكر الدكتور (پوست) المؤرخ المسيحي المعروف أنّ لوقا كتب إنجيله قبل خراب بيت المقدس في زمان بولس عام ٥٨ أو ٦٠ م.

ولكن ذكر آخرون مثل (لارون) أنّ لوقا كتبه بعد كتابة إنجيل مرقس أي بعد موت بطرس وپولس، بينما قال (هورن): قطعاً لأنعلم متى كُتب لوقا إنجيله، إلّا أنّ القدر الذي نعلمه أنّه كتبه بين عام ٥٣ أو ٦٣ أو ٦٤ م والاختلافات في هذا الباب كثيرة جداً إلّا أنّ المجال لا يتسع لذكرها فعلى العقلاء أن يتأملوا هذه التناقضات ليصلوا في الختام إلى قناعات تامة لعدم توفر أي اعتبار لإنجيل لوقا.

المقالة الثانية عشرة

اختلاف الأقوال في يوحنا، وأنه لم يكن من الحواريين، وإبطال انجيله

الكتاب الرابع الذي ينظر النصارى إليه بكل إجلال وإحترام هو إنجيل يوحنا وذلك لإعتقادهم أن يوحنا الصياد الذي كان من حوارى النبي عيسى عليه السلام هو نفسه يوحنا الذي كتب الإنجيل.

والحال أن بعض المؤرخين المسيحيين أنكروا كون يوحنا كاتب الإنجيل هو نفس يوحنا الحوارى، وأتذكر جيداً أنني حينما حاورتُ بعض المبشرين الأمريكان أمثال (مستر الدر) والدكتور (پاكارا) وذكرت له أمثال هذه الاختلافات، والتناقضات، والتعارض الصارخ في الأقوال حول الأناجيل ورجالها، قالوا في معرض الجواب: إن هذه الاختلافات حصلت بسبب السياسة في القرون الأخيرة كبقية الاختلافات التي يفرزها الواقع السياسي في بقية المجالات.

فقلت لهم: أعتقد أنكم تخطأون، أو أنكم غير متبحرين في تأريخكم وكتبكم، أو أنكم مجبرون على هذا الجواب إذ لا تجدون غيره مخلصاً، لأنكم لو دققتم في تأريخكم ومررتم على كتبكم لعرفتم أن هذه الاختلافات لا ترتبط بالقرون الأخيرة، بل هي حصيلة اختلافات كانت في القرن الثاني الميلادي بين علماء النصارى.

وأما الأدلة على كون هذا الإنجيل ليس إنجيل يوحنا الصياد فهي:

أولاً: إنكار بعض العلماء المنصفين أن يكون هذا إنجيل يوحنا

الصيد أمثال:

١- (ارينوس) تلميذ (بوليكارب) تلميذ يوحنا الحواري، ومن المنطقي جداً أن يؤخذ إنكاره بنظر الاعتبار لقربه الزمني بيوحنا وإتصاله به عن طريق واسطة واحدة مما يعزز قوله ليكون له مصداقية أكبر. ويضاف إلى ذلك أن (سلسوس) وهو أحد علماء المشركين من عبدة الأصنام في القرن الثاني، و(فائستي) وهو من كبار علماء فرقة (مانيكيز في القرن الرابع) كانا يصرخان ويصرّحان أن كتاب العهد الجديد لا علاقة له بالمسيح، ولا بالحواريين بل كتبه رجل مجهول الهوية وكان القساوسة وأتباع المسيح ﷺ في غاية العجز عن الوقوف بوجه تصريحات هؤلاء، أو إثبات صحة العهد الجديد.

٢- لقد ذكر (استادلن) في كتابه بشكل صريح أن يوحنا الحواري لم يكتب الإنجيل، بل كتبه أحد طلبة مدرسة الإسكندرية اسمه يوحنا بلا شك ولا ريب.

٣- وذكر العالم المحقق (برطشنيدي): على نحو التحقيق أن جميع فصول الإنجيل وهكذا رسائل يوحنا ليست من تأليف يوحنا الحواري بل هي من تصنيف رجل آخر ابتدأها في أوائل القرن الثاني الميلادي.

٤- وقد أنكرت فرقة (وكين) في القرن الثاني هذا الإنجيل، وجميع مؤلفات يوحنا على أساس أنها ليست ليوحنا الحواري.

٥- وقد تم التصريح في دائرة المعارف البريطانية - التي كتبها خمسمائة عالم مسيحي - إنه لا يوجد أي شك ولا شبهة في أن كاتب هذا الإنجيل هو رجل مزور غير يوحنا الحواري، وكان هدفه من وراء ذلك هو إيجاد الاختلاف بين حوار يمتى ويوحنا.

ثم أن كاتب الإنجيل يزعم في إنجيله أنه هو نفس ذلك الحواري المحبوب عند المسيح ﷺ وقد استقبل أهل الكنائس هذه الدعوى بدون أدنى

تحقيق وتدقيق!!

والحقيقة أنه ليس ذلك الحواري الحقيقي كما مرَّ سابقاً، بل أنه رجل ذو إتجاه فلسفي قد كتب الإنجيل ونسبها إلى يوحنا الحواري.

نعم لقد حاول بعض المتعصبين من أرباب الكنائس أن يردّوا آراء المحققين في دائرة المعارف، منهم الدكتور (بوست) فقد ذكر أن بطرس أيّد هذا الانجيل وتأيده شهادة اعتراف بصحته.

وقد مرّت عليك أقوال المؤرخين من المسيحيين أن تأليف هذا الإنجيل كان بعد موت بطرس. فلقد اتفقت كلمة النصارى على أن قاتل بطرس هو (نرون) القيصر المعروف الذي ألقى القبض على بطرس ثم طلب الأخير منه أن يقتله على نفس الطريقة التي قتلوا فيها المسيح ﷺ - حسب زعمه - هذا وقد اتفقوا على أن المسيح ﷺ قد قُتل - على زعمهم - عام ٣٣ م.

وقد عاش بطرس بعد صلب المسيح ٣٢ عاماً وهذا يعني أنه قد قتل عام ٦٥ م، مع أنهم يعترفون أن تأليف إنجيل يوحنا كان عام ٩٥ أو ٩٨ كما صرّح الدكتور (بوست) نفسه، وكذلك المفسر المسيحي المعروف (هورن) في تفسير الجزء الرابع فقد صرّح فيه: إن إنجيل يوحنا كُتب عام ٩٨ أو ٩٩ م. وعلى ذلك يكون تأليف هذا الإنجيل قد تمّ على أقل التقادير بعد قتل بطرس بـ (٣٣) عاماً، وبذلك تُرد تلك المحاولات التي سعى بها بعض المتعصبين للدفاع عن إنجيل يوحنا، ويكتشف المطالع الدقيق التناقض الذي وقع فيه الدكتور (بوست) وهو كافٍ لإبطال تلك العقيدة الخرافية،

إذاً فالنتيجة التي وصلنا إليها هي اختلافهم في تاريخ تأليف الإنجيل، ومجهولية الكاتب، وهما كافيا لنسف المعتقد بالإضافة إلى ما سيأتي في المقالات اللاحقة إن شاء الله.

المقالة الثالثة مشرة

إبطال الكتب والرسائل

ومجهولية الكاتب لدى النصارى

قد عرفنا أنّ الأناجيل الأربعة لا تتصل بالمسيح عليه السلام بسند صحيح ولهذا لا يمكن الركون إليها، أو الاعتماد عليها والإطمئنان بها ككتب سماوية والآن تأتي مجموعة كتب ورسائل اهتم بها أرباب الكنائس أكثر من إهتمامهم بالأناجيل الأربعة السالفة الذكر، وذلك لإعتقادهم أنّ الأناجيل تحكي قصة المسيح عيسى عليه السلام، وبعض مواعظه، بينما تشمل هذه الرسائل مجموعة من التعاليم والأحكام والمباني الدينية التي يعتمد عليها المكلف، ولكي ندخل في صلب الموضوع علينا أن نذكر مقدمة مختصرة نوضح فيها هذه الرسائل:

عدد هذه الكتب والرسائل ٢٢ وهي كالتالي:

١- أعمال الرسل وقالوا: إنّ الذي كتبها هو لوقا صاحب الإنجيل.

٢- و ١٤ رسالة منسوبة إلى (پوكس اليهودي).

وهذه الرسائل عبارة عن:

رسالة إلى أهل رومية

ورسالتان إلى أهل كورنشوس،

ورسالة إلى أهل غلاطية

ورسالة إلى أهل أفسس

ورسالة إلى أهل فيلبي

ورسالة إلى أهل كولوسي

ورسالتان الى أهل تسالونيكى

ورسالة إلى تيموثاوس

ورسالة الى تيطس

ورسالة إلى فليمون

ورسالة إلى العبرانيين

ورسالة يعقوب

ورسالتان لبطرس

وثلاث رسائل إلى يوحنا

ورسالة منسوبة إلى يوحنا.

وهناك دلائل - عند علماء النصارى - تشير إلى أنّ هذه الرسائل مشكوك

في أمرها إلى عام ٣٦٣ م، بينما أعرض بعض المحققين المسيحيين عن مجموعة من فقرات هذه الرسائل.

فقد ذكر المفسر (هورن) في كتابه الرابع المشار إليه سابقاً: إنّ رسالة بطرس

الثانية، ورسالة يهودا والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا وكذا رؤياه لا توجد في

الترجمة السريانية، وكذلك ذكر السيد (وارد كاتلك) في ص ٣٧ من كتابه المطبوع

عام ١٨٤١ م إنّ (راجرش) وهو من كبار علماء البروتستانت أورد أسماء

مجموعة كبيرة من علمائهم الذين قالوا إنّ رسالة العبرانيين، ورسالة يعقوب

والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهودا ورؤيا يوحنا ليست من الكتاب

المقدس، بل هي أكاذيب وصريح الدكتور (بليس) وهو من كبار علماء

البروتستانت إنّ هذه الكتب والرسائل إلى زمان (يوسى بيس) المؤرخ المسيحي

المعروف لم تكن مورد القبول، وقد استدل هذا المؤرخ بالدلائل الواضحة على

أنّ الرسائل المسيحية ليست من تأليف الحواريين.

وذكر المفسر (لاردنر) في تفسيره في الجزء الرابع: إنَّ (سِمرل) وكذلك كنيسة أورشليم - في عهده - أنَّ رؤيا يوحنا لم تكن مورداً للقبول. ولا يوجد في كتاب الفهرست القانوني اسم لهذه الكتب والرسائل، وكذا رؤيا يوحنا لم تكن في الترجمة السريانية القديمة أبداً.

واستدل (پور وفرا يوالد) بدلائل عالية على استحالة كون إنجيل يوحنا ورسائله، وكتبه ورؤياه من تأليف شخص واحد وكذلك ذكر المؤرخ المسيحي المعروف (يوسي بيس) في تاريخه^(١): إنَّ (ديوني سيش) قال: إنَّ قدمائنا ذكروا إنَّ كتاب الرؤيا ليس من الكتاب المقدس، وقال أيضاً: أنَّ نسبة هذه الكتب إلى الكتاب المقدس من شدة الجهل وإنعدام العقل، ثم أنَّ نسبة هذا الكتاب إلى يوحنا الحواري من الأخطاء المحضة، لأنَّ مؤلفها لم يكن مسيحياً بل هو أحد الصلحاء، وقد عمل (سرن تهسن) الملحد على نسبتها إلى يوحنا.

وذكر (ارجن) المفسر المعروف في المجلد الخامس من تفسيره لإنجيل يوحنا: إنَّ پولس لم يكتب شيئاً إلى الكنائس، نعم لقد كتب إلى بعضها ولكن لم تتعد كتابته السطرين أو الأربع. فما نسب إليه من هذه الرسائل غير صحيح، بل هي نسبة مجعولة ومكذوبة ومخرعة.

وقال (پاستيس) وهو من علماء طائفة (مانيكيز) في القرن الرابع الميلادي: لم يكتب المسيح ﷺ ولا الحواريون كتاب العهد الجديد، بل كتبه رجل مجهول الاسم ثم نسبته إلى الحواريين وأصحابهم.

كان هذا مختصراً عن عقيدة علماء النصارى بالرسائل والكتب أي بما يسمى بـ (العهد الجديد) والعامل يرى تضارب لإرائهم وعدم إستقرارهم على

رأي واحد، فالمطلوب من الشباب المتفتحين الذين يسعون وراء الدليل والبرهان أن يحكموا بمنتهى الإنصاف أيجوز إتباع المسيحية والحال هذه؟ أيجوز الإعتماد على أمور لا سند لها ولا دليل يحكمها ويدعمها؟ بل صرّح العلماء ببطلانها ومزخرفاتها.

فالعاقل يحكم بعقله قبل عواطفه وينكر هذه المزاعم قبل الإيمان بها، لأنها ليست ذات صلة بالسماء، بل أمور تدخل البشر في صناعتها وسباكتها.

المقالة الرابعة عشرة

مَن هو بولس؟ وأين ولد ونشأ؟ وكيف تحوّل من اليهودية إلى المسيحية؟

يحتل (بولس) موقعاً متألّقا في قلوب النصارى وعند المتابعة والتدقيق والتحليل يظهر أنّ له مقاماً أعلى من مقام المسيح بن مريم عليه السلام، وكلماته التعليمية مقدّمة على كلمات المسيح عليه السلام ولهم إهتمام بالغ به أكثر من غيره. وعندما يمرون على أخطائه وأعماله القبيحة تراهم في منتهى التأثير والتأسف محاولين إصلاحها وإيجاد الأعذار المناسبة لها لتحسين صورة بولس. وسنسلط الضوء على هذه الشخصية لينكشف الإلتباس وتظهر على حقيقتها بدون الرتوش التي أضافها المسيحيون.

أولاً: هناك اختلاف والتباس في محل ولادة وسكنى بولس بين العلماء والمؤرخين المسيحيين، بل حتى في سفر (أعمال الرسل) يظهر التناقض واضحاً، فقد جاء في هذا السفر في الإصحاح ٢١ اعتراف بولس أنّه رجل يهودي حيث قال: «فقال بولس انا رجل يهودي طرسوسي من أهل مدينة غير دينية من كيليكية»^(١).

وكذلك نظير هذا الإعتراف في الإصحاح ٢٢ من سفر أعمال الرسل حيث قال بولس: «أنا رجل يهودي ولدتُ في طرسوس كيليكية ولكن ربيتُ في هذه

(١) رقم الآية ٣٩ ص ٢٣٢ من الطبعة الحديثة.

المدينة - اورشليم»^(١).

ولكنه ناقض ذلك في الإصحاح ٢٣ من سفر أعمال الرسل حيث اعترف قائلاً: «أنا فرّيسي بن فرّيسي على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم»^(٢).

ولكنه لم يكتف بهذا التناقض حتى ناقضه بآخر في الإصحاح ٢٢ من السفر نفسه في الفقرة ٢٥ حيث قال: في معرض احتجاجه مع الذين أرادوا جلدته: «قال بولس لقائد المئة الواقف أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير مقضي عليه فإذا سمع قائد المئة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلاً انظر ماذا أنت مزعم أن تفعل، لأنّ هذا الرجل روماني فجاء الأمير وقال له: قل لي أنت روماني؟ فقال: نعم، فأجاب الأمير أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية فقال بولس: أما أنا فقد ولدتُ فيها».

والآن أين العقلاء والمنصفون ليلاحظوا هذه التناقضات الثلاث في سفر واحد، أي يمكن مع كل هذا التعارض أن نصدّق بالإنجيل؟ ولو صدّقنا - جدلاً - فأي الأقوال هو الصحيح؟ وما الدليل؟ أين الشباب الواعي المفكر من المسيحيين ليدققوا ولو مرة واحدة في مثل هذه الملابس وليعرفوا أنّهم لا على شيء،

ولكن لو أردنا تفسير أقواله المتعارضة لعرفنا أنّه كان يهودياً بالاتفاق حتى بدون أي شك، ولكنه لما رأى الشياطين التي لا طاقة له بها، كذب وزعم أنّه روماني لينجو منها وقد نجى فعلاً، والكذب أحد دلائل يهوديته، لأنّ اليهود عُرفوا على مرّ التاريخ بالحيل والمكر والخديعة والتوسل بأقذر الأسباب للوصول إلى رغباتهم.

والآن نسأل من المسيحيين المنصفين: أيجوز لكم إتّباع هذا الرجل

(١) رقم الآية ٣ ص ٢٣٢.

(٢) رقم الآية ٦ ص ٢٣٤.

الكاذب الذي كذب مراراً - كما سنشير إليه - ؟

وإذا كان كاذباً فَمَنْ يقول إنَّ كلماته ومقالاته وكتبه صادقة؟ ومن أين يأتي احتمال صدقها مع تواتر احتمالات كذبه؟ وحتى لو ثبت صدقه - جدلاً - فماذا سيكون جواب تلك التناقضات الثلاث؟ فعلى أهل الكنائس أن يقدموا للناس جواباً مقنعاً مصحوباً بالدليل.

المقالة الخامسة عشرة

فضح لحالات بولس والإشارة الى خيانتة لدين المسيح ﷺ

عرفنا من المقالة السابقة مولد ومسكن بولس ولو على صعيد التناقض، والآن نريد الوقوف على بعض حالاته ولكن الولوج في هذا الطريق عسير جداً إذا لا توجد وثائق تاريخية يمكن الإعتماد عليها، إلاّ سفر (أعمال الرسل) وهذا هو الآخر غير معتبر من ناحية السند كما مرّ سابقاً ولكن يظهر أنّ أعمال الرسل أكثر اعتباراً من غيره - مع ضعفه في نفسه - فيما يتصل بحالات بولس ومع ذلك سنبدأ منه.

يمكن القول إنّ حياة بولس انقسمت إلى قسمين: القسم الأوّل هو الإجرام والظلم، والقسم الثاني هو الإيمان إعتماداً على الإصحاحات ٨ و ٩ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٦ من سفر أعمال الرسل.

القسم الأوّل من عمره عبارة عن: عداوته، ومكره، وظلمه، وشدة نقمته على المسيحيين حتّى أنّه لم يجد في زمانه من هو أشدّ إجراماً وظلماً منه - من اليهود ضد المسيحية.

حيث ذكر في أعمال الرسل الإصحاح الثامن «وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في اورشليم فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل، وحمل رجال أتقياء...

وأما شاؤل (وهو اسم بولس عندما كان يهودياً) فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت، ويجرّ رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن».

وكان (شاؤل) وهو اسم بولس في اليهودية ممن يرضى ويفتي بقتل

المؤمنين بالمسيح ﷺ^(١) وعلى يده عذب الكثير من النصارى من الرجال والنساء بأنواع العذاب، فقد جاء في الإصحاح ٩ من أعمال الرسل ما نصه: «أما شاول لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم موثقين إلى اورشليم».

هذا مختصر عن القسم الأول من حياة بولس الإجرامية أَعتمدنا فيه على سفر أعمال الرسل، ولكن المطالع للكتب التاريخية في هذا المجال لوجد العجب العجاب من جرائم هذا الرجل وقساوته وإرهابه.

وأما القسم الثاني من عمره فقد بدأ بشكل عجيب بلا مقدمات حيث لم يكتف بالهداية والصلاح بل اعتبر نفسه رسولاً مرسلًا من قبل المسيح ﷺ ويبدأ السيناريو لهذه الحكاية هكذا:

«وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغته أ برق حوله نورٌ من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاول شاول لماذا تضطهدينى؟ فقال: مَنْ أنتَ ياسيد؟ فقال الرب أنا يسوع الذي تضطهدينى...^(٢) قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل، وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً، فنهض شاول عن الأرض وكان هو مفتوح العينين لا يبصر أحداً فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيام لم يبصر ولا يأكل ولا يشرب»^(٣).

وزعم بولس أنه من تلك اللحظة صار مبعوثاً بالرسالة وقد حلت فيه روح

(١) أقول: انظر آخر فقرة في الإصحاح ٧ من سفر أعمال الرسل / المترجم.

(٢) لا يخفى أن هذه الجملة هي كفر صريح كيف صار عيسى ﷺ رباً؟ / المؤلف.

(٣) سفر أعمال الرسل الإصحاح ٩ الفقرة ١ وما بعدها.

المسيح عيسى ﷺ وصار محلاً للوحي.

إِلَّا أَنَّ أَرْبَابَ الْكِنَائِسِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِعِيسَى ﷺ الْمُطَّلَعِينَ عَلَى إِجْرَامِ بُولُسَ وَمَكْرِهِ، وَحِيلِهِ لَمْ يَصْدَقُوهُ وَلَمْ يَتَابِعُوهُ إِلَى أَنْ شَهِدَ بَرْنَابَا عَلَى صَدَقِهِ فَصَدَقُوهُ - كَمَا اعْتَرَفُوا بِذَلِكَ - وَمِنْذَ ذَلِكَ الْحَيْنَ بَدَأَ بُولُسُ بِوَضْعِ خَطَّتِهِ الرَّهِيْبَةِ الَّتِي سَتَنْسِفُ الْمَسِيحِيَّةَ الْأَصِيلَةَ وَمِبَادئَهَا الْعِيسَوِيَّةَ وَيَقْلِبُهَا رَأْساً عَلَى عَقْبٍ وَيَدْمُرُهَا بِمَزْخَرَفَاتِهِ، وَأَبَاطِيلِهِ، وَأَكَاذِيْبِهِ وَسَفَاسِفِهِ فَهُوَ الَّذِي قَالَ: إِنَّ عِيسَى هُوَ الرَّبُّ، وَتَارَةً أُخْرَى قَالَ لَهُمْ: إِنَّ عِيسَى ابْنُ اللَّهِ، وَهُوَ الَّذِي أَطْلَقَ لَهُمُ الْحَرِيَّةَ مِنَ الْإِلْتِزَامِ بِظَوَاهِرِ الشَّرِيعَةِ وَرَبَاحِ لَهُمْ كُلِّ شَيْءٍ.

وَمِنْذَ ذَلِكَ الْحَيْنَ دَبَّ الْخَرَابُ فِي دِينِ الْمَسِيحِ عِيسَى ﷺ، وَدَخَلَتِ الزُّنْدَقَةُ وَالْأَهْوَاءُ، وَالْأَبَاطِيلُ إِلَى شَرِيعَةِ اللَّهِ وَالَّذِي سَتَنْتَاوُلُهُ فِي الْمَقَالَاتِ الْأَحْقَقَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

المقالة السادسة عشرة

العوامل التي تفوق بها بولس ونفذ من خلالها إلى
المسيحيين

قد يخطر في ذهن البعض هذا السؤال: كيف يمكن لشخص واحد أن يغيّر
شريعة كاملة بالمكر، والشيطنة حتى صار كلامه نافذاً أكثر من نفوذ كلام بطرس
وصي عيسى عليه السلام الحقيقي، بل صار نافذاً أكثر من كلام عيسى عليه السلام نفسه حتى
قدّمت رسائل بولس في إنجيل اليوم؟

والجواب: إنّ التقدم والغلبة والظفر - في الباطل أو الحق - لا يتم إلا مع
وجود مقدمات وصفات وخصائص وإمميزات كالعقل الكامل، أو العلم أو المكر
والشيطنة والدهاء، أو القوة المادية وما إلى ذلك، والمتتبع للتأريخ المسيحي
يكشف أنّ بولس امتاز بثلاث أشياء هي التي أهلّته وجعلته متفوّقاً حتى غلب
أهل الحق وهذه الأمور الثلاث هي:

١- إنّ له نفساً قوية وفعّالة جداً فلا يمل ولا يتعب، بل كان دائم الحركة
والنشاط وشديد السرور بعمله وإنجازاته.

٢- كان شديد الذكاء، دائم الفكرة مستعينا بالمكر والدهاء ومواصلاً تدابير،
وخطه في نشر أفكاره ورد أعداءه بكل قوة ومتحملاً للهجمات.

٣- وكانت له قدرة فائقة على البيان والتعبير حتى أنّه كان يسحر المستمعين
إليه بقوة صياغته للعبارات في قوالب بلاغية رائعة فكانت كلماته مؤثرة للغاية في
نفوسهم مما سهّل عليه كثيراً من الوقت والجهد.

فمن خلال هذه اللياقات استطاع بولس أن يؤثر على النصارى، بل صار

من أكبر دعائهم حتى صاغ لهم ديناً آخر حيثُ ادّعى بأنّه رسولٌ من قبل عيسى عليه السلام ليكون قوله حجة بلامنازع ولا أدنى نقاش!! حتى بالنسبة لبرنابا،

وعلى أثر ذلك نسى المسيحيون السوابق الفظيعة لبولس التي راح ضحيتها الأبرياء، وقبلوا كلماته وتلقوها بأحسن حال.

ولكن مع التدقيق في التعاليم التي أتى بها بولس وتعاليم المسيح عليه السلام يظهر الفرق الواضح بينهما وسوف نشير إلى ذلك لاحقاً.

وأما ما يشير الدهشة عند العلماء القدماء هو كيف يتحول الإنسان الكافر الذي غرق في بحر الضلالة والظلم والإجرام، إلى إنسان مؤمن صالح قد محض الإيمان محضاً بدون المرور بأدنى المقدمات؟!

نعم هناك شواهد عديدة لإناس كانوا كفاراً وصاروا مؤمنين، ولكن العجيب في أمر بولس أنّه تحوّل من حالة الكفر إلى حالة الإيمان الكامل بدون المرور بأي مقدمة روحية أو فكرية، فهذا ما ليس له نظير في العالم كلّ،

لإنّ المطالع لحياة الأنبياء العظام الذين اشترطنا العصمة فيهم في المقالات الأولى يلاحظ أنّهم كانوا يمرون قبل نبوتهم وبعثتهم بمراحل ومقدمات مليئة بالروحانية والرياضات الشرعية، والصفاء القلبي والإستعداد الفكري والروحي التام لإستقبال الوحي الإلهي مع عصمتهم التامة قبل البعثة عن أدنى المعاصي والقبائح.

هذا كلّ لم يتحقق في بولس فقد قضى أكثر من نصف عمره في المعاصي والمنكرات والجرائم وقد غرق في الكفر وسفك دماء المؤمنين فأورثته هذه الأعمال قساوة القلب، وغلظة الطبع مما يحجبه عن حصول حالة الصفاء القلبي الباطني.

ومن الطبيعي أنّ زوال هذا الحجاب الملوّث يحتاج إلى مدة مديدة ورياضة

خاصة، لأنّه تحوّل إلى ملكة والأخيرة لا يمكن زوالها في لحظة أو يوم أو ثلاثة أيام، وأكثر من ذلك فيما لو أراد صاحب هذه الأعمال القبيحة والملكات الفاسدة أن يصل إلى مرحلة السفارة - كما يزعم بولس - فالقضية تحتاج إلى جهد جهيد لا ينتهي بالشهور والسنين. هذا من جهة.

ومن جهة ثانية فإننا - وفقاً للأدلة العقلية - اشترطنا عصمة الأنبياء ﷺ والأوصياء قبل وبعد البعثة، وهو غير متوفر في بولس تماماً.

ومع كل هذا الوضوح في فساد أمر بولس نرى المسيحيين من الشباب الدارس، والعلماء المفكرين، والشخصيات المهمة يتابعون رسائل وكلمات بولس بشكل أعمى وتقليدي إتباعاً لآبائهم وأسلافهم دون أن يعطوا لعقولهم فرصة التفكير أو مجال لمراجعة الحقائق، ولا حتى أدنى ممارسة من التأمل بين تعاليم المسيح عيسى ﷺ وبين تعاليم وتناقضات بولس الذي لم يُعرف أمره أكان يهودياً أم رومياً أم ماذا؟

لا أدري لماذا لا يراجعون التاريخ ليعرفوا أن بولس الذي كان اسمه (شاؤل) هو أعدى أعداء المسيح ﷺ وقد تتلمذ عند علماء اليهود المتعصبين الذين شكّلوا مجلس (صان هدرين) الذي يُعرف بـ (عمائيل) وكانت مهمته محو اسم المسيح ﷺ وأتباعه؟

وكيف لا يتأملون في المفارقة الرهيبة التي أوردها بولس في إنجيله حينما انتخبه الله تعالى للرسالة وأنزل عليه النور الإلهي وهو يمارس أقسى الأعمال الإرهابية من القتل والتعذيب لجماعة المؤمنين؟ كيف يستقر ذلك النور المقدس في هذا القلب المظلم؟ أو هكذا يجتبي الله أناساً لرسالته؟!

العجب كل العجب كيف يُسحر شعب بأكملة فيصدق الأكاذيب، ويرضى كل الرضا إلى حد السرور بالمتناقضات، بل بالتعاليم المخالفة للمسيح عيسى بن

مريم عليها السلام ومع ذلك يطلقون على أنفسهم أنهم مسيحيون، وكان الأحرى بهم أن يكونوا بولسيين.

لقد وقف أفراد قلائل بوجه بولس وعرفوا أنه قد فشل في القضاء على المسيحية عن طريق الإرهاب والعنف فلذلك استخدم سلاحاً آخر للقضاء على دعوة المسيح عليه السلام وهو أكثر فتكاً من الأول ألا وهو الدهاء والمكر حيثُ زعم أنه أصبح من جملة النادمين والمؤمنين بالمسيح عليه السلام بل من أكبر الدعاة إلى المسيحية، وبهذه الطريقة استقطب جماهير غفيرة وقطاعات كبيرة من السذج الذين صدّقوا به، ثم عمل بمنتهى الذكاء على إبعادهم عن الدين الحقيقي - لا سيما مع عدم وجود الكتاب المقدس - وأدخلهم في دين جديد تحت زعامته وكان هذا السلاح أقوى من الأول إذ تمّ صهر جميع تعاليم المسيح عليه السلام وإبدالها بتعاليم أخرى. وسنأتي في المقالات اللاحقة على نفس هذه الإنحرافات وتبرأ السيد المسيح عليه السلام منها.

المقالة السابعة عشرة^(١)

إنعدام تاريخ رسائل بولس

قلنا سابقاً إنه لا توجد أي وثائق تاريخية عن حالات بولس إلا ما هو موجود في سفر أعمال الرسل،

وأثبتنا من قبل أن هذا السفر لا يملك الدليل القطعي على صحته وذلك لوجود الشك في كاتبه فلم يُعرف بل بقي مجهولاً واتباعاً لذلك فإن بولس سيبقى في مساحة المجهول هو الآخر، وعلى ذلك فإن الكتب والرسائل التي لا يُعرف كاتبها وصاحبها تسقط عن الاعتبار.

فهناك رأي ذكره علماء النصارى في بعض كتبهم إن كاتب سفر أعمال الرسل) هو لوقا وليس بولس، مع اننا ذكرنا سابقاً أنهم لم يتفقوا على شخصية لوقا نفسه، هل هو ذلك الرسام الروماني، أم أنه الطبيب الأنطاكي؟ وهل هو تلميذ المسيح ﷺ أم أنه تلميذ تلامذته وأتباعه؟ وهكذا تتعدد الاحتمالات وتكثر دون جدوى، إذ لم يُحسم النزاع في هذا الأمر أبداً. فضلاً عن عدم تمامية سند إنجيله وإنقطاعه عند السيد المسيح ﷺ.

إذاً ما مذكور في (أعمال الرسل) لا يُتم الأخذ به ما لم يعرف الإنسان عن

(١) أقول: لقد أعاد المؤلف أكثر الكلام المتقدم في المقالات السابقة هنا تماماً وأشار إليه وإلى أرقام المقالات ولهذا عزفنا عن ترجمة المتكرر منها لكي لا يشعر القارئ بالملل / المترجم.

بولس كل شيء هذا من جهة، ويعرف بالدلائل القطعية أنَّ هذا السفر يتصل بالسيد المسيح ﷺ من جهة أخرى وإلاَّ لا يكفي مجرد إدعاء بولس للسفارة، أو الرسالة، لأنَّ سوابقه وسيرته الأولى لا تنهض به ولا تساعد على ذلك، هذا ما يحكم به العقل السليم والمنطق الحق.

المقالة الثامنة عشرة

اختلاف أقوال الأناجيل في أصل ونسب عيسى بن مريم عليه السلام

قلنا سابقاً إنَّ سعادة أي مجتمع بشري تتوقف على مقدار تطبيقه للشريعة الإلهية التي يدين بها، وإلتزام الأفراد بأحكام ومبادئ دينهم، وطاعتهم لنبيهم. وأما ثبوت أصل النبوة فهو يتوقف على الأمر المعجز الخارق للعادة الذي يعجز الناس عن الإتيان به، وأيضاً يتم إثبات النبوة من خلال الشرائع والأحكام والتعاليم التي يأتي بها النبي المدونة في كتابه الذي يُشترط فيه أمران:

١- أن يحصل الإطمئنان واليقين التام في سند الإِتصال، ونسبة الكتاب المقدس إلى النبي عليه السلام بشكل قطعي ومتواتر غير قابل للشك أبداً.

٢- أن يخلو الكتاب من التناقض والتعارض والاختلاف ليصدق عليه أنه من قبل الخالق الحكيم الذي لا يغفل ولا يسهو ولا يجهل^(١) وهذان الشرطان غير موجودين لا في العهد القديم - التوراة - ولا في العهد الجديد - الإنجيل -.

لأنَّهما لم يصح انتسابهما إلى النبي عيسى عليه السلام بالتواتر والقطع، ولوجود الاختلافات والتناقضات فيهما كما أشرت سابقاً.

ومن المعلوم أنه لم يأت النبي عيسى عليه السلام إلاً بإنجيل واحد، والحال أننا نلاحظ أربعة أناجيل. فمن أين جاءت هذه الكثرة مع أن الأصل واحد؟

ولقد حاول بعضهم أن يجيب: بأن (متى) و(مرقس) و(لوقا) و(يوحنا) كانوا

(١) ولذلك كان المفروضون من أهل الضلال يسعون بمختلف السبل للنيل من الأنبياء من خلال تحريف الكتب المقدسة وتغييرها وإدخال المزخرفات فيها وإيجاد الاختلاف والتناقض في نصوصها / المؤلف.

كُتَاباً لِلْإِنْجِيلِ لَا أَكْثَرَ، أَيْ هُنَاكَ تَعَدَّدُ فِي الْكُتَّابِ لَا فِي الْكِتَابِ.

وَلَكِنْ يُمْكِنُ رَدُّ هَذِهِ الْمَزَاوِعَ بِأَنْ نَقُولَ لَهُمْ: لَا مَانِعَ مِنْ تَعَدَّدِ كُتَّابِ الْوَحْيِ وَلَكِنْ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَخْتَلِفَ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ فِيمَا يَكْتُبُونَ - كَمَا هُوَ حَاصِلٌ فِي الْأَنْجِيلِ فَعَلًا -، فَمِثْلًا نَجِدُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَخَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ الَّذِي كَتَبَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا تَخْتَلِفُ آيَاتُهُ عَنِ الْقُرْآنِ الَّذِي كَتَبَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَالْأَخِيرَ لَا يَخْتَلِفُ قِرْآنُهُ عَنْ بَقِيَّةِ قِرَآئِنِ كُتَّابِ الْوَحْيِ أَوْ غَيْرِهِمْ، بَلِ الْقُرْآنُ وَاحِدٌ مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَحَتَّى الْآنَ، وَهُوَ وَاحِدٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى رَغْمِ اخْتِلَافِهَا فِي أُمُورَ كَثِيرَةٍ إِلَّا أَنَّهَا - الْفِرَقَ - لَمْ تَخْتَلِفْ عَنِ الْقُرْآنِ بَلِ اتَّحَدَتْ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْمَتَدَاوِلَ الْيَوْمَ هُوَ نَفْسُ ذَلِكَ الْقُرْآنِ الَّذِي كُتِبَ قَبْلَ أَكْثَرِ مِنْ أَلْفِ عَامٍ، فَتَعَدَّدُ كُتَّابُ الْوَحْيِ - أَيْ الَّذِينَ كَتَبُوا الْقُرْآنَ - لَا يُوَدِّيْ إِلَى حَصُولِ الْإِخْتِلَافِ فِي أَصْلِ وَوَحْدَةِ الْكِتَابِ الْإِلَهِيِّ وَسَوْفَ نَتَنَاوَلُ هَذَا الْبَحْثَ لَاحِقًا.

وَبِمَا أَنَّنَا لَمْ نَعَاوِرِ النَّبِيَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ نَعْرِفْ عَلَى وَجْهِ الدَّقَّةِ أَيْنَ ذَهَبَ كِتَابُهُ الْمَقْدَسُ - الْأَصْلِيُّ - وَعَلَيْهِ فَعِنْدَمَا نَرِيدُ أَنْ نَعْرِفَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ نَرَاجِعُ هَذِهِ الْأَنْجِيلَ الْأَرْبَعَةَ، وَحِينَئِذٍ نَحْظُنَّهَا بِتَأَمُّلٍ دَقِيقٍ وَفَقِ الْأَدْلَةَ الْعَقْلِيَّةَ وَالتَّارِيخِيَّةَ وَجَدْنَا مَا يَكْفِي لِلْحَكْمِ عَلَيْهَا بِالْجَعْلِ، وَالتَّحْرِيفِ لَوْجُودِ الْإِخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ وَالتَّعَارُضِ وَالْأَكَاذِيبِ الَّتِي تَفْضَحُهَا الْحَقَائِقُ الْمُسَلِّمَةُ، وَالْوُجْدَانُ السَّلِيمُ وَالسَّيْرَةُ الْعَقْلَانِيَّةُ، وَلَا يُمْكِنُ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ الْمَخْتَصِرَةِ أَنْ أَذْكَرَ مُصَادِقَ هَذِهِ الْفَضَائِحِ وَالْإِخْتِلَافَاتِ وَلَكِنْ أَكْتَفِي بِالْإِشَارَةِ إِلَى مُورِدِ وَاحِدٍ وَهُوَ اخْتِلَافُ إِنْجِيلِ مَتَّى مَعَ إِنْجِيلِ لَوْقَا حَوْلَ أَصْلِ وَنَسَبِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

١- جَاءَ فِي إِنْجِيلِ مَتَّى أَنَّ يُوسُفَ النَّجَّارَ (وَهُوَ الشَّخْصِيَّةُ الْوَهْمِيَّةُ الَّتِي

صنعها اليهود واعتبروه زوجاً لمريم) هو من أبناء يعقوب^(١)، بينما جاء في إنجيل لوقا أن يوسف ابن هالي^(٢).

٢- وجاء في إنجيل متى أن آباء المسيح ﷺ من داود وإلى الجلاء البابلي كانوا من السلاطين والمشهورين^(٣) بينما جاء في إنجيل لوقا أن آباء المسيح ﷺ لم يكونوا من السلاطين ولا مشهورين.

٣- وجاء في إنجيل متى أن عيسى ﷺ من أولاد سليمان بن داود^(٤)، بينما ذكر لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود^(٥).

٤- وجاء في إنجيل متى ضمن سلسلة آباء عيسى ﷺ اسم: «شألتئيل بن زربابل»^(٦)، بينما ذكر في إنجيل لوقا بغير لفظ (شألتئيل بن يري)^(٧).

٥- جاء في إنجيل متى اسم ابن زربابل هو (ابيهود) بينما اسم ابن زربابل في إنجيل لوقا (ريسا)^(٨).

٦- وفي إنجيل متى أن عيسى ﷺ يتصل بـداود ﷺ بستة وعشرين واسطة من الأباء، بينما في إنجيل لوقا واحد وأربعين واسطة، ولما كانت الفترة الزمانية بين عيسى وداود ﷺ هي ألف عام فتكون الفترة بين كل واسطة من الوسائط التي ذكرها متى أربعين عاماً بينما تنقلص إلى خمس وعشرين عاماً على ما ذكره لوقا.

(١) راجع إنجيل متى الإصحاح الأول الفقرة ١٦ / المترجم.

(٢) إنجيل لوقا الإصحاح ٣ الفقرة ٣٣ / المترجم.

(٣) إنجيل متى الإصحاح الأول الفقرة ١٧ / المترجم.

(٤) المصدر السابق.

(٥) إنجيل لوقا الإصحاح ٣ الفقرة ٣١.

(٦) إنجيل متى الإصحاح الأول الفقرة ١٢.

(٧) إنجيل لوقا الإصحاح ٣ الفقرة ٢٧.

(٨) المصدر نفسه.

وهو اختلاف فاحش كما أشار إليه بعض المحققين المسيحيين أمثال (كهارن) و(كيسر) و(هيس) و(دبوت) و(ونيز) و(فرش)...

وانطلاقاً من هذا النموذج في التناقض بين إنجيل متى وإنجيل لوقا يمكن القول بأن أحدهما كاذب، بل هو محض الافتراء ولا علاقة له بالإلهام ولا بالسماء ولا بالمسيح ﷺ، لأننا لو قلنا - جدلاً -: إن كلاهما من عالم الغيب، وكلاهما موحى من الله تعالى نكون قد نسبنا التناقض إلى الله تبارك وتعالى وهو أمر محال اتفاقاً.

والآن لو أردنا أن نختار أحدهما ونعتبره صحيحاً دون الآخر لما حصلنا على الدليل القاطع على هذا الاختيار، إذاً ما هي المبررات العلمية والدلائل لترجيح أحدهما على الآخر؟ ولو أردنا أن ننفيهما معاً - لعدم قيام الدليل على صحة أحدهما معيناً - لما وصلنا إلى شيء، وعليه فلا بد من النظر إلى كل واحد منهما بنظر الشك والريب، وإذا تحول الكتاب السماوي إلى هذا المستوى فهو ليس سماوياً ولا يمكن الاعتقاد به ولا التعبد به أو الالتزام بمضامينه، ومن جهة أخرى ذكر التاريخ المسيحي أن إنجيل لوقا كتب بعد إنجيل متى بمدة طويلة، وعلى ذلك فلو كان إنجيل متى موجوداً مع لوقا قبل كتابته لإنجيله لما وقع في تلك الأخطاء الفاحشة، بل أنه سوف يراجع ويقرأه، وعلى أقل تقدير لا يخالفه إلى هذا المستوى الفاضح، ولكن وجود هذه الاختلافات هي أكبر دليل على عدم إقرار لوقا بـ(متى) وإنجيله، وإلا لما خالفه فيما لو اعترف به أو كان كتابه عنده فنحن أمام احتمالين:

١- إما أن يكون لوقا معترفاً بأن متى شخصية وهمية ولا وجود لها، وأن إنجيل متى كتاب مزور لا يمكن أن يعتمد عليه.

٢- أو إنه كان يعلم أن إنجيل متى كتاب سماوي، ولكنه عمل على مخالفته

مع سبق الإصرار، لبث الاختلافات في هذه الديانة، وعلى كل حال فالعاقل يشك في كلا الإنجيلين ولا يطمئن بهما لاسيما إذا تعقب بقية موارد الاختلاف والتعارض لأنني أشرتُ إلى موضوع واحد وهو أصل ونسب النبي عيسى عليه السلام^(١)، ولكنه يكفي لإيجاد الإثارة عند الشباب المتحمس لمعرفة الحقيقة، ويدفعهم إلى تقصي جذور القضية والوصول إلى الهدف.

(١) سيشير المؤلف (رحمه الله تعالى) الى موارد الاختلاف بين الأنجيل في مواضيع متعددة لاحقاً / المترجم.

المقالة التاسعة عشرة

مناظرة مع بعض الشباب المسيحيين عن نسب عيسى عليه السلام

زارني أمس أحد الفضلاء من الشباب المسيحيين وكانت بيده بعض أعداد صحيفة (راية الإسلام) التي تُنشر فيها مقالاتي وقد حاورني وسألني لمدة ساعتين، في البدء ذكر لي فائدة الشباب المسيحي المثقف من هذه المقالات واهتمامهم بها فقد رفعت عنهم الكثير من الغطاء المرخى على قلوبهم طيلة هذه السنين حتى أنهم كانوا يذهبون بعد مطالعتهم للمقالات إلى علمائهم ويطرحون عليهم تلك الإثارات والتساؤلات ويعقدون معهم جلسات للحوار، فقد نالت المقالات إعجاب الكثير من الشباب الواعي، لأنها مشحونة بالأدلة العقلية والوثائق التاريخية ولكن مع كل ذلك بقيت عندنا أمور بحاجة إلى حوار.

ثم أردف قائلاً: لقد كانت آخر مقالة لكم في الاسبوع المنصرم حول نسب السيد المسيح ﷺ واختلاف الأناجيل في ذلك، وفعلاً فقد راجعنا الفقرات التي أشرت إليها في المقال فوجدناها كما هي وحينما سألنا علمائنا حول هذا الاختلاف في إنجيل متى ولوقا أيمن أن يكون من نفس الكتاب، أم من الله تعالى؟ فإن كان من الكتاب فهي ليست كتباً سماوية، بل كتبٌ تاريخية تعبر عن جهد بشري فقط وعليه فلا يمكن عدّها من أجزاء ما يجب الإيمان به.

وأما إذا قلتم أن الاختلاف من الله، وأن كلا الإنجيلين جاءا عن طريق الوحي والإلهام، إذاً لماذا هذا الاختلاف بينهما والمصدر واحد؟ ثم ما هو تكليف الناس وبأي الكتابين يعملون ويأخذون؟ وأيهما سيكون معبراً عن الحقائق والواقعات.

وفي الجواب قالوا لنا: إنَّ كلا الإنجيلين من الله، بل الأناجيل الأربعة كلّها من الوحي ولم تُكتب وفق ذوق لوقا.

فقلنا لهم: إذا كانت الأناجيل الأربعة كلّها بإلهام من الله تعالى فلماذا هذا الاختلاف فيما بينها، أيعقل أن يُقال: إنَّ الله تعالى قد أخطأ أو سها أو جهل؟ لاسيما مع مثل هذه التناقضات الفاحشة في نسب المسيح ﷺ.

فقالوا: إنَّ هذه الاختلافات ليست من الأهمية بمكان، إذ يوجد في التاريخ نظائر ذلك لاسيما في أنساب الأشخاص.

فقلنا لهم: صحيح يوجد اختلاف فظيع في كتب التاريخ، ولكن الأناجيل ليست كتب تاريخ بل هي كتب سماوية - إما أن تكون هي إنجيل عيسى، أو جاءت عن طريق الإلهام -، فإذا قلتم: إنَّها كتب تاريخ فلم يعد هناك أي مبرر للإلتزام والتعبد بها إلى هذه الدرجة.

وإن قلتم: إنَّها كتب إلهامية، قلنا: ما كان أن يوجد الاختلاف فيها؛ لأنَّ الله تعالى عالم حكيم ولا يجوز عليه الخطأ.

فقالوا لنا: لا يوجد أي اختلاف بين إنجيل متى ولوقا؛ لأنَّه من الممكن أن يكون متى قد ذكر نسب عيسى من جهة يوسف النجار، بينما إنجيل لوقا ذكر نسبه من جهة مريم؛ لأنَّ يوسف صهر هالي والد مريم، ولما لم يكن لهالي ولد فقد نسبوا يوسف لهالي.

ونحن - الكلام ما زال للشاب - لما لم يكن لدينا من المعلومات ما يكفي سكتنا إلى هنا ولم نحر جواباً، ولكن فكّرنا أن نتصل بك ونراك ونتعرف عليك وننهل من معين فيضك، ولهذا اتصلنا هاتفياً بإدارة صحيفة (راية الإسلام) وأخذنا منهم عنوانكم حتّى رأيناكم ونتمنى أن ترفدونا بالمزيد من علمكم وإذا كان عندكم جواب على كلام علمائنا فأرجو أن تذكروه في مقالاتكم اللاحقة لكي

يستفيد الجميع منه، وإلا لقلنا: إن إطلاعكم على كتبنا قليل ولما عادت مقالاتكم تجدي نفعاً.

وأنا - الكلام للمؤلف - بدوري أعطيت الإجابة الكافية على كلام علماء النصارى لهذا الشاب مع الأدلة التاريخية التامة ومن أجل الفائدة أذكر ردّي باختصار:

أولاً: قولهم إنّ مريم بنت هالي محض افتراء وادّعاء؛ لأنّ التاريخ المسيحي لم يذكر هذا القول أبداً ولو كان حقاً لنقلوه، ولما عجزوا عن نيل الوثائق التاريخية التي تُثبت ذلك لجأوا إلى توجيهات ركيكة وضعيفة وعلى سبيل المثال ما ذكره المفسر المعروف (آدم كلارك) فقد ذكر بعض التأويلات والتوجيهات الضعيفة في ذيل شرح الإصحاح الثالث من إنجيل لوقا، ورغم محاولاته الفاشلة فلقد أبدى تحيره وعدم قناعته بالمطلب.

إذاً فالقضايا المهمة لا تثبت بمجرد الإحتمال، فما ذكره متى في إنجيله عن نسب يوسف ردّه المحققون من علماء المسيحيين مثل (آدم كلاك) في المجلد الخامس من تفسيره.

ثانياً: ومما يدل على بطلان توجيه علماءكم إنّ إنجيل لوقا ذكر ذلك في معرض حديثه عن نسب يوسف، وكذا إنجيل متى فكلاهما يؤرخان لنسب واحد، لا أنّهما تناولا شخصان وهما يوسف ومريم. مع ملاحظة أنّ الإنجيل الذي نزل على عيسى ﷺ واحد، فلماذا هذا الاختلاف في مورد واحد؟ ولكي يتضح الموضوع لكم أكثر اقرأ عليكم نصّ الإنجيلين.

فقد جاء في إنجيل متى ما نصّه: «ويعقوب وَلَدَ يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع...» وفي إنجيل لوقا «ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يُظن ابن يوسف بن هالي».

فالدليل على إن هذه الأناجيل محرقة أن متى ذكر النسب في الإصحاح الأول الفقرة ١٦، بينما ذكره لوقا في الإصحاح الثالث الفقرة ٢٣ هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن عبارتهما مختلفتان وهو ما يدل على أن كاتب الإنجيل أكثر من واحد.

ثالثاً: وما قالوه من أن يوسف صهر هالي وأن الأخير لم يكن له ولد فنُسب يوسف إليه.. فهو خطأ واضح وذلك:

إن نسبة شخص لشخص آخر لا تثبت على نحو النسبية بل تثبت على نحو السببية، فلو قال كبير القوم: إن فلان مثل ابني فإنه لا يصير ابنه حقيقة ولا يدخل في نسبه.

وأضرب مثلاً واقعياً على ذلك من تاريخ الإسلام، فالنبي الأكرم ﷺ قال عن زيد وهو غلامه وخادمه: زيد ابني فاعتقد البعض أنه ابنه حقيقة فنزل القرآن الكريم لينفي مثل هذا التصور عند البسطاء من الناس ﴿وما جعل أديانكم ابنائكم ذلك قولكم بأفواهكم﴾^(١) فما ذكره من تلك النسبة خطأ واضح، وعلاوة على ذلك لم يرد ذكر هذه النسبة في التواريخ المتداولة في ذلك الزمن إذ لم يرد عندهم أن الصهر يدخل بعنوان الابن أبداً.

يبقى ما ذكره القساوسة مجرد إدعاء واحتمال أوردوه لكم عندما عجزوا عن الجواب الصحيح والمقنع لكم حول اختلافات الأناجيل.

رابعاً: لو كان كلامهم صحيح لزم أن يكون عيسى عليه السلام من أولاد ناثان لا من أولاد سليمان كما ذكره لوقا في الإصحاح الثالث من الفقرة ٣١. وعليه فعيسى عليه السلام ليس هو المسيح الموعود، لأن الأخير يجب أن يكون من نسل سليمان عليه السلام.

ولذلك سعى (كالوين) المرشد للبروتستانت رد هذا الادعاء الخاطيء وقال: كل مَنْ اعتقد أنَّ المسيح ليس من نسل نبي الله سليمان ﷺ فهو خارج عن المسيحية.

وعلى ضوء كلام (كالوين) سيكون لوقا خارج عن المسيحية؛ لأنَّه ينكر كون المسيح ابن سليمان ﷺ. وعليه فعلى القساوسة الذين تحاورتم معهم أن يوضحوا لكم أنَّ عيسى ﷺ المسيح الذي يعدّونه رباً أو ابن الرب (والعياذ بالله) هل هو من نسل النبي سليمان ﷺ أم من ناثان؟ وأي القولين صحيح قول متى أم لوقا؟ فالجمع بين هذين القولين محال، والالتزام بصحة أحدهما لا يكون إلا مع الأدلة المَرَّجة، فأما أن يقولوا بصحة أحدهما ويطرحون الآخر، وهذا فيه محذوران.

الأول: إنَّ ذلك إسقاطاً لأحد الأناجيل وهم لا يلتزمون به.

الثاني: إنَّ تعيين أحد القولين بلا دليل باطل. فلا يبقى إلا احتمال أخير وهو

إسقاط كلا القولين فكلاهما باطل، فإذا عجز علماءكم عن معرفة نسب عيسى ﷺ على وجه الدقة والتحقيق كيف أجازوا لانفسهم أن يتخذونه رباً؟! فاعتبروا يا أولي الأبصار.

المقالة العشرون

اختلاف الأناجيل في حياة عيسى عليه السلام ومكان توقفه

ومن جملة التناقضات بين الأناجيل هو اختلافها في حياة المسيح عليه السلام ومكان توقفه.

ففي إنجيل متى الإصحاح الثاني جاء ما نصه: «ولمّا ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك، وإذا بمجوس جاءوا من المشرق إلى اورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود؟ فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له، فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع اورشليم معه، فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح؟ فقالوا له: في بيت لحم اليهودية؛ لأنّه هكذا مكتوب بالنبي... حينئذٍ دعا هيرودس المجوس سرّاً وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر، ثم أرسلهم إلى بيت لحم، وقال: اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له، فلما سمعوا من الملك ذهبوا وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً، وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمّه، فخرّوا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومراً، ثم إذ أوحى إليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا في طريق أخرى إلى كورثتهم، وبعدما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً: قم وخذ الصبي وأمّه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك؛ لأنّ هيرودس مزع على أن يطلب الصبي ليهلكه، فقام وأخذ الصبي وأمّه ليلاً وانصرف إلى مصر، وكان هناك إلى وفاة هيرودس... فلما مات هيرودس إذا ملاك

الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلاً: قد وأخذ الصبي وأمه واذهب الى أرض إسرائيل، لأنه قد مات الذي كانوا يطلبون نفس الصبي ولكن لما سمع ان أرخيلوس يملك على اليهودية عوضاً عن هيرودس أبيه خاف أن يذهب الى هناك وإذ أوحى اليه في حلم انصرف الى نواحي الجليل وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة»^(١).

وجاءت هذه الاحداث في إنجيل لوقا ولكن بشكل آخر وخلصتها^(٢):
«فولدت - مريم - ابنها البكر - في بيت لحم - وقمطته وأضجته في المذود... ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع.. ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به الى أورشليم ليقدموه للرب... ولما أكملوا كل شيء حسب ناموس الرب رجعوا الى الجليل الى مدينتهم الناصرة... وكان أبواه يذهبان كل سنة الى أورشليم في عيد الفصح ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى أورشليم كعادتهم في العيد وبعد ما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما وإذ ظناه بين الرفقة ذهباً مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف ولما لم يجداه رجعا الى أورشليم يطلبانه وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالسا في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته، فلما أبصراه اندهشا... ثم نزل معهما وجاء الى الناصرة وكان خاضعا لهما»^(٣).

والآن قبل أن أضع اصبعي على مواطن الاختلاف في النصين أرجو من أهل العلم والمعرفة والإنصاف أن يتبعوا الحق ولا يخضعون للهوى والعادات

(١) إنجيل متى الإصحاح ٢ الفقرات من ١ - ٢٢ ص ٤ - ٥.

(٢) اختار المؤلف ان يختصر القصة في انجيل لوقا ونحن على إثره اقتطعنا الفقرات من الانجيل كما ذكرها المؤلف في أصل كتابه الفارسي / المترجم.

(٣) إنجيل لوقا الإصحاح ٢ الفقرات من ٧ - ٥١ ص ٩٢ - ٩٤.

ويدققوا في التناقضات الفظيعة والإختلافات الفاحشة والخرافات التي لا يمكن للعقل أن يلتزم بها أو يقبلها؛ لأنّها من أكبر الأدلة القاطعة على أنّ هذا الانجيل قد كُتبت عباراته وفصوله بأيدي غير أمينة ومن صنع البشر لا الوحي.

فقد ذكر متى إنّ في تلك الفترة جاء جماعة من المجوس الى بيت لحم وبشروا الملك بميلاد المسيح، وأنّ يوسف رأى الوحي في المنام وأمره أن يهرب مع مريم الى مصر خوفاً من هيرودس فبقوا فيها حتّى هلاك الملك وعادوا الى اورشليم بعد رحيل الملك واستقروا في الناصرة.

ولكن لوقا لم يذكر جماعة المجوس ولا هيرودس ولا ابنه وكذلك لم يذكر إنّهم هاجروا الى مصر، بل ذكر سفرهم من بيت لحم الى اورشليم لاجل الختان ومن هناك عادوا للناصرة.

فالعاقل يظل في حيرة من أمره في إنتخاب أي النصين وهما يتصادمان في عدة نقاط؟ فإذا كان الإنجيل واحداً فلماذا لا تتشابه الاناجيل مع بعض؟ وإذا كان هذا الكتاب قد دوّنه مجموعة من المؤرخين فلماذا اعتبروه كتاباً سماوياً وجعلوه كتابهم المقدس؟

ولا يتصور أحد أنّ الإلتفات الى هذه الإختلافات من إختصاص علماء المسلمين، بل اعترف العالم (نوتن) و(آدم كلارك) بجملة من هذه الإختلافات وأظهر غرابتهما وتعجبهما، ولكن مع ذلك اعتبروا أنّ إنجيل لوقا هو الأصح بدون أن يعتمدا على أدلة هذا الترجيح!! ولكن مع ذلك يستبطن ترجيحهما لإنجيل لوقا إعترافاً ضمناً ببطلان إنجيل متى.

وعلى كل حال فالعاقل المنصف لا يمكنه أن يرجّح أحد الإنجيلين على الآخر إلاّ مع الدليل، ومع توافر الإختلافات يزداد الشك فيهما معاً ويسقطا عن الإعتبار تماماً.

المقالة الواحدة والعشرون

اختلاف الإنجيليين في حادثة شفاء البنت

ومن جملة الاختلافات بين الأناجيل ما هو موجود بين إنجيل متى وإنجيل مرقس في حادثة لجوء امرأة الى عيسى عليه السلام وإلتماسها منه أن يشافي ابنتها المجنونة،

فقد جاء في إنجيل متى الإصحاح ١٥ الفقرة ٢١ ما نصه «... ثم خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحي صور وصيدا وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمني يا سيد يا ابن داود ابنتي مجنونة جداً، فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها؛ لأنها تصيح وراءنا... حينئذ أجاب يسوع وقال لها: يا امرأة عظيم إيمانك ليكن لك كما تريد فشفيت ابنتها من تلك الساعة.

بينما جاء في إنجيل مرقس الإصحاح ٧ الفقرة ٢٤ ما نصه: «ثم قام - المسيح - من هناك ومضى الى تخوم صور وصيدا ودخل بيتاً وهو يريد أن لا يعلم أحد فلم يقدر أن يختفي؛ لأن امرأة كان بابنتها روح نجس سمعت به فأتت وخرت عند قدميه وكانت المرأة أممية وفي جنسها فينيقية سورية فسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها... فقال لها لأجل هذه الكلمة اذهبي قد خرج الشيطان من ابنتك، فذهبت الى بيتها ووجدت الشيطان قد خرج والبنت مطروحة على الفراش...».

ويظهر الاختلاف بين النصين جلياً في عدم تحديد جنسية المرأة فقد صرح متى أنها كنعانية بينما ذكر مرقس أنها فينيقية وهذا تناقض فاحش.

والإختلاف الثاني إنّ متى اكتفى بكون البنت مجنونة ولم يذكر علّة جنونها، بينما صرّح مرقس أنّ البنت قد مسحها الشيطان.

فكل عاقل منصف لو تأمل أمثال هذه الاختلافات وعدم تطابق نصوص الأناجيل لعرف أنّها ليست سماوية؛ لأنّ وحي السماء لا يتناقض ولا يختلف، بل هي كتب كتبها الإنسان حسب مزاجه لا غير وحتّى لو قلنا - ولا نقول به - إنّ أحد النصين صحيح إلا أنا لا نستطيع أن نقطع بصحة أحدهما على التعيين، بل الشك يشملهما معاً لعدم قيام الدليل القطعي على صحة أحدهما.

المقالة الثانية والعشرون

اختلاف الإنجيليين في شفاء الأعمى

وهكذا اختلف إنجيل متى مع إنجيل مرقس في موضوع شفاء الأعمى، فقد جاء في إنجيل متى الإصحاح (٢٠) الفقرات من ٢٩ الى ٣٣ مانصه «وإذا أعميان جالسان على الطريق فلما سمعا أن يسوع مجتاز صرخا قائلين: ارحمنا يا سيد يا ابن داود فانتهرهما الجمع ليسكتا، فكانا يصرخان أكثر قائلين: ارحمنا يا سيديا ابن داود، فوقف يسوع وناداهما وقال: ماذا تريدان أن أفعل بكما؟ قالاه: يا سيد أن تفتح أعيننا؛ فتحنن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه».

بينما اختلف النص في إنجيل مرقس الإصحاح ١٠ الفقرات ٤٦ - ٥٢ ما نصه «وجاؤا الى أريحا وفيما هو خارج من أريحا مع تلاميذه وجمع غفير كان «بارتيمائوس» الأعمى ابن تيمائوس جالسا على الطريق يستعطي فلما سمع أنه يسوع الناصري ابتداء يصرخ ويقول: يا يسوع ابن داود ارحمني فانتهره كثيرون ليسكت، فصرخ أكثر.. فوقف يسوع وأمر أن ينادي فنادوا الأعمى... فقال له يسوع: اذهب إيمانك قد شفاك فللوقت أبصر وتبع يسوع في الطريق».

فلو كان متى ومرقس من الحواريين كما يزعم النصارى وكلاهما كتبا الإنجيل عن عيسى عليه السلام لاقتضت القاعدة أن يتطابق الإنجيلان في نقل الوقائع والمعاجز، وأن تكون الألفاظ هي هي بلا تغيير وتبديل واختلاف، ولكننا نقلنا للقارىء الكريم صورة أخرى من صور الاختلاف الفاحش بين هذه الأناجيل، الى درجة أن وقف أمامها المفسر (آدم كلارك) في حيرة من أمره، وكذا السيد (هارموسي) و(اكهارن) فقالوا باستحالة الجمع بين هذين النصين إلا مع إغماض

العين عن هذا الاختلاف والإلتزام بأنّ هذا هو إنجيل المسيح ﷺ!!
 وقد عرف القارىء من خلال النصين أنّ متى يصرّح بوجود رجلين قد
 أصيبا بالعمى، بينما ذكر مرقس أنّه رجل واحد، وهذا دليل آخر على بطلان هذه
 الأناجيل التي كتبها أصحابها حسب سماعهم للقصص أو حسب ذوقهم فحسب.

المقالة الثالثة والعشرون

اختلفت الأناجيل كيف أُلقي القبض على المسيح؟

الاختلافات بين الأناجيل الأربعة كثيرة جداً لا يمكننا أن نشير إليها في هذه المقالات المختصرة، لأنها تسع كتاباً مستقلاً كما صَنَّف أكابر العلماء في هذا الصدد كتباً متعددة. ولكن كالعادة نشير الى بعض هذه الاختلافات المهمة فقط. فمن جملة الاختلافات الملفتة للنظر ما ذكره حول ملاحقة النبي عيسى عليه السلام ومحاكمته،

فقد جاء في إنجيل متى الإصحاح ٢٦ الفقرات من ٢١ الى ٢٥ ما نصه: «وفيما هم يأكلون قال الحق: أقول لكم إنَّ واحداً منكم يُسلمني فحزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يارب؟ فأجاب وقال: الذي يغمس يده معي في الصفحة^(١) هو يسلمني، إنَّ ابن الانسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يُسَلَّم ابن الانسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يلد، فأجاب يهوذا مسلّمه وقال: هل أنا هو يا سيدي؟ قال له: أنت قلتُ».

بينما جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح ١٣ الفقرات من ٢١ الى ٢٦ ما نصه «لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق: الحق أقول لكم إنَّ واحداً منكم سيسلمني فكان التلاميذ ينظرون بعضهم الى بعض وهم محتارون في مَنْ قال عنه، وكان متكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه وكان يسوع يحبه فأومأ إليه سمعان بطرس أن يسأل مَنْ عسى أن يكون الذي قال عنه، فاتكأ ذاك على صدر

(١) الصفحة: إناء الأكل.

يسوع وقال له يا سيد من هو؟ أجاب يسوع هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه، فغمس اللقمة وأعطها ليهوذا سمعان الأسخريوطي..».

والآن نلفت نظر القارئ الى مواضع الاختلاف:

١- ذكر متى إن المسيح قال: إن الذي يسلمني من يغمس يده معي في الصفحة بينما ذكر يوحنا أن المسيح قال: إن الذي يسلمني هو ذلك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه.

٢- ذكر متى أن يهوذا سأل المسيح فقال: أنا هو؟ بينما لم يذكر يوحنا اسم الذي سأله.

وهذا الاختلاف دليل على كون الأناجيل غير سماوية كما قلنا مراراً، ونحن بدورنا نطالب علماء النصارى أن يقدموا جواباً علمياً مقنعاً عن أمثال هذه الاختلافات.

لأنهم إن سلموا بها كان تسليمهم بها دليل على تناقضها وتضادها وبالتالي هي عبارة عن كتب إكتبتها بعض الرجال ولا علاقة لها بالمسيح ﷺ ولا بالسماء والوحي.

المقالة الرابعة والعشرون

إختلاف الأناجيل في قصة الوشايه والقبض على المسيح ﷺ

ومن جملة الإختلافات بين الأناجيل ماورد في قصة هجوم اليهود وغيرهم على عيسى وإلقاء القبض عليه، فقد جاء في إنجيل متى الإصحاح ٢٦ الفقرات ٤٧ - ٥٠ ما نصه: «وفيما هو - المسيح - يتكلم إذا يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلاً: الذي أقبله هو أمسكوه، فللوقت تقدم الى يسوع وقال: السلام ياسدي وقبله، فقال له يسوع: يا صاحب لماذا جئت حينئذ تقدموا وألقوا الايادي على يسوع وأمسكوه...».

فيما جاء في إنجيل يوحنا في الإصحاح ١٨ الفقرات ٣ - ١٢ ما نصّه «فأخذ يهوذا الجنة وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم: مَنْ تطلبون أجابوه يسوع الناصري قال لهم يسوع: أنا هو وكان يهوذا مسلّمه أيضاً واقفاً معهم فلما قال لهم إني أنا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض، فسألهم أيضاً مَنْ تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصري أجاب يسوع قد قلتُ لكم إني أنا هو فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون... ثم إنَّ الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه...».

فأي النصين صحيح؟ أما ما ذكره متى من أنَّ يهوذا هو الذي دلّهم عليه وجعلَ التقبيل علامة عليه؟ أم ما ذكره يوحنا من أنَّ الجند هم الذين سألوا عن

المسيح بينما كان يهوذا واقفاً ولم يتكلم أبداً؟ فأَيُّ منهما صحيح؟ وعلاوة على هذا الاختلاف فقد ذكر متى في الإصحاح ٢٦ الفقرة ٥٧ «والذين أمسكوا يسوع مضوا به الى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ... وذكر متى أموراً كثيرة منها إنهم كانوا يطلبون دليلاً لإعدامه وقتله وأنهم صفعوه على وجهه...».

بينما جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح ١٨ الفقرة ١٣ «ومضوا به الى حنان أولاً، لأنه قيافاً كان رئيساً للكهنة في تلك السنة» وهو - حنان - الذي استجوب المسيح، وهذا غير مذكور في النص السابق لمتى فاحكموا أيها العقلاء؟

ثم جاء في الفقرة (٢٥) من نفس الإصحاح السابق من إنجيل يوحنا «ولما قال هذا لطم يسوع واحدٌ من الخدام كان واقفاً قائلاً أهكذا تجاوب رئيس الكهنة أجابه يسوع: إن قد تكلمتُ رديئاً فاشهد على الرديء، وإن حسناً فلماذا تضربني؟»

بينما جاء في إنجيل متى الإصحاح ٢٦ الفقرة ٦٧ «حينئذٍ بصقوا في وجهه ولكموه وآخرون لطموه قائلين تنبأ لنا أيها المسيح مَنْ ضربك؟».

والآن فليدقق أهل المعرفة والإنصاف في هذين النصين فأين أخذ عيسى هل أخذه الى حنان؟ أم الى قيافا؟

ومن الذي ضربه الناس؟ أم أحد الخدام؟ وما الى غير ذلك من الأسئلة التي يقف عندها العاقل حائراً مدهوشاً، فأَيُّ الانجيليين يُعد حقاً وصدقاً؟ وأين الدليل القطعي على صدقه؟ أيمن للقساوسة وعلماء النصارى أن يقدموا لنا الأدلة الكافية حول هذه المتناقضات والاختلافات، وفي مثل هذه الحالات لا يمكن الاكتفاء بالعناد واللجاج، أو بما سار عليه الآباء والأجداد؛ لأنَّ هذه القضايا تُردُّ الى العقل أو الوجدان وهو الذي يحكم ويقرر.

المقالة الخامسة والعشرون

اختلاف الاناجيل حول كيفية صلب المسيح ﷺ

إنَّ أعجب الأمور في هذه الأنجيل الأربعة هو اختلافها حول موضوع مهم جداً وهو صلب المسيح ﷺ - كما يعتقدون - وكذا بعض الوقائع التي أعقبت الصلب مع أنَّ هذا الموضوع في غاية الأهمية عندهم ومن المفروض أن يتحد بجميع ألفاظه في الأنجيل، ولكن الواقع غير ذلك تماماً.

فقد ذكر إنجيل متى الإصحاح ٢٧ الفقرة ١ والى نهاية الإصحاح ما نصّه: «ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه فأوثقوه ومضوا به ودفعوه الى بيلاطس البنطي الوالي... فوقف يسوع أمام الوالي فسأله الوالي قائلاً: أنت ملك اليهود؟

فقال له يسوع: أنت تقول وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء، فقال له بيلاطس: أما تسمع كم يشهدون عليك؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتّى تعجب الوالي جداً...» وهكذا الى آخر الإصحاح فكل من قرأ فقرأت هذا الإصحاح يعلم أن المحاكمة والمخاطبة بين عيسى واليهود كانت بحضور الوالي.

بينما اختلف الأمر في إنجيل يوحنا الإصحاح ١٨ الفقرة ٢٨ وما بعدها فقد جاء ما نصه: «ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية وكان صبح ولم يدخلوهم الى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح فخرج بيلاطس إليهم وقال: أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان؟ أجابوا وقالوا له: لو لم يكن فاعل شر

لما كنا قد سلمناه إليك، فقال لهم بيلاطس: خذوه أنتم وأحكموا عليه حسب ناموسكم، فقال له اليهود لا يجوز: لنا أن نقتل أحداً.. ثم دخل بيلاطس أيضاً الى دار الولاية ودعا يسوع، وقال له: أنت ملك اليهود؟ أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني؟ أجابه بيلاطس: لعلّي أنا يهودي امتك ورؤساء الكهنة اسلموك اليّ ماذا فعلت... قال له بيلاطس ما هو الحق ولما قال هذا خرج أيضاً الى اليهود وقال لهم: أنا لست أجد فيه علّة واحدة..».

وكل من قرأ هذا النص يعلم أن المحاكمة بين عيسى عليه السلام واليهود لم تكن حضورية بل كان الوالي يذهب تارة الى الخارج حيث اليهود واخرى الى الداخل حيث عيسى عليه السلام، وهذا غير موجود في إنجيل متى، ومن جهة ثانية فقد ورد في إصحاح إنجيل متى إن عيسى عليه السلام لم يرد على الوالي حتى بكلمة فأثار استغراب وتعجب الوالي، بينما كانت لعيسى عليه السلام عدة ردود على كل سؤال سألها الوالي في إنجيل يوحنا. فهنا تثار الشكوك حول هذه الاختلافات بل حول الأناجيل نفسها مما يعزز ويكرّس القول بأنّها ليست كتباً سماوية أبداً.

ومن جملة الاختلافات الاخرى ما ذكره إنجيل متى في الإصحاح ٢٧ الفقرات ٤٥ - ٥٠ مانصه: «ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كلّ الأرض الى الساعة التاسعة ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شبقنتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني، فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا إنه ينادي إيليا، وللوقت ركض واحد منهم وأخذ إسفنجة وملاًها خلّاً وجعلها على قصبة وسقاه، وأما الباقون فقالوا: اترك لنرى هل يأتي إيليا يخلّصه فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح».

بينما جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح ١٩ الفقرات ٢٨ (٣٠) ما نصه: «بعد هذا رأى يسوع أن كلّ شيء قد كمل فلّكي يتم الكتاب قال: أنا عطشان وكان

اختلاف الاناجيل حول كيفية صلب المسيح ١٠٣

الإناء موضوعاً مملوءاً خلاً فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدّموها الى فمه، فلما أخذ يسوع الخل قال: قد أكمل ونكّس رأسه وأسلم الروح».

وأراني في غنى عن الإشارة الى مواضع الاختلاف بين النصين وذلك لوضوحها وظهورها وهو دليل على اختلاف أذواق الذين كتبوا هذه الاناجيل، ومن جملة الاختلافات مضافاً لما تقدّم:

ما ذكره يوحنا في إنجيله الإصحاح ١٩ الفقرات ٣١ - ٣٤ ما نصه: «... سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا فأتى العسكر وكسروا ساقى الأول والأخر المصلوب معه وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه، لأنّهم رأوه قد مات ولكنّ واحداً من العسكر طعن جنبه بحربةٍ وللوقت خرج دم وماء...» وانفرد يوحنا بهذه التفاصيل إذ لم يرد موضوع كسر السيقان وطعن المسيح في جنبه لا في إنجيل مرقس ولا متّى ولا لوقا!! فيُعلم من ذلك أنّ هذه الكتب لا علاقة لها بالوحي والالهام لا من قريب ولا من بعيد، وإلاّ لتحدّث في النصوص وفي نقل الوقائع المهمة.

وأيضاً ذكر متّى في إنجيله الإصحاح ٢٧ الفقرة ٥٥ - ٥٦ ما نصه: «وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهن كنّ قد تبعن يسوع من الجليل يخدمته وبينهن مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب ويوسي وأم ابني زبدي».

ولكن اختلف النص في إنجيل يوحنا الإصحاح ١٩ الفقرات ٢٥ - ٢٧ «وكنّ واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجه كلوبا ومريم المجدلية، فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً قال لأمه: يا امرأة هوذا ابنك، ثم قال للتلميذ: هوذا أمك ومن تلك الساعة أخذها التلميذ الى خاصته...».

فالقارىء المنصف يرى كم هو الفارق بين النصين من ناحية الشخصيات والكلام الأخير لعيسى عليه السلام من ناحية ثانية، فكيف يسمح النصارى لانفسهم أن يعتبروا هذه الكتب كتباً سماوية مع هذا التفاوت بينهما؟
ومن جملة الاختلافات أيضاً:

ما جاء في إنجيل متى الإصحاح ٢٨ الفقرات ١ - ١٠ «وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر، وإذا زلزلة عظيمة حدثت؛ لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب، وجلس عليه وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات، فأجاب الملاك وقال للمرأتين: لا تخافا أنتما فأني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب ليس هو هاهنا؛ لأنه قام كما قال، هلمّا انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعاً فيه واذهبا سريعاً قولاً لتلاميذه إنه قد قام من الأموات ها هو يسبقكم الى الجليل هناك ترونه ها أنا قد قلت لكما فخرجتا سريعاً من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذ يسوع لاقاهما وقال: سلام لكما فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له، فقال لهما: يسوع لا تخافا اذهبا قولاً لإخوتي أن يذهبوا الى الجليل وهناك يرونني».

ولكن اختلف هذا النص في إنجيل يوحنا الإصحاح ٢٠ الفقرات ١ - ١٧ «وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر باكراً والظلام باقٍ منظرت الحجر مرفوعاً عن القبر فركضت وجاءت الى سمعان بطرس والى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما: أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه، فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا الى القبر وكان الإثنين يركضان معاً فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولاً الى القبر وانحنى فنظر الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخل، ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعة والمنديل

الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان بل ملفوفاً في موضع واحد فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً الى القبر ورأى فآمن؛ لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب لأن ينبغي أن يقوم من الأموات، فمضى التلميذان أيضاً الى موضعهما، أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي وفيما هي تبكي انحنت الى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين، واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً فقالا لها: يا امرأة لماذا تبكين؟ قالت لهما: إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه، ولما قالت هذا التفتت الى الورا فظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع قال لها يسوع: يا امرأة لماذا تبكين من تطلبين؟ فظنت تلك أنه البستاني، فقالت له: يا سيدي إن كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعته وأنا آخذه؟ قال لها يسوع: يا مريم فالتفتت تلك، وقالت له: ربوني الذي تفسيره يا معلم قال لها يسوع لا تلمسيني؛ لأنني لم أصعد بعد الى أبي ولكن اذهبي الى إخوتي وقولي لهم أنني أصعد الى أبي وأبيكم وإلهي والهكم...»

والاختلافات الظاهرة بين هذين النصين تغني عن التعليق بل أترك الحكم فيهما الى القارئ المنصف، ولكني أكتفي بالقول: إن هذه الاناجيل لو كانت كتباً سماوية لاتفقت في ألفاظها ومعانيها، إلا أن الأمر خلاف ذلك تماماً، كيف وقد ذكر متى إن المسيح ﷺ قال هذه العبارة عند صلبه «إلهي إلهي لماذا تركتني»^(١) بينما لم يذكر ذلك يوحنا في انجيله أبداً!!

وقد مرّت الاختلافات بين إنجيل متى ويوحنا فيما يتصل بتحديد الشخصيات اللواتي حضرن صلب المسيح أو عند قبره، بينما خلت بقية الاناجيل من هذه التفاصيل وهو أمر غريب جداً.

(١) إنجيل متى الإصحاح ٢٧ الفقرة ٤٦.

نعم جاء في إنجيل مرقس الإصحاح ١٦ الفقرة الأولى وما بعدها ما نصه:
 «وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً
 ليأتين ويدهنه وباكراً جداً في أول الأسبوع أتين الى القبر إذ طلعت الشمس وكن
 يقلن فيما بينهن مَنْ يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ فتطلعن ورأين أن الحجر قد
 دُحرج؛ لأنّه كان عظيماً جداً ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً
 حلة بيضاء فاندھشن...» بينما لم يرد ذكر اسم (سالومة) في إنجيل متى ولا يوحنا،
 وذكر متى أنّه لما حضرن حصلت زلزلة عظيمة وهبط الملك وهو الذي رفع الحجر
 عن القبر!! بينما ذكر يوحنا إنّ مريم لما جاءت الى القبر وجدته مفتوحاً ليس هناك
 حجر، ولم يذكر الملك وذكر متى أنّ الملك حدّث النساء وأمرهن بإخبار تلاميذ
 المسيح بينما ذكر يوحنا إنّ مريم اخبرت التلاميذ بدون أن يأمرها الملك، وذكر
 متى إنّ مريم المجدلية ومريم الأخرى نظرتا الى القبر ثم هبط الملك وحدثهن،
 بينما ذكر يوحنا إنّ الملك كان في القبر وظهر لها بعدما ذهب التلميذان لا أنّه ظهر
 لها أول الامر.

وذكر متى إنّ مريم رأت المسيح في طريق عودتها من القبر وسلّمت عليه،
 بينما ذكر يوحنا إنّها رأت المسيح حينما كانت عند القبر ولم تعرفه... والى آخره
 من تفاوت فاحش واختلاف ظاهر وتناقض يدلّك على خرافة هذه الكتب.
 ولعلّني في غنى عن التعليق حول هذا التضارب الصارخ بين النصوص التي
 زعموا بأنّها سماوية، فاترك الحكم الى القارئ اللبيب الذي يُحكّم عقله في مثل
 هذه الحالات ولا ينقاد الى الهوى.

المقالة السادسة والعشرون

اختلاف الأناجيل في حوادث ما بعد صلب المسيح ﷺ

ومن أبرز الأدلة على بطلان هذه الأناجيل التي لو قرأها أو سمعها أي شخص لاذعن بأنها كتب بشرية لا ربط لها بالسماة نقلت أحداث ما بعد صلب المسيح ﷺ ثم عدم إتفاقها في تلك الأحداث، مع إقرارهم بأن وحي النبوة انقطع برحيل المسيح ﷺ ما زعموا، فمن أين جاءوا بهذه الإخبارات فيما بعد المسيح؟ ولو فرضنا أنها كانت عن لسان الوحي فلماذا لم يوردها بشكل موحد؟ ولماذا اختلفوا فيها؟

نعم نقولها بضرر قاطع إن هذه الاختلافات أكبر دليل على أن الأناجيل الأربعة قد كتبت بمحض الهوى والأغراض والمصالح. والآن أرجو من القراء الكرام أن يدققوا في هذه القضية ليعرفوا الحقيقة جلياً، يتألف إنجيل متى من ٢٨ إصحاحاً، بينما يتألف إنجيل مرقس من ١٦ إصحاحاً، هذا ويتكون إنجيل لوقا من ٢٤ إصحاحاً، بينما كان إنجيل يوحنا مؤلفاً من ٢١ إصحاحاً، وهو أمر يثير التعجب والدهشة إذ لا يعلم عدد إصحاحات الإنجيل الأصلي إلى اليوم!! ومضافاً إلى هذا ما سأورده من اختلافها حول وقائع ما بعد صلب المسيح ﷺ فقد جاء في إنجيل متى الإصحاح ٢٧ الفقرة ٤ و ٥ ما نصّه: «قائلاً - أي يهوذا - قد أخطأت إذ سلمتُ دماً بريئاً فقالوا ماذا علينا أنت أبصر فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه...» بينما لم تذكر الأناجيل الثلاثة هذه الفقرات!! نعم جاء في أول أعمال الرسل الإصحاح الأول الفقرة ١٨ إشارة إلى هذه الحادثة ولكن باختلاف واضح فقد ورد ما نصّه: «فإن هذا - يهوذا - اقتنى حقلاً من أجرة الظلم وإذا سقط

على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان أورشليم حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما أي حقل دم». وهو اختلاف عجيب إذ كم هو الفارق كبير بين مَنْ يخلق نفسه - انتحاراً - وبين مَنْ يقع عاثراً على الأرض فيموت!! فأَي النصين صحيح؟ وما هو دليل صحته؟

ومن جملة الاختلافات الأخرى فيما بعد المسيح ﷺ ما ذكره متى في الإصحاح ٢٧ الفقرات ٥١ - ٥٥ حول الزلزلة التي حدثت بعد رحيل المسيح «وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين، وأما قائد المئة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كان خافوا جداً وقالوا حقاً كان هذا ابن الله».

أولاً: لم تنقل هذا الخبر بقية الأناجيل.

ثانياً: وكل مَنْ لاحظ الخبر عرف أنه فيما بعد موت المسيح (كما يزعم النصارى موته) والسؤال كيف نزل مثل هذا الخبر في الإنجيل مع عدم وجود النبي والوحي؟ بل وجود هذا الخبر دليل على بطلان الإنجيل؛ لأنه جاء بلفظ الماضي وهو أمر غير معقول أن يتكلم المسيح أو الوحي عن أمر لم يقع بعد بلفظ الماضي. ثالثاً: ومثل هذه الزلزلة التي نهض فيها الأموات من القبور و... يلزم أن يضبطها المؤرخون ويؤرخها الكتاب ويذكرها التأريخ برمته؛ لأنها تمثل حادثة عظيمة وغريبة فريدة من نوعها، ولكن لم يذكرها إلا إنجيل متى وغابت عما سواه من كتاب ومؤرخين ممن اهتم بالمسيح ﷺ وكل ما يتصل به وهو أمر غريب أن تمر مثل هذه الحادثة الرهيبة والعالم كله في غفلة عنها وهي من المعاجز الخارقة

للعادة التي تدعو الجميع للإيمان بالله وبالمسيح لاسيما الرومانيين واليهود. فهذا وغيره كلّها من أدلة بطلان الإنجيل الذي دوّن هذه الحادثة المفتعلة، ولم تكن هذه النتيجة مختصة بنا، بل لقد استبعد صحتها حتى بعض علماء النصارى المحققين ومنهم (نورتن) والدكتور (حوزف) وآخرين كلهم كذبوا الحادثة وصرّحوا بأنّها مفتعلة وقالوا: إنّ أمثال هذه الحكايات قد انتشرت بين اليهود فيما بعد خراب القدس وقد يكون أحدهم قد دوّنها في حواشي الإنجيل العبرانية ثم جاء المترجم وذكرها في المتن.

فهذان عالمان يعترفان بإمكان دخول بعض الهوامش الخارجة عن نص الإنجيل في أصل الإنجيل سهواً أو عمداً، فبعد هذا هل يبقى اعتقاد بأنّ هذه الكتب من وحي السماء؟ وكيف سيتم التمييز بين النص الأصلي والنص المضاف؟ وإذا كانت بعض النصوص من الله فعلاً فكيف سنعرفها بعينها؟ كل هذه الأسئلة تجعل نظر العقلاء إلى الأناجيل نظر الشك والريب.

المقالة السابعة والعشرون

ردُّ مزاعم القساوسة الذين يدَّعون أنَّ أصحاب الأناجيل كتبوها بالهام

لقد زارني ذلك الشاب المسيحي الذي التقيتُ به سابقاً في منزلي وطلب مني أن أجيبه عن بعض الأسئلة وقال: لقد قرأنا مقالاتكم السابقة وإثاراتكم وتساؤلاتكم وإشكالاتكم التي وجهتموها إلى علمائنا وإثر ذلك راجعنا علمائنا وسألناهم الإجابة عن هذه الإشكالات ولكن بعد الحوار معهم قالوا لنا: لقد غفل علماء المسلمين عن نقطة وهي من أهم مباني ديننا وبسبب غفلتهم إنقذت في أذهانهم مثل هذه التساؤلات، وهذه النقطة هي: إنَّهم يعتقدون بأن كُتَّاب الأناجيل أناس عاديون وأنَّهم كتبوها بدوافع شخصية محضة بينما غاب عنهم أن هؤلاء ملهمين من قبل الله تعالى وأصحاب مقام شامخ لا يقل عن مقام الرسل فقد كان روح القدس يحلُّ فيهم ويوحى لهم وكل ما كتبوه كان إلهاماً مقدساً لا يأتيه الباطل أبداً.

وحينها سكتنا أمام هذه المقولة ولم نحر جواباً عند علمائنا ونرجو منكم في هذا الأسبوع أن تخصصوا مقالاتكم حول هذه النقطة.

وحينها تكلمتُ مع هذا الشاب وقدمتُ له الأدلة الكافية لإبطال مزاعم القساوسة ورغبة لطلبه فقد شرعت لكتابة هذه المقالة.

أقول: لو أردنا أن نذكر جميع الأدلة والبراهين على إبطال مزاعم علماء النصارى لتعدَّى الأمر هذه المقالة كي يستوعب مجموعة من المجلدات الكبيرة، ولكنني كالعادة أكتفي بذكر بعض هذه الأدلة وهي الاجوبة الأساسية في

هذا المجال.

وفي البدء أذكر مقدّمة قصيرة وهي أنَّ الكتاب السماوي الذي يمثل الحُجة بين الخالق والمخلوق يجب أن يكون على درجة عالية من الدقة في جميع فصوله وكلماته لكي يحصل إطمئنان الناس به وبالتالي العمل به.

أولاً: الشرط الأول هو أن تثبت رسالة النبي - الذي أتى بالكتاب من قبل الله - بشكل قطعي غير قابل للشك وأن تكون جميع أقواله صادقة، ومن جملة الأدلة على صدقه ونبوّته هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة على يده في مقام التحدي وغيره، لأنَّ المعجزة من أوضح وأقوى الأدلة لإثبات النبوة وقد مارسها الأنبياء جميعاً لاسيما نوح وإبراهيم وعيسى وموسى وخاتم الأنبياء محمد صلوات الله عليهم أجمعين، ويجب أن تنقل معجزة النبي بشكل متواتر من جيل إلى جيل على نحو يمتنع تواطئهم على الكذب.

ثانياً: والشرط الثاني أن تكون عبارات الكتاب المنسوب إلى الله محكمة ومركبة تركيباً إعجازياً تدل بمعانيها على أحقية وصدق الكتاب نفسه، وأن يكون خالياً من التناقض والاختلاف، لأنّها لو وجدت فقد الكتاب إعتباره تماماً، لأنَّ الكتاب المقدس الذي يصدر عن الله تعالى يجب أن يخلو من التناقضات والاختلافات لحكمته الأزلية وقدرته العظيمة سبحانه بل أن تكون كل آية متممة للآيات الأخرى وباعثة على إستحكام الآيات وتقوية الخطاب وبالجملة فكل آية دليل على صدق الكتاب.

ثالثاً: والشرط الثالث أن يدّعي صاحب الرسالة والوحي أن هذا الكتاب من الله تعالى وينسبه دائماً إلى جهة المولى سبحانه وتعالى ثم يقيم الدلائل البيّنة - التي منها المعجزة - على صدق مدعاه.

رابعاً: والشرط الرابع أن تكون نسبة الكتاب إلى النبي نسبة ثابتة على مرور

الأدوار غير قابلة للإنكار أبداً، ولا يكون ذلك إلا بالتواتر بحيث ينقل ذلك جماعة كثيرة من الناس في طبقه معيّنة نقلاً عن جماعة آخرين قبلهم بدون اتفاق وتواطىء. وهكذا إنتهاءً إلى النبي المرسل هذه هي أهم الشروط التي يجب توفرها في كل كتاب ديني منسوب إلى الوحي، وكل كتاب يفتقر إلى أمثال هذه الشروط فهو ليس كتاباً من وحي الله تعالى، بل كتابٌ مجعولٌ نسجته أيادي الضلالة والكفر لإضلال الناس وصدّهم عن طريق الحق.

وبناءً على المقدمة التي ذكرتها في هذه المقالة والشروط الآنفه الذكر نسأل القساوسة والرهبان هل يعتبر العهد القديم والعهد الجديد من جملة الكتب الإلهية التي وصلت عن طريق الوحي؟ مع ملاحظة أن الكتاب قد دونوها بعد المسيح عليه السلام.

ولكن مقابل هذا السؤال لا يملك الرهبان والقساوسة جواباً علمياً منطقياً غير إدّعائهم بأن الذين كتبوا الأناجيل كانوا ملهمين وهي دعوى لاتصمد أمام المنطق العلمي، والشروط الأربعة المذكورة سابقاً وسوف أبين ذلك مفصلاً إن شاء الله.

المقالة الثامنة والعشرون

كتاب الإنجيل الأربعة لم يكونوا رُسلًا

في هذه المقالة نلفت أنظار القراء إلى بعض حالات كتاب الإنجيل الأربعة الذين زعم النصارى بأنهم رُسلٌ.

فقد جاء في أعمال الرسل ذكر تلاميذ المسيح ﷺ وأن روح القدس قد حلّ فيهم وإثر ذلك ظهرت خوارق العادات منهم وهي كالتالي:

بطرس، يوحنا، يعقوب، اندراوس، فيلبس، توما، برثولماوس، متى، يعقوب بن حلفي، سمعان الغيور، يهوذا أخو يعقوب^(١).

وجاء في الفقرة (١٥): وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ وكان عدة أسماء معاً نحو مئة وعشرين ... وهم كلّهم ملئوا بروح القدس، وقد نقل بولس عجائباً وغرائباً عن هؤلاء في إنجيله وذكر لوقا في إنجيله إن عيسى ﷺ بعث سبعين شخصاً ليبشروا الناس بوجوده. وعليه فالعدد غير ثابت وعلينا أن نعرف من هو المرسل منهم؟

ومن جهة ذكروا أنّهم مئة وعشرين شخصاً ولكن لم يُذكر من أسمائهم في أعمال الرسل إلا أحد عشر اسماً، ولم يبرز من هؤلاء إلا الذين كتبوا الأناجيل والرسائل (متى وبطرس ويوحنا ويعقوب ويهوذا) فقط.

أما عن (يوحنا) و(متى) فقد ذكرنا في المقالة (٩) و(١٢) إن هذه الكتب لا تنتسب إليهما أبداً، غاية ما في الأمر أن هناك تشابه في الأسماء أو غير ذلك

(١) أعمال الرسل الإصحاح الأول الفقرة ١٣.

كما فصلنا،

وأما (بطرس) وغيره، فقد ذكرنا سابقاً إنّ علماء النصارى اعترفوا بعدم صحة رسائلهم وكتبهم، ومضافاً لما سبق فقد أبطل مجمع (نيقية) في عام ٣٢٥ وإلى عام ٣٦٤ اعتبار هذه الرسائل والكتب ومنع من العمل بها.

ولو تجاوزنا كل هذا كيف يؤمن النصارى بمجموعة من الرسل لا يعرفون أسمائهم؟ نعم يذكر القساوسة أسماء بعض الرسل - حسب زعمهم - ولكن لا يعلم هل أنّهم من جملة المائة والعشرين أم لا؟

ومن المسلم به إنّ اسم بولس ويهوذا لم يكونا في عداد أولئك (أي في أعمال الرسل) ولا في إنجيل لوقا، إذاً فمن أين علّم أنّهما رُسل؟

ثم إنّنا لم نجد دليلاً مقنعاً وقاطعاً لا في أعمال الرسل ولا في إنجيل لوقا على رسالة بعض الأفراد، أو أسماء معينة في هذا الصدد.

وماتم ذكره لا يعلم هل أنّهم من جملة المائة والعشرين الذين ملثوا بروح القدس أم لا؟

وأهم من كل ذلك هو معرفة مؤلف وكاتب (أعمال الرسل) إذ أنّ المعلومات التي حواها هذا القسم متوقفة على معرفة حال المؤلف والعكس بالعكس.

فقد ذهب علماء الكنائس إلى أنّ مؤلف (أعمال الرسل) هو (لوقا) مؤلف الإنجيل، مع أننا أثبتنا في المقالة (١١) أنّ (لوقا) مجهول الحال وأمره مردد، فهل هو لوقا الطبيب أم لوقا الرسام، أم لوقا الطبيب الرسام؟ وهل هو يوناني أم رومي الأصل؟ وهل هو من تلاميذ المسيح ﷺ أم من تلاميذ تلاميذه؟

إذ لكل واحد من هذه الإحتمالات أقوالاً، وكل واحد من هذه الأقوال غير ثابت بالتواتر عندهم، وغاية ما ثبت عندهم أنّ لوقا من أصحاب وتلاميذ بولس فقط.

وعليه فلا يوجد أي سند يمكن الإعتماد عليه لإثبات أن لوقا (المجهول الحال) يتصل بالمسيح عيسى عليه السلام ولذلك يسقط كتابه عن الاعتبار تماماً ألا وهو (أعمال الرسل)، ومضافاً إلى ذلك فإن الشروط الأربعة التي ذكرناها لإعتبار كل كتاب مقدس غير متوفرة هنا.

المقالة التاسعة والعشرون

ردّ مزاعم القسيسين أن لوقا من الرسل الملهمين

من خلال مناظراتي ومحاوراتي المتعددة مع المبشرين المسيحيين عرفت منهم أنّهم يعتقدون أنّ لوقا كاتب (أعمال الرسل) و(إنجيل لوقا) من الرسل الملهمين ومثله لا يحتاج الى إثبات سند الإتصال بعيسى ﷺ؛ لأنّ كلامه كلام روح القدس وهكذا اخوته الباقين.

وقد اجبنا عن ذلك: إنّ رسالة كلّ رسول تثبت من خلال إدعائه للرسالة أولاً وظهور المعجزة الخارقة للعادة على يديه ثانياً، وعليه: فلا يوجد في أي واحد من كتب النصارى أنّ لوقا ادّعى الرسالة لنفسه، وهكذا لم يذكروا له أي معجزة خارقة للعادة فكيف يحصل الإطمئنان برسالته مع إنعدام الدلائل؟ إنّ أمثال هذه الأمور العظيمة لا يمكن أن تثبت بمجرد الدعوى كما يخيل لأرباب الكنائس، بل على العكس فقد صرّح علماء النصارى المحققون أنّ إنجيل لوقا وأعمال الرسل لم يُكتبا بإلهام روح القدس.

ومن جملة هؤلاء العلماء السيد (واطسن) المعروف في المجلد الرابع من دورته، وذكر أنّ من جملة الأدلة على أنّ لوقا كتب الإنجيل من عند نفسه هي ديباجة الإنجيل إذ جاء فيها: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصّة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداماً للكلمة رأيتُ أنا أيضاً إذ قد تتبعتُ كلّ شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي...»^(١).

(١) إنجيل لوقا الإصحاح الأوّل الفقرة الأولى، وقد ذكرها المؤلف ﷺ سابقاً في إبطاله لهذا

وهذا اعتراف صريح من لوقا أنه قام بمتابعة ما كُتب ثم ألف الإنجيل بشيء من الدقة على حسب رؤاه، كما قال هو في عبارته: «رأيت أنا أيضاً.. أن أكتب» وليس إلهاماً إلهياً، وهكذا اعترف لوقا في (أعمال الرسل) أن كتابه هذا ليس وحياً حيث جاء في أول أعمال الرسل ما نصه: «الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويُعلّم به الى اليوم الذي ارتفع فيه بعدما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة بعدما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من اورشليم بل ينتظروا موعد الاب.. وأما أنتم فستعتمدون بالروح القدس.. وفيما كانوا يشخصون الى السماء وهو منطلق إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض وقالا أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون الى السماء أن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً الى السماء حينئذ رجعوا الى اورشليم...»^(١).

ويظهر جلياً من هذا النص أن هؤلاء لم يكونوا رُسلًا؛ لأنّ عيسى عليه السلام قال لهم سيأتي روح القدس ويحل فيكم فلا تبرحوا من اورشليم، بينما خاطبهم الملك قائلاً لهم: (أيها الرجال الجليليون) ولم يخاطبهم بالرسالة ثم أمرهم بالذهاب فذهبوا دون أن يقولوا له نحن ننتظر روح القدس فيفهم من خلال هذه التناقضات أن هؤلاء مجموعة رجال لا علاقة لهم بالإلهام ولا بالرسالة. وهو ما أكّده بعض علماء النصراني القدماء أمثال (واطسن) و(لوتر) حيث صرحا أن كتب لوقا ليست إلهامية.

وعلى ضوء ذلك لا يبقى عند النصارى شيء يمكنهم الركون إليه والإستدلال به، إذ غاية ما ثبت عندهم هو كتاب أعمال الرسل وقد ذكرنا ما فيه الكفاية لإبطال هذا الكتاب مضافاً الى مجهولية مؤلفه، وعدم وجود دليل لفظي آخر غيره.

إذاً فهناك خدش في الكتاب والمؤلف فيسقط اعتباره تماماً، وأما دعوى أصحاب الأناجيل أنفسهم أنهم كتبوها بإلهام فهي مردودة وغير معقولة، لأنهم قالوا ذلك ليوجدوا مبرر لنجاحها عند المسيحيين، وأما عدم معقوليتها؛ لأنها تفتح الباب على مصراعيه لكل كاتب أن يزعم - باطلاً - أنه كتب كتابه بإلهام.

وبعد غورنا وتتبعنا في كتب النصارى رأينا أنه لم يدع الرسالة لنفسه إلا بولس وقد أثبتنا أنه لم يكن من تلاميذ المسيح ﷺ ولا من المائة والعشرين ولا من الأحد عشر الحواريين، ولا من السبعين!! فمن أين جاءته الرسالة وقد كان من أكبر المجرمين؟! ورأينا أيضاً أنه لا يوجد أي دليل في كتب النصارى ما يدل ويشهد على رسالة هؤلاء.

وغاية ما عندهم هو مزاعم باطلة وادعاءات فارغة من الدليل لا يمكن لأي عاقل أن يلتزم بها ويطمئن إليها.

المقالة الثلاثون

إبطال عقيدة الثالوث وأنها من عقائد عبدة الأصنام

إنَّ اختلاف الأناجيل فيما بينها فتح الفرصة للقسيسين أن يدخلوا بعض العقائد الفاسدة في دين التوحيد الخالص لسيدنا المسيح ﷺ، ومن جملة ذلك فإنَّهم استخدموا بعض كلمات الإنجيل وعملوا منها ثالوثاً مقدساً وذلك لكسب عبَّاد الأصنام الى دينهم المنحرف الخليط بعقائد التوحيد والشرك التي لا صلة لها بالسيد المسيح ﷺ.

وسوف أذكر أدلة بطلان عقيدة الثالوث إن شاء الله في المقالة اللاحقة. ولكن أريد أن أشير الى قضية مهمة وهي أنَّ الموحدين لله تعالى قالوا بنجاسة المسيحيين، وهكذا صرَّح القرآن الكريم بنجاستهم في قوله تعالى: ﴿انما المشركون نجس﴾ فهذا الاعتقاد راجع الى عقيدة الثالوث التي يلتزم بها المسيحيون والتي سطرَّها وروَّج لها قساوستهم فأشركوا وعملوا النصراني الشرك بالله من خلال قولهم بالأقانيم الثلاثة (الأب والابن وروح القدس) ومعناه إنَّ الله تبارك وتعالى مركَّب من هذه الأقانيم الثلاثة^(١) فهو سبحانه في نفس الوقت والد لعيسى ﷺ والأخير ابنه وروح القدس يشملهما معاً فالثلاثة واحد والواحد ثلاثة!! وسوف أشرح ذلك في المقالة التالية إن شاء الله. ولمعرفة هذه الأقانيم الثلاثة نرجع الى كتب النصراني المقدسة منها ما جاء في رسالة يوحنا الأولى الفقرة الخامسة من الإصحاح الخامس: «مَنْ هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أنَّ

(١) الاقنوم: لفظ سرياني بمعنى الوجود.

يسوع هو ابن الله، هذا هو الذي أتى بماء ودم يسوع المسيح لا بالماء فقط بل بالماء والدم والروح هو الذي يشهد؛ لأنّ الروح هو الحق».

وهذا اعتراف صريح من الإنجيل بالأقانيم الثلاثة التي هي محض الشرك حتى اعترف السيد (غوويليام) الإنجليزي في كتاب (هذا هو الاسلام)^(١) إذ قال: (نيوتون) و(گييون) و(پورسن) و(كاليلة) وغيرهم من المؤلفين المسيحيين صرّحوا بالسند الثابت أنّ هذا النص في رسالة يوحنا عارٍ من الإصالة وهو من الامور الحشوية الزائدة.

وكذلك في إنجيل يوحنا الإصحاح الأول الفقرة الاولى: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله (يعني عيسى) هذا كان في البدء عند الله وكل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان...» وهذا النص فيه إشارة واضحة عن الاقانيم الثلاثة التي اشاعوها عند العوام بل الخواص أيضاً. ولو أردنا أن نأتي على جميع الكلمات التي من هذا القبيل في الأناجيل والرسائل لخرجنا عن موضوع المقالة واسلوبها وحجمها ولوسع الأمر كتاباً مستقلاً. ولكن ما ذكرناه يمكن من خلاله أن تتكون صورة واضحة في ذهن القارئ عن عقيدة التثليث وعليه يمكن لنا أن نفصل في القضية من جهة أخرى: إنّ هذه العقيدة كانت من دعوات عبّاد الأصنام منذ القدم وقد ذكر هذه الحقيقة الكثير من المؤرخين وحتى المسيحيين منهم مثل المؤرخ (موريس)

(١) ولد هذا العالم عام ١٨٥٦ م وفي عام ١٨٨٧ م اعتنق الإسلام وغيّر اسمه الى (عبدالإله شيخ الإسلام) وفي عام ١٨٨٩ م كتب كتابه هذا هو الاسلام مادحاً هذا الدين العظيم وقد ألفه باللغة الانجليزية ثم تُرجم الى عدة لغات كالتركية والإلمانية والبنغالية والعربية.. وطبع ثم أُعيدت طباعته عدة مرات وقد ترجمه الى اللغة الفارسية فخرالدين الطباطبائي عام ١٣٢٠ شمسي، وطبع في طهران / المؤلف.

إبطال عقيدة الثالوث وأنها من عقائد عبدة الأصنام ١٢١

والن) و(فابر) و(داويس) و(توما انمن) و(هلسلي ستونس) و(دوآن) و(فروتنام) و(بارخوست) و(فرد كينكسرو) والدكتور (كوست) وغيرهم، فقد صرّحوا في كتبهم أنّ البراهمة والهنود والبوذائيين في الصين واليابان يتفقون مع عبّاد الأصنام، وهكذا الحال في المصريين واليونانيين القدماء والكلدانين والآشوريين والفينقيين والبابليين والفرس، ولا يمكن في هذه المقالة المختصرة أن نذكر أحوال هذه الاقوام إلا أننا سنكتفي بالإشارة، فلقد ذكر العالم (تنير البيروتي) في كتابه (عقائد الوثنية في الديانة النصرانية) الذي ذكر فيه جميع المفردات العبادية عند الوثنيين وقابلها مع عقائد النصارى التي من جملتها عقيدة التثليث حيث قال: عندما نرجع الى تاريخ الهند نجد أنّ أشهر العبادات فيها هي اعتقاد الناس بالأقانيم الثلاثة وهي: برهمة ويشنو وسيفا التي تتركب مع بعض لتعطي معنى الرب والمخلص سيفا وثلاثتها تعبر عن إله واحد.

وعندما كنت في الهند عام ١٣٤٥ هـ في دلهي عاصمة الهند جرت بيني وبين بعض الهنود من عبدة الأصنام مناظرة حول ذلك فقالوا: إنّ (برهمة) هو الأب الخالق لجميع الموجودات اللاهوتية و(بشنو) ابنه وهو حافظ العالم، و(سيفا) هو الروح العظيم المظهر والمهلك، وثلاثتهم يُطلق عليهم (كرشنا). وقد ذكرتُ لهم الأدلة الكافية والبراهين الساطعة لإبطال عقيدتهم حينها وقد ذكرت بعض الصحف الهندية أحداث هذه المناظرات فكانت سبباً لإسلام (٢١) شاباً من أهل النظر والمعرفة.

وقال السيد (فابر) في كتابه (أصل عبادات المشركين): يعتقد الهنود بأنّ الله مركّب من (برهمة) و(بشنو) و(سيفا) وكذلك مثلهم البوذائيين قالوا: إنّ (بوذا) هو الله وهو مركّب من (بوذي) و(جينست) و(جيفا) التي تعني: الأب والابن والروح العظيم ويطلقون على بوذا اسم (فو) ويقولون إنّ (فو) له ثلاثة أقانيم ويرمزون إليها

بالحروف - كالهنود - الف، واو - ميم.

وذكر (دوآن) إنّ أكثر أهل الصين واليابان بوذائيين يعبدون بوذا الذي يسمونه (فو) ويعتقدون أنّ له ثلاثة أقانيم.

وذكر (بونويك) في كتابه (عقائد المصريين): يعتقد عبدة الأصنام المصريين القدماء بـ (لاهوت الكلمة) الذي يتصل كل شيء به، و (الكلمة) من الله و (الكلمة هي الله) وقد انتشرت هذه العقيدة الثلاثية بينهم قبل ميلاد المسيح بسنين. ثم ذكر في ص ٤٠٤: إنّ الكلمة عند المصريين اعتقاد قديم وعالٍ وقد أدرجت في كتبهم الدينية، وهي الاقنوم الأول وخالق جميع الموجودات، وهذا مطابق لما ذكره يوحنا في أوّل إنجيله كما ذكرنا النص سابقاً وذكر (دوآن) أيضاً إنّ الأشوريين يعتقدون أنّ (مردوخ) هو الكلمة والكلمة ابن الله، والكلمة خلقت الأشياء وأوجدت العالم ولا يوجد ما هو أعظم منها سوى الله وهي متحدة مع الله.

وقال (فروتغنم) في كتابه (مهد المسيح): إنّ اليونانيين يعتقدون بـ (فولو) أنّه الكلمة وهو أعظم شيء ثابت قبل كل شيء وهو ابن الله البكر له عينان ترشد الى الله وهو قائم مقام الرّب وصورته وموجد العالم، والرّب الثاني وبسببه عُرف الرب وهو رسول الله وقدرته.

ويعتقد قدماء اليونانيين أنّ الله ثلاثة أقانيم وعند ذبحهم الأضاحي لله فإنّهم يشيرون الى ثلاث جهات ويغسلون محل الذبح بالماء الطاهر، ويغسلون أطراف الذبيحة ثلاث مرات ثم يبخرونها بالمجمرة التي يمسكونها بثلاث أصابع فقط. وقد نقل (دوآن) عن أحد شعراء اليونان يدعى (اورفيوس) الذي عاش قبل ميلاد المسيح بعدة قرون: إنّ الله الواحد خلق جميع الأشياء وله ثلاثة أسماء وثلاثة أقانيم، وكان (اورفيوس) قد تعلم ذلك من قدماء مصر.

وقال الكثير: إنّ (فيثاغورس) و(هرقليطوس) و(بلاتو) كانوا يعتقدون بالأقانيم الثلاثة وقد بنوا فلسفتهم على هذا الأساس وكانوا قد تعلموا ذلك من (أوفيسوس).

وقد ذكر (تشمبرس) في دائرة معارفه أموراً كثيرة حول كلمة (أرفيسوس) كلها تؤكد ما ذكره الآخرون وذكر (فسك) في كتابه (الخرافات والإختراعات) ص ٢٠٥: اعتقد عبدة الأصنام الرومانيون القدماء بالثالوث على إختلاف الدرجات فالدرجة الأولى هو الله وبعده الكلمة وبعدها روح القدس.

وذكر (دوآن) في كتابه السالف الذكر^(١): إنّ أهالي إسكانديناوي يقولون: إنّ لله ثلاثة أقانيم وكانوا يعبدونها وهي (أودين) (تورا) (فري).

وكان شعب السويد والنرويج والدنيمارك يفتخر بعضهم على بعض أنّهم صنعوا بيتاً لعبادة الأصنام ذو ثلاث جهات وقد ذهبوا الجدران الثلاث بالذهب والرسوم الثلاثية للبيت.

وكان سكان بعض الجزر في المحيط يعبدون الله من خلال الأقانيم الثلاثة: الإله الأب، والإله، الابن، والإله روح القدس.

وذكر (لردكينغسرو) في كتابه (الآثار المكسيكية القديمة): إنّ المكسيكيين كانوا يعتقدون أنّ لله ثلاثة هيئات تسوقه وفي عام ١٤٤٥ م أرسل القس (مطران قس فرنسيس) الى المكسيك للتبشير فلما عاد بعد أن أمضى عاماً هناك كتب: إنّ سكان (هندراس) يعتقدون أنّ لله ثلاثة أقانيم الأب (بزونام) والابن (باكاب) المولود من العذراء، وروح القدس (ايكليها).

(١) ص ١٧٧ أو ص ٢٧٧ هذا التردد لعدم وضوح الرقم في أصل الكتاب الفارسي بسبب الطبع / المترجم.

والخلاصة فإننا لو أردنا أن نستوعب كل عبّاد الأصنام هنا لما وسع المجال، ولكن ما ذكرناه من كتب المؤرخين المسيحيين عن عبدة الأصنام يكفي لمقابلته اليوم مع اعتقاد النصارى بالأقانيم الثلاثة، ويكفي أيضاً أن يعرف القارىء أن هذا الاعتقاد لم يرد ذكره ضمن الأديان الإلهية الصحيحة التي جاء بها الأنبياء ﷺ بل أنهم كانوا يدعون الى التوحيد الخالص ومحاربة المشركين، إذاً ما يقوم به النصارى اليوم هو محض الشرك الذي دسّوه في الإنجيل وخلطوا بين عقائد المشركين وعقائد الأنبياء لجذب قلوب عبّاد الأصنام إليهم وبذلك أهدروا كلّ جهود المسيح ﷺ وأضاعوها.

المقالة الواحدة والثلاثون

حوار مع أحد المبشرين حول الثالث وإبطاله بدلائل التوحيد

لقد اتصل بي أحد الشباب المسيحيين وحضر عندي وكان برفقته أحد أصدقائه وعرفت منه أنه أحد المبشرين جاء للمناظرة والحوار وقد استقبلته بلطف واحترام، ثم قال: لقد أثارت مقالاتكم السابقة ضجة كبيرة في الكنيسة حيث جاء مجموعة من الشباب وطالبوا القساوسة بالإجابة عن الشرك الثلاثي الذي أثرتموه، وجئنا لنجيبكم عنه، فقلت: أنا حاضر للإستماع الى كلامكم لاسيما إذا كانت عندكم أدلة منطقية فأني شاكر لكم.

فقال: ما ذكرته في المقالة السابقة عن تاريخ بعض الأديان وأنهم كانوا يعتقدون بالأقانيم الثلاثة كله صحيح ولا يمكن الإنكار عليه إلا أنكم وقعتم في خطأ حين زعمتم أن هؤلاء يعبدون الأصنام، وأنهم مشركون والحال أنهم يعبدون الله تعالى الواحد الحقيقي الذي له ثلاثة أقانيم، والخطأ الآخر الذي وقعتم به (بسبب عدم إطلاعكم على تاريخ الملل والنحل) حيث أنكم زعمتم أن الأديان الإلهية خالية من عقيدة الثالث الصحيح وأن جميع الأديان الإلهية يوجد فيها اعتقاد بالأقانيم الثلاثة وقد ذكر ذلك في كل الكتب السماوية بل هي من الحقائق الأولية وهي عين التوحيد، وتمت الإشارة إليها إما تلويحاً أو تصريحاً في القرآن الذي تعتقدون به أنتم، ومضافاً الى ذلك فإن هذه العقيدة يقرها العقلاء ولا يعترضون عليها.

فقلت له بتعجب: وأين ذكر القرآن ذلك ولم نلتفت إليه؟

فقال: إنَّ بداية كلِّ سورة يتكرر قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم) وسبب هذا التكرار هو إلفات نظر القارئ الى حقيقة التثليث؛ لأنَّ الآية تقول: بسم الله والرحمن والرحيم وفي هذه الجمل تبدو الإشارة الى عقيدة الثالوث واضحة ودلالة هذه الالفاظ عليها كاملة فهي تشير الى الأقانيم الثلاثة عند المسلمين بكل وضوح.

فلما سمعت ذلك بقيت للوهلة في تعجب واستغراب ثم ضحكت وقلت لهم: عفواً أيها السادة كنتُ قد سمعت أنَّ الجنون فنون ولكني لم اتصور أنَّ يصل الجنون الى هذا المستوى:

أولاً: من جهة إنَّكم تنكرون القرآن ومن جهة اخرى تستدلون به على التثليث؟!

ثانياً: وقد صرَّح كل المحققين، والعلماء المنصفون من المسيحيين رغم اختلافهم على أنَّ التوحيد الخالص في العالم خاص بالدين الإسلامي، وهذا ما صرح به القرآن الكريم، ويعد - القرآن - هو حجر الأساس في هذا الموضوع. فمثلاً صرَّح الفيلسوف المسيحي الشهير (غوستاف لبون) الفرنسي في الفصل الثاني من الباب الثاني من كتابه الشهير (تمدن العرب):

ثالثاً: وأما ما تفضَّلت به حول البسملة فهو استدلال خاطيء كيف وقد جاءت هذه الآية في مطلع سورة الإخلاص: «قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» وهي صريحة في نفي الولد ونفي الشرك بكل أقسامه وإثبات الوحدة الحقيقة لله تعالى مضافاً الى غيرها من الآيات القرآنية التي على غرارها، ألا تكفي هذه السورة لرد كلامك؟ والنقض عليه؟ وكشف بطلانه؟ لا سيما وأنها نزلت جواباً على المشركين الذين طلبوا من النبي ﷺ أن يعرف لهم الرب سبحانه وتعالى. فأمره الله أن يتلو عليهم سورة الإخلاص الدالة على تفرد

ووحدانيتها وسلب الشريك عنه وكمال المطلق فلا عدل ولا نظير له سبحانه ﴿ليس كمثله شيء﴾^(١).

المسيحي: توجد في أناجيلنا آيات كثيرة على التوحيد مع أنك اتهمتها بالجعل وأنها مبتورة السند.

قلت: أولاً أنا حينما قلت ذلك وفقاً للأدلة فإن كان لديك دليل على نقض أدلتي فهاتها وإلا فلا.

ثانياً: ولم أقل إن الأناجيل من الجلد إلى الجلد باطلة ومجعولة، بل قلت: إن النصارى تلاعبوا بها فاضافوا وحذفوا وهذا عين التحريف أي أصبح الإنجيل خليطاً من الحق والباطل، حتى لم يعد تمييز الحق عن الباطل أمراً ممكناً. المسيحي: بل نقول إن الأناجيل كلها حق ومقالاتكم قابلة للرد.

قلت: تفضل ما هي ردودك على مقالاتي؟

المسيحي: لم نأت إليك في هذه الليلة بهذا الموضوع، بل جئنا لتنبيهك على أن النصارى وأهل التثليث ليسوا بمشركين، فأتينا لإتمام الحجة عليك وإعلامك فإننا موحدون والإعتقاد بالثالث عين التوحيد، فإن أحببت تلوث عليك بعض الآيات من الإنجيل في هذا الصدد لتصدق بأننا نلتزم بالثالث وبنفس الوقت موحدون؟

فتبسمتُ وقلت له: تفضل اقرأ هذه الآيات وأنا أستمع إليك،

فقال: الآية ٣ من الإصحاح ١٧ في إنجيل يوحنا: (وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) وفي الآية ٢٨ و ٢٩ من الإصحاح ١٢ في إنجيل مرقس (فجاء واحد من الكتب وسمعهم

يتحاورون فلما رأى أنّه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل فأجابه يسوع إنّ أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد).

وفي الآية ١٦ و ١٧ من الإصحاح ١٩ في إنجيل متى: (وإذا واحد تقدّم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الابدية؟ فقال له لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلاً واحداً وهو الله)^(١).

ومن هذا القبيل توجد آيات عديدة في الإنجيل كلها تدل على وحدانية الله فقلتُ له: هذا صحيح ونحن كذلك نعتقد بهذا، فلو كنا نحن وأنتم وهذا الإنجيل بهذه الآيات أو التي على غرارها التي تكون ظاهرة الدلالة على التوحيد لا اعتبرناكم اليوم من أهل الكتاب السماوي المقدس النازل على عيسى عليه السلام والذي لا يختلف عن بقية كتب الأنبياء التي تدعو الى التوحيد الخالص ونبذ كل لون من ألوان الشرك، ولكن ما عسانا نفعل وقد أدخلتم الى مصاف هذه الآيات آيات أخرى تشير الى عقيدة الثلاث وهو شرك واضح ولهذا قال المسلمون بنجاستكم وضلالكم كما جاء ذلك بالنسبة للمشركين في القرآن الكريم، ولهذا فأنني حينما استدلتُ على بطلان الإنجيل لم أرد أدلة خارجية بل اكتفيت بنفس الإنجيل الصريح في إثبات الثلاث والأقانيم الثلاثة، بل هذه الآيات التي تلوتها أنت كافية لإبطال عقيدة الأقانيم الموجودة في الإنجيل.

فالآية الاولى صريحة على أنّ عيسى رسول الله فقط، لا أنّه ابنه ولا يحلُّ فيه وهذا يعني أنّ رسولية عيسى عليه السلام دليل كافٍ لإبطال مزاعم الوهيته كما زعمها النصارى، بل العقل يحكم بوجود المغايرة بين المرسل والرسول وهذه قضية

(١) لقد سقطت كلمة واحد من إنجيل متى في المطبوع عام ١٨٩٨ م في لندن من الآية ١٧، إلا أنّ المبشر المسيحي قرأها عندي.

يقرّها العقلاء قاطبة.

فالحياة الأبدية التي تكلمت عنها الآية الأولى لا وجود لها بين المسيحيين اليوم لأنّها - الحياة الأبدية - موضوع مشروط بالمعرفة وهذه المعرفة هي وجوب المغايرة بين الله تعالى ويسوع المسيح ﷺ، فإذا انتفت هذه المعرفة انتفى موضوعها - الحياة الأبدية - فالיום أنتم تعتقدون أنّ يسوع هو الله وهذا خلاف تلك المعرفة. بل هذه المعرفة موجودة اليوم عند المسلمين فلهم الحياة الأبدية. وهكذا الآية الثانية التي تلوتها أنت من إنجيل مرقس فأنّها تأمر بوجوب الاعتقاد بالله الواحد لا بالثالوث والأقانيم الثلاثة والأمر نفسه في الآية الثالثة فإنّها تبطل موضوع الأقانيم من جهة وتدل على تواضع عيسى ﷺ حيث لم يرض أن يقال عنه صالحاً وهذا دليل على تواضعه ولو كان الثالوث حقاً لأمر عيسى ﷺ هذا الرجل السائل به بحيث يقول له: ليس أحد صالحاً إلا الأب والابن وروح القدس. ولكنه لم يقل ذلك.

المقالة الثانية والثلاثون

تتمة الحوار مع المبشر المسيحي حول الصفات

الإلهية

فقال لي: مع ذلك أقول لك ولكل من كان على طرازك في التفكير أنكم تخطأون؛ لأنّ الإعتقاد بالوحدانية لا يناقض ولا يخالف الإعتقاد بالثالث بل الوحدانية أساس الإعتقاد بالثالث.

فقلت له: لم أفهم معنى هذه الجملة فماذا تقصد من أنّ الوحدانية أساس الاعتقاد بالثالث؟

فقال: لو دقت قليلاً لصدّقنا فيما نعتقد؛ لأنّنا موحدون حقيقيون نلتزم بأنّ عندنا إلهاً واحداً مجرداً عن الجسمية وهو أزلي أبدي وله علم وقدرة، وحكمة خالق الأشياء كلها، ولكن في عين وحدته توجد وجودات ثلاثة من نفس جوهره وقدرته وأزليته ووجوده وهي الأب والابن والروح، ولو دقت معي لرأيت أنّ عقيدتنا عين الواقع أي أنّ الأب والابن والروح هي أقانيم ولكل واحد منها خصوصية معينة ولكن مع اجتماعها يكون الله، ومع عدم الاجتماع لا وجود لله تعالى.

فقلت له مبتسماً: لم أفهم معنى يُعتد به من كلامك هذا إذ كيف تجتمع الكثرة مع الوحدة في آن واحد؟

قال: إنّ كثرة الصفات والأوصاف في الذات الإلهية لا تؤثر على وجود الأقانيم الثلاثة اللطيفة، وهي بدورها لا تؤثر على الوحدانية لله تعالى، فكما نقول إنّ الذات الإلهية مستجمعة للصفات الحميدة، فالأمر نفسه في الأقانيم فنقول إنّ

الذات الإلهية مجمع الأقانيم الثلاثة كما هي مجمع الصفات الحميدة.

فقلت له: كلامكم غير صحيح ودليلكم غير تام، لأنكم تصورتم أن الإلهين يقولون بزيادة الصفات على الذات المقدسة، ومن هذا التصور الخاطيء قلتم بورود الكثرة على الوحدة، والحال أننا نقول إن صفاته تعالى عين ذاته لا أنها خارجية عنه ولا إضافية عليه سبحانه بل هي عينية ذاتية وبنفس الوقت نسلب عنه كل صفة نقص، بل وجوب وجوده ينفي كل عيب ونقص وعجز.

فله تعالى صفات الكمال المطلق وهي حقيقة ذاتية ومبررىء عن كل صفة تقدر وتخل في الكمال المطلق ولهذا قسم علماءنا الصفات الى:

١- الصفات الثبوتية: كل صفة كمال وجمال.

٢- الصفات السلبية: كل صفة نقص وهذا القسم مسلوب عن الله تعالى

لا يصح أن يتصف بها.

وهذا مجرد تقسيم عقلي لتوضيح المسألة وإلا فإن صفات الله هي عين ذاته غير زائدة عليه، وهو واحد متصف بهذه الصفات لا إثنان ولا أكثر، ومع ذلك فنحن لانحيط علماً بكنه هذه الصفات وإنما ندرك طرف النقيض منها فمثلاً عندما نقول إن الله لا يتطرق إليه الموت والعدم فهذا يعني أنه موجود في جميع الأزمنة، أو نقول إنه غير عاجز يعني أنه قادر، أو أنه ليس اعمى معنى البصير، وليس بمركب يعني بسيط ولا شريك له يعني أنه واحد وإلى آخره من الصفات الثبوتية سلب صفات النقص عنه يعني إثبات صفات الكمال له تعالى أو بالعكس اثبات الصفات الكمالية له يعني نفي الصفات السلبية عنه وهذه معرفة سطحية للصفات وإلا فإدراكها على نحو الإطلاق الحقيقي أو إدراكها بكنهها فأمر عسير جداً لا قدرة لنا به كما قال أمير الموحدين علي عليه السلام وصي النبي الخاتم بلا فصل: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده

الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله»^(١).

والخلاصة من كلامه ﷺ إن كل صفة تدل على الحوادث أو النقص كما هو الحال فينا نحن فهي منفيه عن الله تعالى،

ومن هذا القبيل الاعتقاد بالأقانيم الثلاثة التي هي محض الشرك، لأننا لو قلنا إن الصفات الإلهية عارضة على الذات وحادثة عليه أي أنه لم يكن عالماً ولا قادراً ولا مريداً ثم طرئت عليه هذه الصفات فيعني أنه كان جاهلاً وعاجزاً وهذا معناه أننا قد صيرناه ضمن حلقة الموجودات الممكنة.

ولو قلنا إنها غير عارضة عليه فنحن أمام احتمالين:

١- أما أن نقول إنها إضافية وقديمة بقدمه فلازمه تعدد القدماء وهو محض الشرك أيضاً.

٢- أو نقول إنها مركبة مع الذات فلازمه التركيب في الذات الإلهية وهو محض الإحتياج والفقر والعجز.

فكمال الإخلاص في توحيده أن ننفي كل صفة نقص عنه، ونثبت له سبحانه صفات الكمال والجمال المطلق وهي عين ذاته لا إثنية في المقام واستطيع أن أضرب لكم مثلاً لتقريب هذه الفكرة فقط: مثل الدسومة في السمن، والحلاوة في السكر، فالدسومة عين السمن والحلاوة عين السكر لا يمكن التفكيك بينهما في الواقع الخارجي، بل لا تطلق الإثنية عليهما خارجاً، وهكذا الحال بالنسبة لله تعالى - بالقياس مع الفارق - فهذه أمثلة نضربها للتقريب وما يعقلها إلا العالمون.

(١) نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي المتوفى ٧٣٦ هـ ص ٦٥، ط قم دار الهجرة.

فظهر لكم أنّ الذات الإلهية مستجمعة لكل صفات الكمال، وما تزعمونه من أنّ روح القدس والابن (اقيمان) في الذات الإلهية وبدونهما يمتنع وجود الله تعالى وذلك باطلٌ للزوم النقص والإحتياج والفقر للذات المقدسة،

ثم أنّي أسألك هذا السؤال: أليس روح القدس من جملة المخلوقات؟ والجواب: نعم، وقلت إنّ الإله بدون روح القدس ناقصاً فكيف مع نقصه وعجزه خلق روح القدس؟ لأنّك قلتَ ما لم تجتمع الأقانيم الثلاثة فلا تظهر آثار الإلهية!! وأسألك سؤالاً آخر: إذا كانت عقيدتكم في الأقانيم الثلاثة بهذه الطريقة - أي مع اجتماعها تظهر آثار الرب - فقبل ولادة المسيح عيسى عليه السلام في فلسطين هل كان الله موجوداً أم لا؟

إذ مع عدم وجود أحد الأقانيم وهو الابن يلزم عدم وجود الله حسب عقيدتكم؟

فإن قلت: موجود، سألناك: كيف وجدَ وهو ناقص كما تعتقدون بذلك؟ بل يلزم عدم وجوده ومع عدمه فالعالم كله عدم. لأنكم تعتقدون أنّ عيسى ابن الله (كما في إنجيل يوحنا الإصحاح الأوّل الآية ١٣) فقبل ولادته كان الله بدونه ومع ذلك يمارس آثار الربوبية فهذا تناقض واضح لم نفهم له وجه؟

ومن جهة أخرى تذكر الأناجيل إنّ عيسى مات ودفن في القبر وبقي فيه ثلاثة أيام، ثم خرج منه حياً والتحق بالسماء فهنا عدة أسئلة:

أولاً: طيلة هذه الأيام الثلاثة التي كان فيها أحد الأقانيم ميّناً في القبر كيف بقي العالم مستقراً بدون الله؟ لأنّ المفروض أنّ يعجز الله عن ممارسة أي عمل لنقص الأقانيم الثلاثة فيه وهي علّة فاعليته وفق زعمكم؟

ثانياً: وبعد ثلاثة أيام عادت الحياة إلى عيسى عليه السلام فمن الذي أحياه؟ هل أحيا نفسه بنفسه؟

الجواب: لا؛ لإستحالة ذلك عقلاً، وإستحالة عندكم أيضاً؛ لأنّ الإقنوم الواحد لا يؤثر ما لم تجتمع الأقانيم كلها.

وإن قلتَ أحياء غيره فمن هو؟ هل هو الله تعالى؟ فإن قلت: نعم سألناك مرّة اخرى كيف يمارس الفاعلية مع نقصه وإحتياجه إلى الأقنوم - كما تزعمون -؟

ولا أظنّك تستطيع أن تُجيب عن كلّ هذه الإشكالات، بل هي دلائل بطلان عقيدة الثالوث والأقانيم، التي يعدّ مَنْ اعتقد بها مشركاً وقائلاً بالعجز والنقص الإلهي لإعتقادكم أنّ الآثار الربوبية لا تظهر من الخالق إلّا مع إجتماع الأقانيم، فلو فقد أحدها تحوّل الخالق القدير إلى إله ناقص ومحتاج!! معاذ الله من هذه المقالات الفاسدة.

المقالة الثالثة والثلاثون

تتمة الحوار: معنى الواحد الحقيقي والتقية

فقال المبشر المسيحي: أعتقد أنك لم تلتفت إلى كلامي السابق فقد قلتُ لكم: إننا النصراني نعتقد برَّب واحد حقيقي أزلي وأبدي لا جسم له ولا أجزاء، ووحدته ذات ثلاثة أقانيم هي الجوهر والقدرة والأزلية، وهذه الأقانيم هي الأب والابن والروح، وهذه الثلاثة هي إله حقيقي واحد ويعبَّر عنه بالأقانيم الثلاثة، وليس من الإنصاف أن تتهمنا بالشرك مع إلتزامنا برَب واحد حقيقي وفق شريعة عيسى عليه السلام ويدل على هذا الآية (٣٠) من الإصحاح ١٧ من إنجيل يوحنا التي تلوتها عليك سابقاً (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك...).

فقلت له: لا أستطيع أن أَرْضِي نفسي بكلامك هذا الذي ينقض بعضه بعضاً، فقط أستطيع أن أقول لك إنك واقع تحت تأثير العادات التي تتساق إليها بشكل لا شعوري.

لقد قلت لك أيها العزيز إنَّ هذه الآية التي تستدل بها يخالفها ما بعدها من الآيات، وسوف أختصر لك الطريق بدلائل واضحة، جاء في إنجيل يوحنا (طبع لندن عام ١٨٩٨) الموجود أمامنا هذا - وقد فتحته أمامهم - وقرأتُ منه الآيات من ٤ - ٨:

«أنا مجدتك على الأرض العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم أنا أظهرتُ اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم كانوا لك وأعطيتهم لي وقد حفظوا

كلامك والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك؛ لأنّ الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم وهم قبلوا وعلموا يقيناً أنّي خرجت من عندك وآمنوا أنّك أنت أرسلتني» وإذا تأملت هذه الآيات التي تتلوا الآية التي ذكرتموها ستلاحظون أنّها خالية من موضوع التثليث تماماً، بل على العكس فإنّها تخالف ما تقولونه ويمكن إثبات أمرين منها طبقاً لعقائدنا:

أولاً: الحياة الأبدية وضعها عيسى عليه السلام ب: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ولم يقل أن يعرفوك بالأقانيم الثلاثة، فكلامك مخالف للإنجيل، بل كل كلام يناقض ويخالف الوحدة الحقيقية لله تعالى فهو كلام باطل، وهذه النتيجة مطابقة لعقائدنا.

ثانياً: هذه الآيات دلّت بوضوح على أن هناك فرقاً بين الله تعالى وبين عيسى عليه السلام فهو ليس رباً ولا أقنوماً الهياً، بل تصرّح الآيات أن عيسى عليه السلام رسول الله أرسله إلى هداية الناس كافة، وقد امثل عيسى عليه السلام وعمل بوصايا الرب سبحانه وتعالى وعلم الناس، وعرف الناس جيداً بأن عيسى عليه السلام مبعوث من قبل الله تعالى،

هذا غاية ما تفيده هذه الآيات ولم تتكلم عن أن عيسى عليه السلام جزء من الرب بل فرقت بين عيسى عليه السلام وبين الله تفريقاً واضحاً غير قابل للشك أو الشبهة. ثم لو قلت: إنّ عيسى هو الرب، أو أحد أجزاءه - وفقاً لمقولة الأقانيم - فلن كان يناجي عيسى عليه السلام؟ هل كان ينادي ويناجي نفسه؟ فهذا أمر محال وزعمت فيما مضى أنّه لا تظهر آثار الإلهية ما لم تجتمع الأقانيم الثلاثة فكيف وهذه الآيات تقرّ أن عيسى عليه السلام يتميز عن الله وهو رسوله وهذا معناه أنّه قد انفصل عن الله - وفق نظر تكم - فلن كان يناجي مع إنعدام الله لتفكك الأقانيم الثلاثة؟ فقال: عفواً ألا تعلم أن عيسى عليه السلام كان مطارداً من قبل اليهود وتحت

رقابتهم ولهذا كان يتكلم تقية (كما تعتقدون أنتم بوجوبها) ولهذا كان يكتف الحقائق لحفظ نفسه، وهذه المناجاة وأمثالها خرجت منه تقية ولم يكشف الحقيقة عن الواحد الحقيقي لكي لا يعطي لليهود فرصة الضغط عليه أو أخذه بهذه الذريعة أي دعوى الإلهية أو كونه جزءاً من الإله. فتبسمت في وجهه وقلت له: كلامك غير صحيح وسأستعين بقوة الله لإبطاله من ناحيتين:

أولاً: أما عن التقية التي ذكرتها وقلت إنها من الواجبات عندنا فسأوضح لك الموضوع جيداً.

إننا نعتقد بالتقية إنطلاقاً من الأدلة العقلية والنقلية ولكن لانجريها في جميع الظروف، بل لها شرائط عديدة ولا يمكن أن أفصلها لكم الآن - التقية - ليست موضوع جلستنا، ثم أنني لست من الأشخاص الذين ينتقلون من محور الى محور تاركين صلب الموضوع فلا أحب أن أهدر وقتي بهذا الشكل.

والخلاصة أن التقية كرخصة إلهية وحكماً شرعياً يمكن إجراءه في كل موقع يهدد نفوس المؤمنين، أو أموالهم أو أعراضهم فيما لو أظهروا عقيدتهم الدينية أو بعض أحكام دينهم أو شعائهم، فلكل مسلم ومؤمن أن يعمل بالتقية لحفظ نفسه أو ماله أو عرضه، أو لحفظ غيره من المؤمنين أو أموالهم أو أعراضهم إنطلاقاً من قوله تعالى في القرآن ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللّٰهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(١).

ولكن بالنسبة للأنبياء - وهو محل بحثنا - فالأمر يختلف إذ ليست أحكامهم ومسؤولياتهم مثلنا، بل قد تكون التقية منهم - أحياناً - أمر قبيح، لأنهم بُعثوا لتأسيس الشرائع وتقنين القوانين وعادة الناس أنهم ينظرون الى النبي من هذا

المنظار ليعرفوا من خلال قوله وفعله ما يجوز وما لا يجوز وعليه فلا يجوز للنبي أن يعمل بالتقية، لأنه سيضطر إلى إخفاء بعض أحكام الدين وهو خلاف ما بُعث إليه، بل سيؤدي ذلك إلى إضلال الناس ووصولهم إلى طرق مغلقة. وهذه النتائج كلها باطلة وعليه فلا يحق للأنبياء أن يمارسوا التقية ولهذا عندما نراجع تاريخ الأنبياء نجد أنهم كانوا يجهرون بالدين بلا تقية لاسيما لمن راجع تاريخ نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وآله فمثلاً أذكر لكم مثلاً واحداً:

لقد كلف النبي ﷺ أن يعلن لأُمَّته بتنصيب خليفته ووصيه من بعده علي بن أبي طالب عليه السلام في محفل عام، وكان النبي ﷺ يخشى ردة فعل المنافقين من هذا الإعلان الخطير الذي يبده أحلامهم ويقطع أطماعهم في السلطة، فهبط عليه جبرئيل عليه السلام بقول الله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ (١)(٢).

فحتى آخر حكم إلهي كان المفروض أن يعلنه النبي ﷺ للناس بلا تقية مع خطورة الموقف، وهكذا الأمر بالنسبة للتوحيد الذي يُعد أساس الأديان الذي لو مارس الأنبياء فيه أي نوع من التقية لأدّى ذلك إلى إضلال الناس وإضمحلال الدين.

هود على بدء

إذن فكلامك السابق إن عيسى اتقى خطر اليهود في موضوع الواحد الحقيقي، وأنه لم يفصح عنه تماماً مردود لجهتين:

الجهة الأولى: ما ذكرته لكم من الأنبياء لا يعملون بالتقية في مورد الأحكام

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) انظر الأخبار حول بيعة الغدير في البحار: ج ٣٧ ص ١٠٨ - ٢٥٣ الباب ٥٢ / المترجم.

والمعارف الإلهية.

الجهة الثانية: ما سبق وذكرته لكم أن نص آية الإنجيل تصرّح بأن عيسى قال: الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك وكان ذلك منه حال المناجاة بعيداً عن اليهود، بل قاله في خلوته فليس عليه أي بأس ليتقي. ولو كانت عقيدة الثالوث سبباً في نجاة وهداية الناس لقالها عيسى ﷺ لأنها من جملة مسؤولياته النبوية ولذكرها في المناجاة على أقل تقدير، ولكن بما أنه لم يذكرها أبداً بل ذكر ما هو خلافها من أنه رسول الله لا ابنه ولا جزءه.

وإنه تعالى واحد حقيقي فيقتضي والحال هذه أنه تكون عقيدة الثالوث عقيدة باطلة وكل من قال بها مشرك بالله.

ومضافاً لكل هذا فإن الأدلة العقلية قامت على إبطال عقيدة الثالوث إذ مع الممتنع عقلاً أن يتحد الواجب بذاته (الله) مع الممكن (عيسى) فقال المبشر: - وهو يحاول إمرار مغالطته -: تارة تقول أن الإنجيل ليس كتاباً سماوياً، وأخرى تستدل بآياته فما هذا التناقض؟

قلتُ لك: إن المسلمين يعتقدون أن الإنجيل كتاباً سماوياً نزل من قبل الله تعالى على عيسى بن مريم ﷺ وهو أحد أنبياء أولوا العزم، ولكن بعد رفع عيسى ﷺ اختفى هذا الكتاب المقدس لعدة أسباب، ثم بعد مرور فترة طويلة كُتِبَتْ عدة أناجيل وقُدِّمَتْ إلى الناس على أساس أنها الإنجيل الحقيقي، والحال أنه إنجيل محرّف.

وقد ذكرتُ لك سابقاً أننا لا ننكر كل ما موجود في هذا الإنجيل بل نعتقد أن قسماً كبيراً منه قد كتبه أيادٍ غير أمينة فخلط الحق والباطل، ولُفِّقَ بينهما من خلال التلاعب بالألفاظ حتى صار التمييز أمراً عسيراً.

أما عن استدلالى ببعض آيات هذا الإنجيل فهو لا يعني الاعتراف الضمني

بهذا الإنجيل، وإنما أُوردها من باب الإلزام لكم؛ لأنكم تعتقدون بحجية وصحة هذا الإنجيل فاستدل به عليكم وأستخرج الأدلة منه على إثبات الواحد الحقيقي وإبطال الثالوث، وأن عيسى رسول الله فقط، وأن الكمال والجمال المطلق لله فقط فاعتبروا يا أولي الأبصار.

المقالة الرابعة والثلاثون

تتمة الحوار: معنى الواحد الحقيقي والاعتباري

ثم قلت له: والموضوع الذي تكرر في كلامك مرتين قولك: إنَّ النصارى يؤمنون بالله الواحد الأزلي الأبدي الذي لا جسم له ولا أجزاء، فتكون وحدته عين وجود الأقانيم الثلاثة فيه ومع اجتماعها يكون الله واحداً حقيقاً.. أحببتُ أن أقف على بعض عباراتك هذه التي تفوح بالتضاد والخلاف للعقل والمنطق:

عليك أن تعرف أن كلمة (الواحد) تستعمل في معنيين، فتارة تستعمل ويراد منها الواحد الحقيقي الذي كان يقصده جميع الأنبياء، والمذكور في إنجيلكم هذا في الآية التي قرأناها سابقاً. ولا يُراد من هذا الإستعمال - لاسيما إذا أضيف إليه كلمة حقيقي - إلا معنى واحداً وهو الله سبحانه وتعالى. وتارة تستعمل كلمة (واحد) ويُراد منها المعنى الاعتباري الذي تشترك فيه جميع الموجودات.

والمراد من إستعمال الواحد الحقيقي في الحق تعالى يعني أنه لا ثاني له بأي معنى من المعاني؛ لأنَّ الاثنينية تعني التركيب والآخر يمتنع صدقه في الله تعالى لا تركيباً خارجياً (كالأعضاء والجوارح) ولا ذهنياً (كالمادة والصورة) ولا عقلياً (كالجنس والفصل) إذ في جميع هذه الأمور تصدق الاثنينية وهو محال بالنسبة لواجب الوجود. ووجه الإستحالة أننا لو قلنا بتركيبه سبحانه وتعالى فمعناه أننا قد أنزلناه سبحانه من مرتبة الواجب إلى مرتبة الممكن، لأنَّ التركيب من لوازم الممكنات فالمخلوقات كلها مركبة من أجزاء وأعضاء ظاهرية، أو داخلية باطنية

أو ذهنية عقلية، ومن لوازم التركيب الإحتياج وهو توأم النقص والفقر، وبالتالي صار الواجب ممكناً مركباً محتاجاً ناقصاً وهو محال عقلاً، لأن الله واجب الوجود بنفسه ولنفسه وفي نفسه لا يمكن تحوُّله إلى ممكن أبداً.

وعلى هذا الأصل فالواحد الحقيقي ليس له أجزاء بأي وجه من الوجوه، لأنَّ الجزئية له تعني الإثنيية وهي تعني التركيب وقلنا إنه أمر باطل. وعليه فهو واحد حقيقي بهذا المعنى.

وأما الواحد الإعتباري الذي يطلق على جميع الموجودات فهو لا يعني ما عيناه بالواحد الحقيقي، لأنَّ كلَّ موجود واحد يعيش التركيب في ذاته وتشخصه فله أجزاء ظاهرية وباطنية.

فمثلاً: الحلوى تتكون مع ثلاثة أجزاء (أقانيم) هي:

١- الطحين

٢- الزيت

٣- السكر

ولكل واحد من هذه الأجزاء (الأقانيم) له خاصية معينة ولكن عند اجتماعها مع بعضها تتكون عندنا الحلوى، فلو فقدَ أحد هذه (الأقانيم) لم تتكون الحلوى، إذن فهذه الثلاثة حال صيرورتها إلى حلوى يحتاج بعضها إلى البعض الآخر.

وعليه فقد رأيت أنَّ الإحتياج من لوازم التركيب وكل محتاج هو ممكن الوجود - مضافاً إلى أنَّ كلَّ مركَّب يحتاج إلى مركب - ^(١).

(١) يقول العلامة الخبير مقداد السيوري الحلبي شارح كتاب «الباب الحادي عشر» في ذكره لخواص واجب الوجود: إنه لا يكون صادقاً عليه التركيب، لأنَّ المركب مفتقر الى أجزائه

وعلى ضوء هذا التمايز بل التضاد بين الواحد الحقيقي والواحد الاعتباري يظهر أن الفرق بينهما شاسعاً غير قابل للقياس والتقريب فضلاً عن الجمع بينهما؛ لأنه من جملة المستحيلات، وعليه فكيف يتم قولكم إن النصارى تعبد إلهاً حقيقياً واحداً أزلياً أبدياً وبنفس الوقت يعبدون واحداً اعتبارياً في ضمنه وهو المعبر عنه بـ (الأقانيم الثلاثة)، لأنني أوضحت لك أن اجتماع الاثنين يعني التركيب وهو يفصح عن الإحتياج وهو متضاد تماماً مع الواحد الحقيقي المبرء عن الإحتياج والتركيب، ففي كل موقع وجد عندنا واحداً اعتبارياً ينتفي وجود الواحد الحقيقي فيه أو ضمنه للإستحالة والتضاد، فما تعتقدون به هو الواحد الاعتباري القابل للإتحاد والتركيب لا الواحد الحقيقي.

وما قلته أيضاً من أن هذه الأقانيم الثلاثة كلها من جوهر واحد فهو غير صحيح أيضاً؛ لأن عيسى عليه السلام مخلوق من مادة غير التي في روح القدس وبالعكس، إذن فكل من عيسى عليه السلام وروح القدس يتمايزان في أصلهما فكل من جوهر خاص وقلت أيضاً: إن لكل أقنوم خاصية معينة غير موجودة في الإقنوم الآخر فيلزم من هذه التركيبات المختلفة إيجاد خاصية متباينة ومختلفة وهذه الامور غير متوفرة في الواحد الحقيقي، بل في الواحد الاعتباري إذن فالقائلين بالثالوث ليسوا موحدين حقيقيين أبداً...

فقال: أنت تعرف أن للماء خصوصية الحياة، وللزهرة خصوصية العطر، وهذه الخصوصية لا تأتي إلا بعد أن يرد الماء لهذه الزهرة ويسقيها فتظهر الزهرة بجمالها وعطرها بعد أن دبّت الحياة فيها ببركة الماء الموجود في باطنها دون أن

= المغايرة له فيكون ممكناً والممكن لا يكون واجباً لذاته..

ويقول: وقد ثبت إن الإحتياج لازم للإمكان والإمكان لازم لماهية الممكن ولازم اللازم لازم - أي الإحتياج لازم للماهية - انظر ص ٢١ من الباب العادي عشر للعلامة الحلي / المترجم.

يظهر في الواقع الخارجي، ووجود اقنوم الابن - من الذات الإلهية - في عيسى كوجود الماء في حقيقة الزهور فإتحادهما يلغي الفرق بينهما كما جاء في الآية (٣٠) من الإصحاح العاشر في إنجيل يوحنا «أنا والأب واحد» فهذه الآية دالة صريحاً على إتحاد عيسى بالرب إتحاداً غير قابل للتفكيك بل هو واحد، وهكذا الأمر بالنسبة للأقانيم الثلاثة.

فقلت له: لقد عدت إلى استعمال المغالطة مرّة أخرى، وقمت بخلط الأوراق ثانية، وبتعبير آخر لقد ألبست عقيدتكم لباس أهل الحق لتظهر بمظهر الحق، ولكن لا تغفل فأنا أمامك بكامل الإنتباه والوعي فلا تمر عليّ هذه المغالطات فأنت حينما فشلت في الإجابة عن البراهين التي ذكرتها في نقض الأقانيم الثلاثة وإبطالها بالأدلة المنطقية رجعت القهقري وطرحت موضوع الحلول والإتحاد مع أن بطلان هذا الموضوع أوضح من الشمس في رابعة النهار، وتمثيلكم بالوردة والماء غير متناسب لما نحن فيه؛ لأنّ كلا الشئين (الماء والزهرة) جسم ولم يحصل بينهما إتحاد.

ثم أنك تستطيع التمسك بالحلول فيما إذا قلت إن اقنوم (الابن) جسم والحال أنكم تعتقدون بعدم جسميته فالحلول غير معقول.

وإذا قلت: إن هذا الحلول من قبيل إضافة الصفات إلى الذات (كما قالته الاشاعرة) فهو أيضاً باطل، لما قلناه سابقاً من أنّه يستلزم إحتياج الذات والإحتياج من لوازم الإمكان.

ثم إن حلول اقنوم (الابن) في جسم عيسى ﷺ من أي قبيل؟ هل حلّ جزءه في عيسى وبقي الجزء الآخر في الله؟ أو أنّه حلّ فيه بتمامه؟ فإن قلت بالفرض الأوّل فهو يعني أن الحلول قد تحقق في محلّين، وإن قلت بالفرض الثاني فهو يعني أن الذات الإلهية خالية من اقنوم (الابن) وبالتالي لا وجود للذات؛ لأنّ إنتفاء الجزء

يؤدي إلى انتفاء الكل لاسيما على معتقدكم.

وإذا قلت: إن هذا الإتحاد بلا حلول (كما قاله البعض)، قلنا لك: ما وجه هذا الإتحاد هل المتحدان كلاهما موجودان؟ أو كلاهما معدومان؟ أم أن أحدهما موجود والآخر معدوم؟ وكل هذه الفروض باطلة وغير معقولة؛ لأننا لو قلنا بوجودهما معاً فهما إثنان إذاً فلا يبقى أي معنى للواحد، وإن قلنا بعدهما معاً وحصول حالة ثالثة مغايرة لهما، فهذا معناه لا إتحاد. وإن قلنا إن أحدهما موجود والآخر معدوم، فهو مستحيل إذ كيف يحصل اتحاد بين الموجود والمعدوم.

فقال المبشر: الإتحاد الذي نعنيه من قبيل الظهور كظهور صورة الإنسان في المرأة.

فقلت له: إذاً من خلال كلامك هذا ينتفي الإتحاد الحقيقي وتثبت المغايرة والتباين الكامل. وقد أجاب على مثل هذا التصور الخاطيء جملة من علماء الإسلام وكذلك العلماء المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام، ولا يسع المجال هنا لأبسط لك هذا البحث ولكنني أختصره لك:

إن صورة الإنسان في المرأة مغايرة لنفس الإنسان وهذا يعرفه حتى عوام الناس، وعليه فالاقنوم (الابن) مغاير لعيسى عليه السلام إذن فالإتحاد والثالث ليست أكثر من أوهام ومغالطات وسفاسف؛ لأن الذات الإلهية أعلى وأجل من هذه الخزعبلات، وكلمة التوحيد التي تفضلتم بها في أول الحوار كلمة حق ولكنكم حرّفتُم دلالتها بتعاليمكم الضالة، وقلّة باعكم في أمور الدين كما قالوا في المثل: إن لم تستطع أن تنظم الشعر فلما تقوله ثم تظل في حيرة من أمرك في قافيته؟ فهذا الدين السهل والسمح الذي يعرفه ويدركه أبسط الناس لماذا تعقدونه وتأتون منه طرق ملتويه ليبدو غامضاً للناس وفي غاية التعقيد؟

وإن التوحيد الذي جاء به عيسى عليه السلام لا يتحمل أن تنسجوا فيه موضوع

الأقانيم الثلاثة، ولم تكتفوا عند هذا الخطأ الفاحش، بل ترتكبون ألف خطأ آخر للدفاع عن الخطأ الأول بينما التوحيد كعقيدة يجب أن تكون واضحة جداً إلى أبعد حد يعرفها أبسط الناس ويستطيع أن يعبر عنها ويعلمها للآخرين، كما هو الأمر بالنسبة للمسلمين (خواصاً وعواماً) فإنهم عرفوا التوحيد من خلال القرآن الكريم واحاديث رسول الله ﷺ بلا أدنى تعقيد أو غموض فعرفوا وآمنوا بالواحد الاحد وعلوموا غيرهم ذلك حتى أنك لو سألت أي فرد من المسلمين من العوام أو الخواص: مَنْ ربك؟ أو قلت له عرّف لنا ربك؟ لقال لك: قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد^(١).

فجميع معاني التوحيد الخالصة، والوحدة الحقيقية لله تعالى تتضمنها هذه السورة المباركة وهكذا تنفي أي نوع من أنواع الشرك والعقائد الباطلة مع إختصارها الشديد.

والسورة المباركة تثبت الوحدة الحقيقية لله تعالى المتصف بالكمال المطلق والغائب عن الأنظار وقد استعملت كلمة (أحد) ولم تستعمل كلمة (واحد) والفرق بينهما:

إنّ (واحد) يستعمل لذوي العقول وغيرهم بينما اختصت كلمة (أحد) بذوي العقول فقط، و(الواحد) يدخل ضمن تسلسل الأرقام والعدد، بخلاف (أحد) فإنها ليست كذلك.

ولهذا فإنّ العرب يستعملون كلمة واحد لكل معدود ويعبرون بـ (أحد) عندما يكون مرادهم الوحدة الصرفة التي لا تدخل في عالم الأعداد والأرقام. وبعبارة ثانية (الواحد) يعبر عن الوحدة العددية أو الإعتبارية و(أحد) يعبر

عن الوحدة الحقيقية وقد مرَّ بحثه ولهذا جيء في الآية بكلمة أحد للدلالة على أنَّ الله ربنا واحد بالذات، ومتفرد بالمعنى فهو المعبود الوحيد الذي يعجز عن إدراكه أو كيفية كل أحد، فهو المتفرد بالإلوهية والمتعالي عن صفات المخلوقين، وصمد يعني يحتاج الكل إليه ولا يحتاج إلى أحد ولا إلى شيء فذاته مغايرة لجميع الذوات في عدم الجسمية والجوهرية. وهذا معنى قوله: ﴿قل هو الله أحد﴾ أما قوله ﴿لم يلد﴾ فهو يعني أنه لم يتولد منه شيئاً لطيفاً أو كثيفاً وهذه الآية صريحة في ردِّ اليهود القائلين بأنَّ عزير ابن الله، وكذا في ردِّ النصارى القائلين بأنَّ عيسى ابن الله ولهذا جاءت بلفظ الماضي لا المستقبل،

وقوله ﴿ولم يولد﴾ أي أنه سبحانه وتعالى لم يلد شيء، ولم يخرج من شيء، وقوله: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ أي أنه لا نظير ولا شبيه ولا مثيل له في الزمان السابق والحاضر والمستقبل، فالآية تنفي أن يكون له مثيل أو شريك وهي في معرض الردِّ على النصارى والمجوس الذين قالوا إنه ثالث ثلاثة.

فيأياًها السادة انصفوا بين القولين، بين قولنا إنه إله واحد حقيقي لا شريك ولا شبيه له لم يلد ولم يولد، وبين قولكم إنه إله وفي عين وحدته الأقانيم الثلاثة ولكل إقنوم ميزة خاصة عند اجتماعها تظهر آثار الفاعلية الإلهية المعبر عنها بالأب والابن وروح القدس، انصفوا بين القولين أيهما أقرب إلى العقل والوجدان؟ وأيهما أقرب إلى عقول الناس وأفهامهم؟

من البديهي جداً إنَّ الناس ترغب في العقائد الواضحة وتنفر من العقائد المعقدة وغير المفهومة، فالإسلام يركز على أصل التوحيد وهو أمر واضح وبين، بخلاف المسيحية اليوم فأنَّها تركز على مباني فلسفية معقدة وغير صحيحة وقد اعترف بذلك بعض علمائكم في كتبهم العلمية والتاريخية ولايسعني المجال والوقت لأذكر لك كلماتهم، ولكني أنقل لك كلمة أحد فلاسفة الغرب المسيحيين

المعروف عندكم، ثم قمتُ واستخرجت من مكتبتي كتاباً كبيراً وقلت لهم: هذا هو كتاب (تمدن العرب) وهو تأليف أحد فلاسفة الغرب في القرن الأخير وهو الدكتور غوستاف لوبون الفرنسي الذي يدفع فيه جميع الاعتراضات والشبهات التي أثارها أرباب الكنائس ضد الإسلام فيحاول غوستاف لوبون أن يدفع هذه الإشكالات بالأدلة العقلية والمنطقية فكانت ردوده بكل إنصاف وهذا هو الكتاب بطبعته الأولى وسوف أقرأ لكم من الفصل الثاني الباب الثاني حول فلسفة القرآن وسبب إنتشاره.

ثم قرأتُ لهم العبارات التي ذكرناها في المقالة ٣١ بعدها قلت: هذا نموذج من الحق الذي اعترف به علماءكم المنصفون حول الاسلام والنصرانية، فإذا وصلنا إلى نتيجة مهمة من خلال المقدمات والتوضيحات الماضية - علاوة على الأدلة العقلية والنقلية - إن النصرانية اليوم هي محض الشرك، والأخير ملاك النجاسة فنعتقد بنجاسة النصارى بسبب شركهم بالله مضافاً إلى الأدلة النقلية الموجودة في كتب اليهود وكتبكم أيضاً الصريحة بنجاستكم.

المقالة الخامسة والثلاثون

إثبات نجاسة اليهود والنصارى من التوراة والإنجيل

قال المبشّر المسيحي: أرجو أن تلتفت إلى كلامك مَنْ الذي يتعامل بـ (المغالطة) أنا أم أنت؟ وفي أي كتبنا يوجد دليل كفرنا ونجاستنا؟ تفضل به علينا لنجيبك عليه؟

قلت: ألم تكفك هذه الساعات من الحوار والأدلة المتعددة على إثبات شرك المسيحية ونجاستها؟ ولكن مع ذلك سأوافيك بالأدلة القاطعة الملزمة لكم من نفس هذه التوراة والإنجيل الموجدتين أماناً على شرك النصارى ونجاستهم: أولاً: الآيات (١ - ٨) من الإصحاح (١٢) في سفر لاويين حول أحكام مواليد الأطفال (وكلم الرب موسى قائلاً كلم بني إسرائيل قائلاً: إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام كما في أيام طمث علتها تكون نجسة وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته، ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوماً في دم تطهيرها كل شيء مقدس لا تمس، وإلى المقدس لا تجيء حتى تكمل أيام تطهيرها، وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما في طمثها، ثم تقيم سنة وستين يوماً في دم تطهيرها ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتي بخروف حولي محرقة وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطية إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن، فيقدّمهما أمام الرب ويكفر عنها فتطهر من ينبوع دمها، هذه شريعة التي تلد ذكراً أو أنثى، وإن لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين أو فرخي حمام الواحد محرقة والآخر ذبيحة خطية فيكفر عنها الكاهن فتطهر».

إذن فهذه الفقرات تدل بصراحة على أن مدة نفاس المرأة التي تلد ذكراً

أربعين يوماً، ومدة التي تلد اثني ثمانين يوماً وهي خلال هذه الفترة نجسة لا يحق لها الدخول إلى الأماكن المقدسة، وبعد إنتهاء أيام نفاسها عليها أن تذبح خروفاً وفرخ حمامة، أو يمامة تقدمه وتقدمها إلى خيمة الإجتماع فيكفر عنها الكاهن، وبعد ذلك تكون قد طهرت وأما إذا لم تفعل هذا فتبقى على نجاستها.

ثانياً: وجاء في إنجيل لوقا الفقرات من (٢٢ إلى ٢٤) الإصحاح الثاني إن مريم قد عملت بهذا بعدما ولدت عيسى عليه السلام حيث جاء ما نصّه: «ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب كما هو مكتوب في ناموس الرب أن كل ذكر فاتح رحم يُدعى قدّوساً للرب ولكي يقدموا ذبيحة كما قيل في ناموس الرب زوج يمام أو فرخي حمام».

واليوم لا وجود لخيمة الإجتماع في بيت المقدس، ولا وجود لكاهن من أولاد هارون فماذا يصنع اليهود والنصارى ليطهروا؟

بل في نفس تلك الأزمنة الماضية ماذا كان يفعل اليهود والنصارى الذين يسكنون أقاصي البلاد حيث يتعذر عليهم المجيء إلى خيمة الاجتماع في بيت المقدس ورؤية الكاهن فبعد إنتهاء أيام النفاس كيف يتطهرون؟ إذ الكثير منهم لم يذبح خروفاً ولا قدّم حمامة ولا يمامة فكيف تطهروا؟ وإن لم يفعلوا ذلك فمعناه إن نساء اليهود والنصارى ممن لم تمتثل لهذا الحكم كلهن نجسات، ولا يحق لهنّ الدخول في الكنائس والمعابد، ولا تناول التوراة أو الإنجيل وفقاً لدينهم. وهكذا كلما تأخرت أو تخلّفت شرائط التطهير كلما حكمت التوراة والإنجيل على النساء بالنجاسة.

فقال: الأجوبة على ذلك كثيرة أهمها وعمدها إن الله لا يكلف ما لا يُطاق، فهذا الواجب مشروط بالقدرة والإستطاعة على الذهاب إلى بيت المقدس ومع عدم القدرة ينتفي الوجوب ويسقط.

فقلت: ما تقول هل كان الله تعالى يعلم أن خيمة الاجتماع وكاهن بني هارون سوف يصبحان في خبر كان وينقرضان بمرور الزمن أم لا؟ فإن قلت: لا يعلم لزم الجهل على الله وهو باطل، وإن قلت: إنه سبحانه يعلم فكان الواجب عليه أن يضع البديل عن الخيمة والكاهن مع علمه بإنقراضهما مستقبلاً ويرشد الناس إلى البديل في حالة عدم القدرة من الوصول أو البديل عن الخيمة والكاهن. وبما أنه تعالى لم يذكر ذلك فيظهر أن هذه العقيدة دخيلة على التوراة وهي ليست من عند الله تعالى، نعم يبقى احتمالان في المقام هما:

ألف - إما أن تقول: إن قضية التطهير بهذا الشكل كانت مؤقتة وقد نسخها الله تعالى لاحقاً وهو ما ليس لكم عليه دليل.

ب - أو تقول: إن الحكم ليس مؤقتاً بل ثابت والغرض منه عدم خروج بني إسرائيل من بيت المقدس لكي يسلم الناس من شرهم ومكرهم ففرض عليهم هذا التكلف لإبقائهم في فلسطين دائماً ونجاة العالم منهم.

ثالثاً: ومن جملة الأدلة على نجاسة اليهود والنصارى هو تناولهم واختلاطهم مع النجاسات كالخنزير والأرنب فقد جاء في سفر لاويين الإصحاح ١١ الفقرات (٦ - ٨) وهو النص الذي يحدد لبني إسرائيل الحيوانات النجسة التي لا يحق لهم أكلها: «والأرنب لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم، والخنزير لأنه يشق ظلفاً ويقسمه ظلفين، لكنه لا يجتر فهو نجس لكم من لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا أنها نجسة لكم».

وجاء في سفر تثنية الإصحاح ١٤ الفقرات (٧ - ٩): «إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف المنقسم الجمل والأرنب والوبر؛ لأنها تجتر لكنها لا تشق ظلفاً فهي نجسة لكم ولا خنزير؛ لأنه يشق الظلف لكنه لا يجتر فهو نجس لكم فمن لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا وهذا تأكلونه من كل ما في المياه كل

ماله زعانف وحرشف تأكلونه لكن كل ما ليس له زعانف وحرشف لا تأكلوه أنه نجس لكم».

فهذه نصوص صريحة في حرمة لحم الأرنب والخنزير ونجاستهما، بينما نجد النصارى اليوم يأكلونهما في الإفطار ويحتفظون بلحومها، بل ويعملون من ألبان الخنزير جبناً وحليباً يفضلونه على جميع الأجبان. إذن فقد خالط الحرام والنجس أبدانهم ظاهراً وباطناً وهم لا يتحرّزون عن ذلك أبداً ألا يكفي ذلك لنجاستكم؟

فقال: كانت هذه الأحكام (الحرمة والنجاسة) خاصة ببني إسرائيل وقد نُسخَت في شريعتنا كما في تعليمات پولس المقدس.

فقلتُ: أولاً: اعترافك بالنسخ أمر عجيب هنا؛ لأنّ سائر علمائكم ينكرون النسخ في الشرائع وفقاً لتعاليم وكلمات المسيح.

ثانياً: إنّ تعاليم وأقوال پولس لا قيمة لها أمام تعاليم المسيح ﷺ فإنّ المسيح ﷺ جاء لإقرار ما سبق لا للنسخ كما في إنجيل متى الإصحاح الخامس الفقرات (١٧ - ١٩): «لا تظنوا أنّي جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل فأنّي الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات..».

فما تفضلت به مخالف لصريح الإنجيل التي تزعمون أنّها كلام الوحي فأنّت تُدعى في ملكوت السموات صغيراً لأنك تنقض ناموساً.

ومن جملة الأدلة على نجاسة النصارى هو أكلهم ما استخرجوه من البحر مع أنّ التوراة أحلت لهم السمك الذي له فلس (قشر) فقط، وحرّمت عليهم ما دون ذلك وأعتبرته نجساً لهم، ولكنهم اليوم يأكلون كلّ شيء.

ومن أدلة نجاستهم أيضاً هو عدم التزامهم بأحكام الحيض والاستحاضة مع عدم وجود الخيمة والكاهن، فقد نصَّ سفر لاويين الإصحاح ١٥ الفقرات (١٩ - ٣٣) «وإذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دمأً في لحمها فسبعة أيام تكون في طمئتها وكل مَنْ مسها يكون نجساً إلى المساء، وكل ما تَضْطْجَع عليه في طمئتها يكون نجساً، وكل ما تجلس عليه يكون نجساً، وكل مَنْ مَسَّ فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء، وكل مَنْ مَسَّ متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء وإن كان على الفراش أو على المتاع التي هي جالسة عليه عندما يمسه يكون نجساً إلى المساء، وإن اضطجع معها رجل فكان طمئتها عليه يكون نجساً سبعة أيام، وكل فراش يضطجع عليه يكون نجساً، وإذا كانت امرأة يسيل سيل دمها أياماً كثيرة في غير وقت طمئتها أو إذا سال بعد طمئتها فتكون كل أيام سيلان نجاستها كما في أيام طمئتها أنها نجسة كل فراش تضطجع عليه كل أيام سيلها يكون لها كفراش طمئتها وكل الأمتعة التي تجلس عليها تكون نجسة كنجاسة طمئتها وكل مَنْ مسَّها يكون نجساً فيغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء وإذا طهرت من سيلها تحسب لنفسها سبعة أيام ثم تطهر وفي اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين أو فرخي حمام وتأتي بهما إلى الكاهن إلى باب خيمة الاجتماع فيعمل الكاهن الواحد ذبيحة خطية والآخر محرقة ويكفر عنها الكاهن أمام الرب من سيل نجاستها فتعزلان بني إسرائيل عن نجاستهم لثلاثين يوماً في نجاستهم بتنجيسهم مسكين الذي في وسطهم، هذه شريعة ذي السيل والذي يحدث منه اضطجاع زرع فيتنجس بها، والعليلة في طمئتها والسائل سيله الذكر والانثى والرجل الذي يضطجع مع نجسة».

فمن نص التوراة وإنجيل متى نعلم أن النصارى اليوم لا يعلمون بهذه التعاليم فنحكم بنجاسة صغيرهم وكبيرهم إناثاً وذكوراً وليس حكمنا هذا مجرد استنتاج

بل صريح النصوص المذكورة في التوراة والإنجيل،
فأنتم أمام طريقين:

١- إما أن تعترفوا أن هذه النصوص من الله وهي شريعتكم التي يجب عليكم الإلتزام بها، وهذا يكلفكم الكثير، لأنكم ستعترفون على أنفسكم بالنجاسة لعدم توفر الشروط المذكورة وعدم عملكم بالبعض الآخر.

٢- أو تنفون نسبة هذه النصوص إلى الله تعالى (وهو ما ذكرته في مقالاتي الأولى من أن الأيدي الخبيثة حرّفت الكتب المقدسة لليهود والنصارى)، لأنه سبحانه لا يكلف الإنسان ما لا طاقة به وما يلزم منه الحرج والعسر.

فاختار أحد الطريقين؟

فقال: إن الإجابات على كلامكم كثيرة جداً، إلا أن الساعة قد تجاوزت الثانية عشر فلم يبقَ وقت لإكمال الحوار، فأتركه إلى فرصة أخرى.

المقالة السادسة والثلاثون

تتمة أدلة بطلان الإنجيل: العشاء الرباني،

وشرب الخمر وتبديل الجنس

ومن جملة الأدلة التي تثبت بطلان الأناجيل المتداولة اليوم التي يضلون بها ملايين النفوس موضوع (العشاء الرباني) المشار إليه في المقالة (٣١) ضمن كلام الدكتور غوستاف لوبون الفرنسي الذي كان بصدد ذكر العقائد المسيحية الباطلة والخرافية وقد ذكرنا موضوع تبديل الجنس الذي يُعد من أشكال العقائد النصرانية، فقد راسلني البعض وحضر عندي بعض آخر يسئلون عن معنى تبديل الجنس وهذا ما سوف أتناوله في هذه المقالة ليتضح الحق لذوي العقول من الشباب المفكر الواعي الذين لا يسيرون وراء التقاليد البالية التي لاتصمد أمام الدليل والمنطق.

فقد جاء في الفقرات (٢٦ - ٢٩) من الإصحاح (٢٦) من إنجيل متى: «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسّر وأعطى التلاميذ وقال: خذواكلوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم؛ لأنّ هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا وأقول لكم إنّي من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي.»

وجاء في إنجيل مرقس الفقرات (٢٢ - ٢٤) الإصحاح (١٤):

«وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسّر وأعطاهم وقال: خذواكلوا هذا هو جسدي ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم...» عين العبارة السابقة.

بينما فُصل الكلام في إنجيل يوحنا في الإصحاح (٦) الفقرات (٤٨ - ٥٨) قال عيسى عليه السلام: «أنا هو خبز الحياة آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم، فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناكل، فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير؛ لأنّ جسدي مأكل حق، ودمي مشرب حق من يأكل جسدي ويشرب دمي (مراده خبز الفطير والشراب) يثبت فيّ وأنا فيه كما أرسلني الاب الحي وأنا حيّ بالأب فمن يأكلني فهو يحيا بي هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا...».

ومن تأمل في هذه النصوص يقطع أنّ عيسى عليه السلام لم يتفوه بها أبداً بل هي من جملة ما نسجه وألفه المحرفون، فالفقرات أعلاه غاية ما تعبّر عنه هي الخرافة والأكاذيب وهذا ليس من شأن المسيح عليه السلام، وقد عمل المحرفون وأصحاب المطامع على تحويل هذه الخرافات إلى واقعات يتعامل بها الملايين في الكنائس الكاثوليكية طيلة ألفي عام باسم (القربان المقدس) وتوضيح ذلك: إنهم يجتمعون في يوم ذكرى صلب المسيح عليه السلام - حسب زعمهم - في الكنائس ثم يأمر القسيس الكبير بعض خدام الكنيسة بصنع فطائر من الطحين وتقدّم بين يديه ويؤتى بشراب قد أعدّ سابقاً في الكنيسة أيضاً ويوضع في ظرف فضة كما وتوضع الفطائر على منديل نظيف ثم يمر أمام الناس الواقفين بإتجاه المشرق وبيده الشراب والفطائر وهو يتلو تلك الفقرات التي ذكرناها سابقاً عن خبز الحياة الأبدية وبعد ما ينتهي من قراءة النصوص يسجد على فطيرة الخبز وهو يقول أنت

عيسى رب السماء والأرض، أنت الذي تجسّمت في بطن مريم ابن الله المولود قبل العوالم كلّها، وأنت الذي بك نجونا من الشياطين، وأنت الجالس على يمين الرّب في السماء نسئلك المغفرة والرحمة ونجاة أمتك بدمك المخلوط فيها!! ثم يمسك خبز الفطير أمام الحاضرين وهم بدورهم يسجدون لها!!! لإعتقادهم أنّ بدن المسيح قد اختلط بها بعد التقديس - أي بعد قراءة الأدعية - فيسجدون لعيسى الرّب من خلالها!! ثم يأخذ القس الشراب بيديه ويقول إنّ عيسى شرب كأساً وأعطى للحواريين ذلك الشراب، وقال لهم: اشربوا فإنّه دمي، ثم يسجد القس على ذلك الشراب ويسجد الحاضرون له - للشراب - لاعتقادهم أنّه قد تحوّل بعد الأدعية إلى دم المسيح ﷺ ولذا فهم يسجدون لهذا الدم!

ثم حال قراءتهم للأدعية على خبز الفطير فأنّهم يفتنونه إلى قطع صغيرة بقدر الحمصة أو أصغر، وتوضع بيد القس والشراب بيد قس آخر ويتقدم الحاضرون واحداً بعد واحد إلى القس وكل واحد يفتح فمه أمام القس ليضع فيه قطعة واحدة من الفطير وعليه أن يتلعها فوراً دون المضغ (لأنّها جسد المسيح وقد يكون المضغ مؤذياً لبدن المسيح) ثم تُعطى لكل واحد جرعة من الشراب دون أن يمَسّون الظرف بأيديهم) وبهذا الشكل يصبح كل واحد منهم - بعد الأكل والشرب - ابن الله - لأنّهم يزعمون أنّ أبدانهم بعد الأكل والشرب قد تحولت إلى بدن المسيح ودمهم دم المسيح ﷺ!

ولهذا جاء في كتاب الصلاة ص ١٧٦ للكاثوليك^(١): اكتب إليك أمراً أن تصير ابن الله من بين جميع الموجودات لا يمكن إلاّ بالاتحاد والإختلاط والإمتزاج مثل خبز التقديس، لأنّ سبب إتحادنا وامتزاجنا بالمسيح هو أنّ جسده

قد اختلط بجسدنا، لاكلنا لخبز التقديس، ويجري دمه في شراييننا وروحة فينا وقد وهبنا قسماً من إلهيته (أعوذ بالله من هذه المقالات الفاسدة).

وجاء في ص ٤٧ حول خبز التقديس: إنَّ الربَّ يسوع المسيح المقدس الإنسان والإله قد حل في الخبز أي أنَّ اللاهوت والناسوت وأحد الأقانيم الثلاثة بعد التقديس قد تحول في الخبز الذي استحال إلى المسيح بلاهوتيته وناسوتيته وأحد الأقانيم الذي هو المسيح ابن الله الحي الذي كان مع الأب منذ الأزل وقد نزل من السماء وتجسّم بصورة إنسان بيننا وهو ربنا المسيح المولود من مريم البتول.

هذه نماذج من خرافات النصارى - الكاثوليك الذين يمثلون الأكثر - التي لو تأملها كل عاقل منصف لضحك عليها إذ كيف يمكن هضم هذه الأساطير والأباطيل؟ فعيسى ابن مريم قد توفي قبل ألفين عام تقريباً ومنذ ذلك الحين وإلى اليوم يأكل لحمه الملايين من النصارى ليكونوا أبناء الله!!

فعلى الشباب المسيحي الواعي أن يفكر جيداً، ويجانب العادات الخرافية ويدقق جيداً في مثل هذه العقائد المضحكة التي تصرّح بأنَّ عيسى عليه السلام بجسمه المادي والمعنوي يتحول إلى خبز الفطير!!

فإن كان هذا صحيح لماذا لا يتغير شكل وطعم الخبز بعدما حلَّ فيه المسيح بجسميه المادي والمعنوي؟ ثمَّ إنَّ أكل القطع الصغيرة من الخبز بعد تقطيعها هل يعني ذلك أنَّ عيسى عليه السلام قد تم تقطيع جسمه على عدد القطع الصغيرة؟ أم أنَّ المسيح عليه السلام موجود في كل قطعة؟

فإن قالوا بالغرض الأول فمعناه أنَّهم أشدَّ إجراماً وجناية من يهوذا الاسخريوطي الذي سلّم عيسى لليهود وصلبوه؛ لأنَّهم يقطعون بدن المسيح آلاف المرات في كل عام ومن ثمَّ يأكلون بدنه عليه السلام.

وإن قالوا بالفرض الثاني - كما هي عقيدتهم - فجوابهم واضح وذلك أن عيسى بن مريم واحد لا يمكن أن يتكرر إلى آلاف المرات، فهل يخلق الله تعالى أمثال عيسى ﷺ في كل عام ليأكله المسيحيون؟ ثم إن الجسم الناسوتي لعيسى ﷺ واحد فكيف يتحول إلى كثرة تسع جميع الكنائس في العالم على عدد الملايين من المسيحيين الذين يتناولون خبز الفطير؟ مع اعترافهم أن المسيح ﷺ قبل صلبه وعروجه لم يتكرر أبداً إذا فكل مسيحي يأكل (٦٠ أو ٧٠ أو ١٠٠) مسيح على طول حياته فكيف يمكن حل هذه الأحاجي؟

أتذكر في عام ١٣٤٥ ق عندما سافرت من البصرة إلى الهند عن طريق البحر في سفينة (واريل) كان مقابل غرفتي غرفة يسكنها أحد القساوسة المسيحيون وكنا غالباً ما نجلس في صالة السفينة ونتحاور في عدة مواضيع حتى ضجر هذا القس من إشكالاتي وأسألتي، فكان يدخل إلى غرفته ولا يخرج منها إلا في وقت الطعام متحاشياً لقائي حتى اجتمعت به في أحد الأيام ومعنا عدد كبير من المسحيين الذين سافروا معنا في الرحلة وسألته هذا السؤال أمام الحاضرين: في كل عام يأكل كل فرد مسيحي قطعة من خبز الفطير التي حلّ فيها عيسى ﷺ أي أنه يأكل مسيحاً كاملاً، وبعد الهضم أين يذهب هذا المسيح الموجود في معدة الإنسان؟ هل يذهب مع الفضلات أم لا؟ فإن كان يذهب مع الفضلات فمعناه إن فضلاتكم مقدسة فما تقول؟

فأجاب: (بعد أن ذكر عدّة قضايا مضحكة للغاية) قال: إن قطعة الفطير بعد تبدلها إلى المسيح ﷺ فإنّها لا تهضم ولا تذهب مع الفضلات، بل تبقى بكاملها في بدن الإنسان.

فقلت له مبتسماً: فعلى هذه القاعدة يلزم أن يكون في بطن كل إنسان عشرات النماذج من المسيح ﷺ!! فمن أين يأتي تكرر المسيح على عدد

الملايين، ببدنه اللاهوتي والناسوتي؟

هل يخلق الله تعالى ملايين الأمثلة من عيسى ﷺ من أجل خبز الفطير؟ أو أن المسيح واحد ولكنه يتوزع على عدد قطعات خبز الفطير فكل واحد يصله جزء من بدن المسيح ﷺ من خلال الأكل؟

فضحك كل الحاضرين ومن حقهم أن يضحكوا على هذه العقائد الخرافية التي تُضحك الثكلى.

وحقاً يتوجب علينا شكر الخالق سبحانه وتعالى الذي أنجانا من هذه الخرافات، والحماقات التي كانت السبب وراء إضلال الملايين، والعجب كل العجب من ذوي العقول كيف يتبعون القساوسة في مثل هذه العقائد التي يمجّها العقل وترفضها النفس؟ ألا يستلون قسيسيهم كيف يريدون نجاة العالم ونجاة أنفسهم بهذه الأوهام والخزعبلات؟ إنّ العقل ليتنزّه عن متابعة أو قبول هذه العقائد والأوهام، ولولا نسبتهم هذه الآيات إلى عيسى ﷺ في إنجيلهم المحرّف لما تبعهم الناس وانشغلوا بها، ولهذا حرصنا أن نناقش هذه القضية من جذرها الرئيسي كما في المقالات السابقة إذ قلنا - وفق الأدلة - إنّ هذا الكتاب ليس هو الكتاب الذي جاء به عيسى ﷺ بل هو خليط من البدع والأساطير والإتهامات الساخرة والخرافات المضحكة، إلّا أنّ القساوسة عملوا بكل ما بوسعهم لإقناع الناس أنّ هذا هو الكتاب المقدّس ولذا سار المسيحيون على نهج عيسى ﷺ كما تصوروا مع الاسف، فشربوا الخمر؛ لأنّ عيسى شربها أو صنعها لتلك المرأة.. نعوذ بالله من هذه الضلالات.

المقالة السابعة والثلاثون

مذهب النصارى مأخوذ من مذهب عبّاد الأصنام

الهنود والمشرّكين

لقد أثبتنا سابقاً عدم صحة التوراة والإنجيل بالدلائل والشواهد مستعينين بنفس التوراة والإنجيل إذ بعضها ينقض البعض الآخر، وقلنا إنّ لا يوجد أي سند يتصل بينها وبين المسيح عيسى عليه السلام أو موسى عليه السلام، وقد أخذت الأناجيل طريقها إلى الإنتشار بعدما أمر الباب (جلاسيوس الأول) بفرضها على الناس كعقيدة يجب أن يدينوا بها، وإلاّ فإنّه لا يوجد أي دليل قطعي على صحتها ونسبتها إلى عيسى، هذا وقد تداولت قبل الإسلام بعدة قرون مجموعة كبيرة من الإناجيل غير هذه الأربعة وكانت مشهورة عند النصارى كما صرّح (كلنل اينگر صال) وهو كاتب مسيحي إنجليزي كان في زمان المستر (غلادستون) وزير خارجية بريطانيا، فقد ذكر في كتابه (الردّ على التوراة والإنجيل): فضلاً عن أنّ الأناجيل الأربعة (إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا) لا إتصال لها بعيسى عليه السلام وقد أقر العلماء بذلك؛ لأنّ أول إنجيل كُتب بعد رحيل عيسى عليه السلام بمائة وثمانين عاماً، بل كانت في حينها عدّة أناجيل مختلفة مثل: إنجيل المصريين، وإنجيل اليهود، وإنجيل كمال، وإنجيل جوادس، وإنجيل قاريوس، وإنجيل مباداة، وإنجيل طوماس، وإنجيل مريم، وإنجيل اندرو، وإنجيل يكمندوس، وإنجيل مارسيمون، وأناجيل صغيرة متعددة كلّها اليوم مفقودة.

وجاء في دائرة المعارف البريطانية^(١) ذكر أسماء هذه الأناجيل التي منها إنجيل برنابا وهو من خواص حوارى المسيح ﷺ ولا يملك المسيحيون دليلاً واحداً لردّ هذه الأناجيل، بل غاية ما في الأمر أن البابا جلاسيوس منع العمل بأي إنجيل ما عدا الأربعة المتعارفة اليوم، وبعبارة أخرى الدليل هو الهوى والرغبة الشخصية التي كانت وراء شيوع الخرافات، وعقائد الوثنية والشرك التي تسرّبت إلى المسيحية عبر الأناجيل الأربعة. فإن عقيدة الأقانيم الثلاثة والاتحاد والحلول إنما بدأت وظهرت من هذه الرسائل والأناجيل الأربعة، وعندما نتأمل فيها بموضوعية وعلمية تامة يظهر لنا جلياً أن هذه الضلالات أقتُبست من مشركي الهند والصين واليابان والبراهمة والبوذيين، وقد أوضح ذلك الكاتب (تنير البيروتي) في كتابه (عقائد الوثنية في الديانة النصرانية)^(٢) فيمكن مراجعة فصول هذا الكتاب ليجد القارىء أن عقيدة الثالوث وصلب المسيح وفدائه وذهابه إلى جهنم ولعنه (والعياذ بالله) وإحياءه بعد الموت ورجعته إلى الدنيا وغسل التعميد والحلول والاتحاد وغيرها كلها مأخوذة من عقائد عبّاد الأصنام.

وسوف اعتمد مصدراً آخرأ لبيان جذور الشرك في الديانة النصرانية وذلك بالاستعانة بكتاب أحد علماء النصرانية الكبار الذي دخل الإسلام وهو العالم الجليل المرحوم فخرالإسلام محمد صادق الذي أشرق نور الهداية في قلبه بمدينة أرومية^(٣) في زمان الملك ناصرالدين شاه القاجاري الذي لقبه بهذا اللقب (فخرالإسلام) بعدما زار طهران، ثم آلف عدة كتب مهمّة وكان أهمها كتابه الشهير

(١) ج ٢ ص ١٧٩ - ١٨٠ ط ١٣.

(٢) الكتاب باللغة العربية وقد ترجمه الاستاذ المرحوم ميرزا رضا الدامغاني إلى الفارسية، وقد أشرنا إلى بعض مصاديق هذه العقائد الضالة في المقالة (٣٠) فليراجع.

(٣) أرومية: إحدى المدن الإيرانية.

(أنيس الأعلام في نصرة الإسلام) حيث يقع في مجلدين وهو في غاية الدقة والمتانة ويُعد من نفائس الكتب ويدور موضوعه حول ردّ اليهودية والنصرانية وإثبات الإسلام كدين إلهي حقيقي لم تنله يد التحريف. فقد جاء فيه ^(١) - بعدما قضى المؤلف سنيماً في ظلال هذه العقائد -: إنّ مذهب المشركين الهنود - وفقاً لكتبهم - في باب معرفة الخالق - على نحو الإجمال - هي:

(برمها) وهو كبير الإله - عند مشركي الهند والصين - وهو على هيئة الإنسان نزل إلى الأرض ليعلم الناس ويهديهم.

(وياصهنام) اسم رجل من علماء الهند عاش قبل ظهور المسيح ﷺ بألف ومائتا عام تقريباً أي أنّه كان قبل عهد داود النبي ﷺ أيضاً وكانت له تعاليم قد دوّنها الهنود في كتب خاصة باللغة السنسكريتية وهي لغتهم القديمة، ويُطلق على مجموعة التعاليم هذه بـ (ويد) وتتضمن ستة (شاستر) وثمانية عشر (بران) وتنقسم هذه الكتب إلى أربعة.

تمثل الديانة التي يلتزم بها الهنود (عُباد الأصنام) ويوجد في هذه المجموعة العبادية كيفية الصلاة والدعاء والقرايين وجميع الأحكام العبادية.

ولو تأمل الإنسان في مذهب النصرانية لوجد الشبه بينهم وبين الهنود قائماً فأَنَّهُم يقولون: إنّ عيسى ﷺ هو ربهم جاء إلى الأرض ليعلمهم ويهديهم، ومن بعده كتب أربعة أشخاص أربعة كتب ورسائل هي الأناجيل الأربعة. ولدى النصارى (٢٣) رسالة غير الإنجيل على غرار ما للهنود (٦) شاستر و(١٨) بران، وهي متفرّعة عن الكتب الأربعة (ويد) كما أنّ رسائل النصارى الـ (٢٣) متفرّعة على

(١) ج ١ ص ٣٣١ الطبعة الأولى في فصل مطابقه النصرانية مع مذهب الهنود والصين وعباد الأصنام.

الأنجيل الأربعة وأما سقوط الرسالة الرابعة والعشرين عند النصارى فهي تتمثل بالعهد القديم (التوراة) ولهذا جاء ذكر (٢٤) رسالة في دائرة المعارف البريطانية غير الإنجيل^(١) وعليه فيحصل التوافق الكلي بلحاظ الكتب الدينية وأما التعاليم فإن مشركي الهنود يعتقدون بتعدد الآلهة، ولهذا فهم يعبدون الأصنام المتعددة ولكنهم بنفس الوقت يذعنون لرَب واحد هو رب الأرباب، وعلى غرارهم النصارى فأنهم يعتقدون بالأقانيم الثلاثة مع اعترافهم بالتوحيد كما ويعتقد الهنود - مع شركهم - إن الله هو القديم والمطلق والحاضر وأنه أصل الأصول وسبب كل معرفة لـ (برابرمه) يعني غيب المغيب و(برمهه ورام وآتمه) يعني الروح، وهكذا فإن المسيحيين يعتقدون بالروح في حال اعتقادهم بالله.

أما بالنسبة للصفات الإلهية فيقول الهنود إنَّ الله تعالى حالتين:

الأولى: يطلقون عليها اصطلاح (نرکن)

والثانية: يطلقون عليها اصطلاح (سرکن)

ويريدون بالأولى إنه تعالى فاقد للصفات وعليه فيكون العالم كله معدوم وهذه الحالة خارجة عن الوصف والبيان، بل أشبه بالنائم وهو في هذه المرحلة لا يمكن أن يُقال عنه تعالى أنه قادر أو غير قادر، ولا عاجز أو غير عاجز، ولا صادق أو كاذب..؛ لأنَّه عارٍ عن الصفات تماماً ولهذا فهم يطلقون عليه اسم (برمه) التي تعني الخنثى فهو ليس ذكراً ولا أنثى!!

ويريدون بالثانية (سرکن) إنَّ له صفاتٍ ومن خلالها تتكون عنده إرادة الخلق وعندها تظهر فيه المادة التكوينية كما في كتبهم (برمهه) أو القوة الغضبية، ثم تصدر الصفات الثلاثة منه وهي الصداقة، والمحبة والغضب وعلى ضوءها صدرت

الدنيا عنه تعالى، ثم يحلّ في الأشياء كلها كحلّول السُّكر في الحليب، وجاء في كتابهم المقدس (ويد) حينما خلق الله المخلوقات قال: أنا واحد ولكن تكثّرت، وجاء فيه أيضاً: إنّ الله واحد ولكنه تارة زارع للأرض، وتارة هو الماء الذي يسقي الزرع، وبالزرع تشبع جميع المخلوقات، فالقوة والضعف منه فقط.

وجاء في كتاب (مندك انبشت اتھرون ويد): النار رأس الله، والمحبة والقمر عيناه، والجهات العشرة أذنيه، واليد كلامه، والمخلوقات عقله، والأرض رجله، وحياة جميع الخلائق هو وهي هو، ومعطي الخير وسالبه هو، ومعطي الشر وسالبه هو، وهو حال في البشر، ويمشي في السماء، وهو سمكة يجري في البحر، وهو الزرع الذي في الأرض، وهو عين ماء يجري من أعالي الجبال، وهو جسم الهوام والبلدان، ومع كل هذه الأوصاف لكنه يبقى قدّوساً وكبيراً!! وأيضاً جاء في (ويد): إنّ الروح متحدة مع الله و(برمهه) أصل الوحدة.

وعلى كلّ حال فالذي يظهر من كلماتهم أنّهم يعتقدون بوحدة الوجود أي إنّ الله وجميع مفردات العالم حقيقة واحدة ومع ذلك يقولون إنّهُ تعالى واحد!! وعلى غرار هذا الاعتقاد الهندي جاءت عقيدة النصاري القائلة بالثالوث والحلول الإلهي كما هو واضح من عبارات كتبهم ومع ذلك يقولون بالتوحيد^(١). هذا مختصر مقتبس من تفاصيل جاءت على قلم من كان سابقاً أحد القساوسة البارزين بعد أن هداه الله إلى الإسلام وأدلى بمثل هذه الحقائق طلباً لمرضاته سبحانه، إذ لم تكن لديه أطماع لا للجاه ولا للسلطان حينما دوّن هذه المعلومات حتّى يُتهم بل كان يسعى بها للتكفير عن ذنوبه.

وما أفاده رحمه الله عين ما قلّته سابقاً إنّ النصاري خلطوا عقائد المشركين

(١) انتهى كلام أنيس الاعلام فراجع.

في الديانة العيسوية وذلك لكسب أكبر قطاع ممكن من المشركين في أقطار الأرض.

ومن الثابت تأريخياً بعد رحيل كل نبي تعبت بعض الأيادي بتعاليم وأحكام دين ذلك النبي فتنتشر الخرافات والأساطير ويتم نسبتها إلى الدين لكسب الناس وقد حصل ذلك في سائر الأديان حتى في الدين الإسلامي، إلا أن الفرق بين الإسلام وغيره، إن الذين في قلوبهم مرض لم يستطيعوا أن يحرفوا نصوص القرآن الكريم وهو ما سوف نثبته لاحقاً إن شاء الله، بخلاف التوراة والإنجيل فإن نصوصهما قد حرّفت، فضلاً عن الرسائل التي جعلت وألفت من قبل أناس عاديين مثل رسائل پولص وأعمال الرسل وغيرها، التي قدّمت للناس على أساس أنها وحي منزل، والحال أنها زلزلت أساس الدين حتى أنه لو ظهر اليوم موسى ﷺ أو عيسى ﷺ ونظرا إلى اليهودية والنصرانية بهتا وتعجبا وتأسفا على حال أممهم.

وما ذكرناه يكفي لبيان الحق ودحض الباطل، بل لا يسع المجال لاكثر من هذا ويمكن لمن يريد التفصيل أن يرجع إلى الكتب ذات العلاقة وعلى الخصوص أوصي القراء بمطالعة كتاب (عقائد الوثنية) لتنير البيروتي وهكذا مجلدي (أنيس الأعلام) المشار إليه سابقاً لاسيما جزءه الأول.

ومن أجل تنوير أفكار الشباب فأني أدعوهم إلى مطالعة إصحاحات الأناجيل الأربعة ليعرفوا الحق بأنفسهم بأن هذه الكتب الإنجيلية لا صلة لها بالمسيح عيسى ﷺ، فإن كل من طالعها بإمعان ودقة لا يزداد إلا حيرة، فأول ما يصدّم به هو عدم إتفاق الأناجيل في عدد الإصحاحات فإن إصحاحات متى ٢٨ ومرقس ١٦، ولوقا ٢٤، ويوحنا ٢١ وهو أمر مريب وغريب وعجيب أيا ترى كم كانت أبواب الإنجيل الأصلية؟ وكل باب يحتوي على آيات فما هو عدد آيات

الأبواب؟ لأن الآيات في هذه الأناجيل هي الأخرى مختلفة من إنجيل لآخر!!
 فهل يعقل العاقل أن هؤلاء الأربعة (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) كلهم كتبوا عن
 أصل واحد؟! هذا ما يرفضه حتى البليد والأحمق.

ولتقريب الفكرة أكثر ومن باب (تُعرف الأشياء باضدادها) فإن القرآن
 الكريم من اليوم الأول قد جُمِعَ وإلى هذا اليوم لا تجد أي اختلاف - في عدد
 السور والآيات وتسلسلها - في القرآن الصغير أو الكبير القديم أو الحديث
 المطبوع أو المخطوط مع أنه مطبوع في كل أنحاء العالم بالمليارات فاعتبروا يا
 أولي الأبصار^(١).

(١) إلى هنا انتهى المؤلف ﷺ من مناقشة وردّ التوراة والإنجيل وستكون مقالته التالية حول
 القرآن الكريم / المترجم.

القرآن الكريم
وبعثة خاتم الأنبياء والمرسلين

محمد

صلى الله عليه وآله وسلم

المقالة الثامنة والثلاثون

بُعِثَ النَّبِيُّ الْخَاتَمُ ﷺ فِي فِتْرَةٍ كَانَ الْعَالَمُ كُلُّهُ يَغْرُقُ بِالْفَسَادِ

عندما نعود ألف و ثلاثمائة وأربعة وخمسين^(١) عاماً إلى الوراء ونلقي نظرةً عابرة وسريعة على أوضاع بقاع الأرض، سوف لانرى إلا الفساد والفتن: فأوروبا الغربية كانت تعيش حالة الوحشية والبربرية بكل معنى الكلمة وكانت محكومة من قبل طواغيت متوحشين كالروميين والألمان وأقوام متوحشة مثل (واندال) و(ويزيگتها) وغيرهم، يعيشون على الغارات والسلب والنهب والقتل لا يعرفون للقانون والنظم أي معنى، بل كانت الأراضي الخاضعة لحكم الروم يسودها العنف والقتل والظلم وكانت عقائدهم قائمة على الثالوث والشرك والخرافات.

أما أوروبا الشرقية التي كان يطلق عليها آنذاك بـ (الروم الشرقية) ومركزها القسطنطينية، تبدأ حدودها من جنوب أوروبا وأسيا الصغرى وأقسام شمال أفريقيا ومصر إلى المحيط الأطلنسي فهذه حكومة الروم الشرقية.

ولكنهم حكموها بالظلم والإستعلاء، بل بسبب استعلائهم في الأرض واستخدامهم القوة في غير محلها فإنهم فقدوا الكثير من أراضي مملكتهم، علاوة على الإختلافات المذهبية التي فتكت بالامبراطورية الرومانية وزلزلتها؛ لأنّ قسماً كبيراً من الناس كانوا يعتقدون بالثالوث والحلول والإتحاد بينما كان

اليونانيون يعبدون الأصنام، وبعضهم قال بتعدد الآلهة وبالعقول العشرة، وهكذا ذهب بعض المصريين إلى الديانة اليهودية والقول بأن الله له ابن، ومال بعضهم الآخر إلى الديانة النصرانية الأشراكية وقالوا بالثالوث، واستمر الوضع كذلك حتى عام ٣٨٩م حيث أعلن رسمياً من قبل الدولة في القسطنطينية أن المذهب الرسمي للبلاد هي المسيحية بأمر الأمبراطور (تئودوز) وعلى أثرها حصلت عدة حروب على مصر إلى أن فتحت وعاملوا أهلها بالسيف حيث أجبروهم على ترك كل المذاهب والديانات والإلتزام بالمسيحية وقد كلفهم ذلك الكثير حيث تمّ قتل عدد كبير من الناس، ورُفعت رؤوسهم على الرماح وحُطّمت جميع الأصنام وبالتالي استقرّت المسيحية في مصر ولو ظاهراً. إلا أنها لم تنجو من الصراعات الطائفية فقد تحوّلت إلى ميدان ساخن بين الفرقة المسيحية (الملكانية) و(النسطورية) و(اليعقوبية) فقد كفر أحدهم الآخر وانجرّ الامر إلى إراقة الدماء أيضاً، وهكذا انشغلت مستعمرات الأمبراطورية الرومانية بهذه الحوارات والمناقشات المذهبية المعقدة التي جرّت الولايات والمظالم.

وأما ايران فإنّها كانت تدين بالمجوسية والصابئية، فمنذ أن ظهرت الزرادشتية من آذربايجان انتشرت فكرة الاثنينية وقويت في إيران ومعناها الإعتقاد بوجود أصلين وإلهين في الوجود: مبدأ أو إله الخير ويدعى (اهورامزدا) أو يزدان، ومبدأ أو إله الشر ويدعى (اهريمن) ولما آمن ملك ايران آنذاك (گشتاسب) بهذه الديانة أُعتبرت هي الدين الرسمي في إيران، فانتشر القول بوجود إلهين في العالم إله الخير والنور، وإله الشر والظلمة، إلى أوائل القرن الثالث الميلادي وبالتحديد في زمن سلطنة (بهرام بن هرمز) ظهر رجل رسام اسمه ماني ادّعى النبوة في إيران وأظهر عقيدة تشبه إلى حد بعيد الزرادشتية؛ لأنها قائمة على القول بوجود أصلين في الوجود، واعتقد جماعة من المؤرخين منهم السيد

بُعِثَ النَّبِيُّ الْخَاتَمُ ﷺ فِي فِتْرَةٍ كَانَ الْعَالَمُ كُلُّهُ يَغْرُقُ بِالْفَسَادِ ١٧٣

(براون) إِنَّ (ماني) جمع بين المسيحية والزرادشتية، فلما انتشرت دعوته في أوساط الإيرانيين ألقى الملك (بهرام) القبض عليه وسلخ جلده وقتله، واستمرت الزرادشتية إلى عام ٤٨٧ م حيث ظهر (مزدك) النيشابوري الأصل في المدائن وهي عاصمة إيران آنذاك ودعى إلى الإباحية والاشتراكية بالإصطلاح العصري واحتال على الملك (قباشهر يار) حتى خدعه بهذه الديانة الخرافية الشيطانية فأتاح لهم الإفصاح عن آرائهم وبث أفكارهم بين الناس بعدما كانوا يعملون بالخفاء، وكانت من أهم تعاليمهم هي الإباحية أي تبدل الأملاك الخاصة إلى عامة المنفعة كالأموال والأعراض، فانغمرت البلاد بالفساد واشتغل الناس بالتوافه والجنس، وأخذ أموال وأعراض الناس من دون رادع يردعهم، فكان هذا الاتجاه قد أثر سلبياً على خلق الناس، حتى ظهر الملك العادل (انوشيروان) فقتل مزدك مع أكثر من مائة ألف من أتباعه ورد الأموال والأعراض إلى أهلها، ومحي دين المزدكية من إيران بعد أن عبثوا بالبلاد وشوهوا خلق الأمة، وبعد موت (انوشيروان) إعتلى عرش المملكة الفارسية ملوكاً لم يكونوا بالمستوى المطلوب، وهي السلسلة الساسانية فقد عُرِفوا بلامبالاة وعدم التدبير السياسي فأخذ الوضع الداخلي للمملكة بالتدهور والضعف نظراً إلى تقاطع الاتجاهات العقائدية والدينية إذ كان بعض الناس متمسكاً بالزرادشتية يعبدون النار بينما تمسك آخرون بمذهب مزدك فكان الصراع بينهم سجال مما أدى في نهاية المطاف إلى إنهدام البنى التحتية للإنسانية في إيران وحصلت هوة كبيرة بين الشعب والحكام وكانت مقدمة لزوال عظمة هذه المملكة.

أما بلدان الشرق الأقصى كالصين واليابان وإلى الشرق الأوسط مقرباً من الهند وتركيا فكل هذه البلدان كانت شعوبها مستغرقة في الأوهام والخرافات حيث تنتشر في أوساطهم البوذائية والبرهمية وعبادة الأصنام والأبقار والكواكب.

أما شبه الجزيرة العربية فقد تعددت صور الخرافة فيها مضافاً إلى توحشهم وبربريتهم فقد استغرق بعض الناس بعبادة الكواكب أو الشمس وبعضهم كانوا يهود أو نصارى وأكثرهم كانوا يعبدون الأصنام، وقد نصبوا كبير الألهة (الأصنام) على ظهر الكعبة المشرفة وكان حولها وفيها (٣٦٠) صنماً ويسودهم التخلف والأمية، وتسري فيهم الأساطير والعادات السيئة، ولم تكن لهم دولة مستقلة بل يعيشون تحت غطاء إحدى الدولتين الفارسية أو الرومانية ويعيشون على الغارات والصعلكة، والسرقة وممارسة الأعمال البذيئة وتجارة الرق، وكانوا يكرهون البنات ويدفنونهن أحياء وكانوا يقولون: دفن البنات من المكرمات، فكانت الأمهات يحتالن بآلاف الحيل لكي تبقى بناتهن على قيد الحياة، ولكنهن إن عشن كان وجودهن كباقي الأثاث والأشياء، فكانوا يُصنفونهن ضمن عالم الأشياء لا الأشخاص، فلذا كانوا يبادلوهن مع الأشياء، وكانت تسودهم المفاخرات القبليّة والعشائرية والقصص الأسطورية التي لا يسع مجال المقالة لشرحها والتفصيل فيها، وعلى كل حال فإن الشعوب في تلك الحقبة الزمانية كانت تعاني ألوان القهر والعذاب والضلال وكانت حالهم من سيء إلى أسوء، وليس من الحكمة أن يستمر وضع العالم على هذه الطريقة لإضمحلال القيم الإنسانية، وضياح المبادئ الشريفة التي على أساسها يتعامل الأفراد، فكانت البشرية جمعاء لا سيما بلد الحجاز تتطلع إلى المنقذ والمصلح الذي يفك أسرها ويضع عنها أغلال التقاليد والعادات، ويقطع أيادي الحكّام الظلمة، ويرفع عنهم الضلال بالهدى ويذهب عنهم العمى ويخرجهم من الظلمات إلى النور، فكان ذلك خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه وآله) بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

واليوم بعد مرور أكثر من ألف وثلاثمائة عام على بعثته المباركة اعترف جماعة كبيرة من المحققين المنصفين والموضوعيين من غير المسلمين على صدق

نُبُوَّتِهِ وَخِدْمَاتِهِ الْإِنْسَانِيَّةَ الْعَظِيمَةَ.

إِذْ لَمْ يَنْحَصِرْ دَوْرُهُ ﷺ فِي رَفْعِ الشَّرْكِ وَإِنْهَاءِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَقَمْعِ الضَّلَالِ فِي الْحِجَازِ وَمِصْرَ وَسُورِيَا وَفِلَسْطِينَ وَالْيَمَنَ وَالْيُونَانَ وَالرُّومَ...، بَلْ انْتَشَرَتْ الْأَفْكَارُ الصَّالِحَةُ عِبْرَ الْعَرَبِ إِلَى جَمِيعِ الْعَالَمِ وَصَارَ الْإِسْلَامُ الْأَسَاسُ الْأَوَّلُ لِحَرَكَةِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ حَتَّى أَقْرَأَ بِذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمَسِيحِيِّينَ مِنْهُمْ الْفِيلَسُوفُ غُوسْتَا فِ لُوبُونُ فِي كِتَابِهِ تَمَدُّنُ الْعَرَبِ^(١).

(١) الفصل الثاني باب ١٠ لم نذكر كلام غوستاف لوبون هنا؛ لأنَّ المؤلف سيكرره بعينه في آخر مقالة وذكرناه هناك فتابع / المترجم.

المقالة التاسعة والثلاثون

المعجزة دليل على صدق النبوة وإنكار البهائيين لذلك

من جملة البديهيّات لدى العقلاء كافة أنّهم عندما يتلقون أيّ إدّعاء من قبل أيّ أحد لا يصدّقون به ما لم يقيم عليه دليل قطعي ثابت، وكلما كان الادّعاء كبيراً وجب أن يكون الدليل أو البرهان متوافقاً معه، فالأطباء والصنّاع والحكماء والفقهاء والمتكلمون لا يمكن قبول آرائهم ما لم يستدلّوا عليها بدلائل واضحة مقنعة، وهكذا في سائر الصناعات، فالطبيب لا يمكن أن ندّعن أنّه طبيب بمجرد وجود لوحة إعلانية قد كتب عليها اسمه، بل الأمر موقوف على التجربة والاختبار، وهكذا بالنسبة للبناء والخطيب والعالم ..

ولم يصل الشيخ الأنصاري، ولا صدر المتألهين، ولا الملا هادي السبزواري (رحمهم الله) الى ما وصلوا إليه بالادّعاء المحض، بل أقرّ الناس بعلمهم وحكمتهم من خلال الاسئلة التي سئلوا عنها وأجابوا.

إذاً فالقاعدة العقلية التي يستند إليها العقلاء هي أنّهم يطالبون صاحب كل إدّعاء ومقام ومقال بدليل أو برهان فإنّ أتى به وكان تاماً قبلوا عنه وصدقوا به وإلاّ فلا، وعلى هذا الأساس تثبت النبوة والإمامة، ولأنّهما أرفع شأناً من كل إدّعاء لزم أن يكون دليلهما تاماً غير قابل للنقض.

ثمّ إنّ النبوة (أو الامامة) تعني إتصال صاحبها بما وراء هذا العالم أي أنّه يفتح على الغيب، فوجب عقلاً أن يأتي النبي أو الإمام بدليل له صلة بعالم الغيب. أي أن لا يكون من قبل الحرف والصناعات المتعارفة عند الناس، بل يجب أن يكون دليله فوق القوى العلمية للناس ولكن بنفس الوقت أن يكون ضمن الإدراك

البشري وعلى إثر ذلك اختلفت أدلة الأنبياء من زمان لزمان مراعاة لحال الناس، وأقوى دليل حسي لإثبات مقام النبوة هي المعجزة التي يسلم بها العالم والجاهل ولذلك تجد الكتب السماوية مشحونة بذكر معاجز الأنبياء التي يطلق عليها المسيحيون بـ (العجائب) ويسميها متكلمونا بـ (المعجزة) وهي تستبطن معنى لطيفاً وهو عجز البشر عن الإتيان بمثلها.

فقد بُعث النبي موسى ﷺ وكانت معجزته اليد البيضاء، والعصى التي تتحول إلى ثعبان عظيم يتحرك بتحريك الحية السريعة جداً، فعجز أكابر السحرة من مواجهته أو إسقاطه، فكانت المعجزة دليل نبوته، وبعث عيسى ﷺ في زمن شيوع الطب في بلاد اليونان وغيرها فواجههم بإحياء الموتى وهو ما عجزوا عنه فكان دليل نبوته، وهكذا بعث النبي محمد ﷺ في زمن الفصاحة والبلاغة فأعجزهم بالقرآن الكريم الذي عجزوا عن الإتيان بمثله، بل ولا آية من آياته^(١).

إذن فالمعاجز هي دليل النبوة وقد أذعن بالمعاجز كبار الفلاسفة والعلماء في كل الأديان ولم ينكر ذلك إلا بعض الفلاسفة الطبيعيين والبهائيين في عصرنا الحاضر؛ لأنهم يفتقرون إلى كل شيء، ولذلك فهم ينكرون كل شيء حتى البديهيات فقد أنكروا جميع معاجز عيسى وموسى ومحمد صلى الله عليه وآله المسطورة بعضها في التوراة، والإنجيل، والقرآن، والتي يقرؤها الملايين من البشر عبر العصور المتتالية!!

أي أنهم ينكرون الدلائل القطعية الباهرة للأنبياء العظام بتأويلات عجيبة تضحك الشكلى لم يتناولها قبلهم من أحد لسخافتها.

(١) لقد ذكر علماؤنا إن لرسول الله ﷺ أكثر من (٣٠٠٠) معجزة غير القرآن وقد كتب المسلمون كتباً مستقلة في هذا المجال / المؤلف.

والعجب أنَّهم حينما يُسئلون عمَّا به تثبت النبوة أو الإمامة؟ - بعدما كانت المعجزة الخارقة ليست دليلاً في نظرهم - يجيب أبو الفضل الكلبيكاني - وهو أحد رموزهم - في كتاب الفرائد: إنَّ النبوة تثبت بأربعة أدلة وهي: الدعوة والإستقامة والنفوذ وتشريع الشرائع^(١).

وهي أدلة مضحكة يريدون من خلالها كسب ذوي العقول الضعيفة الذين تنطلي عليهم هذه الألفاظ، وما يريد به البهائيون هو مجموعة من الناس يمتازون بضعف العقول وقلة الإدراك وعدم التعمق والتدبر ليكونوا مطاياهم ووسائلهم للوصول إلى مآربهم وأهدافهم، ولذلك فإنَّهم زعموا:

إنَّ علي محمد الباب (ابن ميرزا رضا البزاز الشيرازي) ونائبه حسين علي النوري المازندراني المعروف بـ (بهاء الله) حينما أظهرَا دعوة المهدوية وقفَا بثبات أمام الشدائد والهزاهز التي تعرَّضوا لها، وكذلك كانت لهما استقامة في العمل ونفوذ الكلمة ووجاهة المنزلة فهذه ثلاثة شروط قد تحققت عند رموزهم وكبيرهم، بالإضافة إلى الرابع وهو تشريع الشرائع فإنَّهم وضعوا أحكاماً وشرائعاً أخذت طريقها إلى الناس فهذه أربعة أدلة تامة على أحقية البهائية.

إنَّ هذه الأدلة يمكنهم من خلالها خداع العوام وإقناع البهائم والضحك على الشباب المغفلين البعيدين عن دلائل الدين، وإلاَّ فإنَّهم لا يستطيعون أن يصمدوا بهذه الكلمات الأربعة أمام أهل العلم والمنطق الرصين، والعلماء المحنكين، ومن أجل كشف الزيف وفضح الباطل لا بأس أنْ نجري القلم قليلاً حول هذه الأدلة الأربعة.

(١) أقول: يمكن القول: إنَّ هدفهم: إنَّ نفي المعجزة وذكر الأمور الأربعة هو تبرير لدعوة علي محمد الباب الذي أدعى الإمامة والنبوة، فلما قصر عن الإتيان بالمعجزة احتالوا بهذه الطريقة / المترجم.

أولاً: الدعوة: قلنا إن مجرد الأدعاء لا يكفي لإثبات أي مقام أو مقال وإلا لما استطاع الإنسان أن يُميّز بين الصادق والكاذب، وعليه فلا بدّ من ضم دليل آخر إلى الأدعاء إذ من خلاله يتم التمييز بين دعوة الحق والباطل، والصادق من الكاذب.

ثانياً: الإستقامة: ولا يمكن أن تكون الإستقامة دليلاً على النبوة في بادئها، بل هي فرعها، فعندما يعلن النبي عن نبوّته وتمضي عليه السنون يمكن اكتشاف إستقامته في طريق الدعوة والرسالة، أما ابتداءً فماذا يقدم النبي للناس من دليل لإقناعهم ولإيمانهم أنّه سوف يكون مستقيماً؟ والمطلوب أولاً أن يؤمنوا بنبوّته لا في إستقامته، مع أنّ الإستقامة متفرعة ومرتبة على أيام وسنين الرسالة كما أشرنا.

ثالثاً: النفوذ: وهو الآخر متأخر في الرتبة، لأنّ النفوذ والوجاهة لا تحصل ابتداءً من أول يوم النبوة، بل يحصل ذلك بعد مدة مديدة من تجمع الأتباع والأصحاب والمؤمنين ومن ثم سيكون لكلام النبي نفوذاً في قلوب الناس ولشخصيته وقعاً وموقعاً متميزاً وعليه فلا يمكن ابتداءً الإستدلال بالإستقامة والنفوذ.

وإذا أبطلنا ما يسمى بـ (الأدلة) الثلاثة سوف يبطل الرابع أيضاً؛ لأنّه متفرع على ثبوت النبوة ومالم تثبت النبوة لا يثبت التشريع، وبذلك لا يمكن لهذه الكلمات الأربعة أن تكون أدلة على إثبات النبوة أو الإمامة عند العقلاء، ولهذا لم يستدل بهذه الأدلة أي واحد من الأنبياء على مختلف الدهور والعصور، لأنّها مزخرفات القول وليست أدلة.

فهذه سطور مختصرة جداً كتبتها على عجلة من أمري لإبطال أدلة البهائية الذين تمسكوا بالمغالطة وتركوا الحق وراء ظهورهم، ولهم في هذا المجال دليل آخر على صدق النبوة غير المعجزة وغير ما تقدّم من الأدلة الأربعة، وهو قولهم أنّ

الكتاب دليل على صدق النبوة.

والحال أن الكتاب فرع ثبوت النبوة، فإن الناس لا يؤمنون بالكتاب ولا يتخذونه دليلاً ما لم تثبت نبوة النبي من غير الكتاب وهذا أمر متسالم عليه عند العقلاء جميعاً، ولهذا نلاحظ إن الله تبارك وتعالى فرّق بين الكتاب وباقي الأدلة وجعله متأخراً في الرتبة فقال تعالى: (علماً إن البهائية تعترف بالقرآن الكريم) ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(١) وقال تعالى: ﴿فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير﴾^(٣).

إذاً فالقرآن يفرّق بين الكتاب والبينات أي المعجزات، والكتاب يأتي عادة بعد البينة، وقد جرى الأنبياء على ذلك. أما بالنسبة للقرآن فهو المعجزة الوحيدة التي جاءت لتدل على صدق نبوة النبي الأكرم (ص) لخصوصية معنوية سنشير إليها لاحقاً إن شاء الله.

(١) الحديد: ٢٥/.

(٢) آل عمران / ١٨٤.

(٣) فاطر / ٢٥.

المقالة الأربعون

في سبب إنكار الماديين للمعجزات، والإستدلال على إمكان وقوعها

ليس هدفنا من هذه المقالات هو التعرض إلى المسائل الجزئية أو الكلية للنبوة الخاصة أو العامة، وإنما هدفنا الغور في أعماق الكتب الثلاثة (التوراة والإنجيل والقرآن، لليهود والنصارى والمسلمين) وبما أن القرآن هو الكتاب الوحيد من بينها له جنية إعجازية فوجب علينا الخوض فيه (من باب ما لا يدرك كله لا يترك كله) لنصل من خلاله إلى الحق.

هناك طائفة كبيرة من الناس يمتازون بقلّة تعمق، وضعف التفكير وعدم تحمل الأفكار الراقية والدقيقة، فنطاقهم محدود بالماديات والمحسوسات وكل شيء يخرج عن حدود هذا النطاق لا يطبقونه أبداً، ولكن في الوقت نفسه يؤمنون بالله سبحانه وتعالى الذي هو غيب الغيوب إلا أنهم لا يطبقون رؤية الأعمال والأفعال التي تفوق عالم الطبيعة وبالخصوص من البشر، ولكن ما هي علّة عدم قبولهم أو عدم تحملهم؟

والجواب عن ذلك:

أولاً: عجزهم عن التعامل مع الذوات المقدسة للأنبياء فيلجئون إلى الإنكار.

ثانياً: استغراقهم في عالم الماديات وعدم رغبتهم في التطلع إلى ما وراء هذا العالم، مع أن الأكابر قالوا: عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود. فإذا عجزنا عن الإتيان بفعل ما لا يدل عجزنا هذا على عدم قدرة الآخرين بأتيانه.

ومثاله إنا لو قلنا لأحد الناس استخرج لنا من قطعة الحديد هذه ناراً، فإنه بلا تردد سينكر علينا هذا القول وينفي إمكان ذلك، بينما إذا وجهنا هذا السؤال إلى أصحاب الصنعة أو الاختصاص لأجابوا بالموافقة والإيجاب من خلال تقريب قطعة الحديد من النار، فإنها بالمجاورة والقرب تكتسب طبيعة النار من الحرارة والإحراق، فهذا مثال تقريبي لصدور المعجزة من الأنبياء والأوصياء فهم من جنس البشر مثلنا تماماً كما قال القرآن حكاية عن النبي: ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾^(١) ولكن في نفس الوقت ظهرت على أبدانهم الجسمانية نورانية القرب الإلهي، إثر الرياضات الروحية الشرعية والعبادات المقدسة، فكانوا مورداً لعناية الله تعالى ومن عنايته بهم أن تظهر المعجزة على أيديهم حقيقة. فهم ليسوا أرباباً ولا شركاء لله تعالى، بل هم عباده الصالحون يفعلون ما يؤمرون وقد أفنوا وجودهم في الله تعالى فلا ينشغلون بأحدٍ سواه، وهذا مقام الفناء المطلق في الحق تعالى وهو ما يسمى بـ (حق اليقين) وعندها يلهمهم الله قوى روحية معنوية هائلة جداً، فتبدوا آثارهم وأفعالهم الإعجازية كأفعال الله تعالى؛ لأنها منه سبحانه وهبها لهم بسبب قربهم منه فتشبهوا به في أفعالهم كما أشبهت قطعة الحديد النار في نعلها للحرارة والإحراق، فتكون أفعالهم إلهية إعجازية، بل يجري الحق سبحانه أفعاله على أيديهم.

وهذا ليس غلوّاً بل غاية ما في الأمر أن الله تعالى يزيدهم علماً من علمه وقدرة من قدرته ويحيطهم بعنايته حتى يتكاملوا، ومن حق أي إنسان أن يحصل على عناية الله بالدرجة التي ينطلق فيها إليه فيعطيه الله بما يتناسب مع نيته وإخلاصه وعمله وإستقامته، وكلما ترقى الإنسان في طريق العبودية كلما زيد في

قدراته العلمية والروحية فتظهر الآثار الإلهية والأفعال الربانية على يديه كالإحياء على سبيل المثال فإنه سبحانه يختص بهذه الصفة: ﴿والله يُحيي ويميت﴾^(١) ولكن مع ذلك وهبها لعيسى عليه السلام حتى قال عليه السلام مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وأحي الموتى بإذن الله﴾^(٢) وهكذا خلق المخلوقات، وشفاء المرضى والإخبار بالغيب كما قال تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْبَرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾^(٣).

وهذه القدرات الهائلة كلها حصل عليها النبي عيسى عليه السلام إثر عبادته وخضوعه وتسليمه الكامل لله تعالى، كما جاء في الحديث القدسي: «يا بن آدم خلقتُ الأشياء لأجلك، وخلقتك لأجلي اجعلك مثلي إذا قلتَ لشيء كن فيكون»^(٤) وهو مفاد قوله تعالى في القرآن: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٥).

فكان النبي عيسى عليه السلام يقول للميت: قم بإذن الله، فيقوم وقد رُدَّتْ إليه الحياة ثانية، وهذه قدرة إلهية ظهرت في عيسى بن مريم إلا ذلك لا يعني كونه إلهاً، ولا أن الله حلَّ فيه، ولا اتحد معه، ولا أنه أحد الأقانيم الثلاثة كما يدّعي كل ذلك

(١) آل عمران /

(٢) آل عمران / ٤٩.

(٣) آل عمران / ٤٩.

(٤) راجع كلمة الله للسيد حسن الشيرازي رحمه الله ص ١٤٠، ط بيروت مؤسسه الوفاء. حيث روي عنه: أوحى الله إلى داود عليه السلام: «يا داود! إنه ليس عبدٌ من عبادي يُطيعني إلا أعطيتُهُ قبل أن يسألني وأستجيبُ له قبل أن يدعوني».

(٥) يس / ٨٢.

النصارى حاشا وكلا، بل هو عبده المطيع الخاضع الذي أخلص له بكمال العبودية، فوهبه الله هذه القدرة لإثبات نبوته من خلالها وهذا معنى قولهم: «العبودية جوهرة كنهها الربوبية»^(١).

وهكذا الأمر في موسى الكليم ﷺ فانه عندما يشير بعصاه إلى البحر يتوقف، أو يلقيها على الأرض لتتحول إلى ثعبان يأكل حبال السحرة وغيرها من معاجز الأنبياء ﷺ.

ونعرف من خلالها هذه الظواهر التي جرت على أيديهم ﷺ إنما هي ظواهر وأفعال إلهية بحيث لو خُلِّي الإنسان وطبعه - حتى الأنبياء - لما استطاع على مثل هذه الأفعال، ولكن بعد أن دخل في رحاب العبودية وذاق حلاوتها، وأنس بالعبادة ونال ما نال من مقام القرب الإلهي حصلت عنده القدرة الهائلة على إظهار وانجاز هذه المعجزات إذاً فمقام القرب هو الذي يلبس الأنبياء حلاً من القدرة الربانية والعلم الغيبي حتى يخيّل للناس أنهم ﷺ أربابٌ - والعياذ بالله - لعظمة ما يظهر على أيديهم من خوارق العادات التي هي من شؤون الخالق الجبار^(٢) كما

(١) هذه الرواية وردت في كتاب مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق ﷺ في الباب ٢، ص ٧، وإليك تكملة الرواية: (فما فقد من العبودية وجد في الربوبية، وما خفي عن الربوبية أصيب في العبودية) جاء في الحديث القدسي: عبدي أطعني أجعلك مثلي أنا حي لا أموت، أجعلك حياً لا تموت أنا غني لا أفقر، أجعلك غنياً لا تفقر، أنا مهما أشاء يكون أجعلك مهما تشاء يكون / كلمة الله ص ١٤٠ للشهيد السيد حسن الشيرازي.

وفي حديث قدسي آخر: إنَّ الله عبداً أطاعوه فيما أراد، فأطاعهم فيما أرادوا يقولون للشيء: كن فيكون / كلمة الله ص ١٤٣ / المترجم.

(٢) جاء في الحديث القدسي: ما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها / الأحاديث القدسية للحرّ العاملي: ج ١ ص ٨٣ ح ٨١.

كان قرب قطعة الحديد من النار صيرها وكأنها نار؛ لأنّ الاقتراب أضفى عليها صفات النار: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾^(١).

وقلنا إنّ القرب من الله متفاوت من شخص لآخر وعليه فقد تظهر خرق العادات لبعض الأشخاص غير الأنبياء بما يتناسب مع درجة وكمال قربهم، نعم إذا ادّعى النبوة وظهرت المعجزة بأسباب غير ظاهرية، بل غيبية فتكون دليلاً على نبوته، وأما إذا لم يدع شيئاً وكان عبداً صالحاً، ثم ظهرت المعجزة على يديه فيقال عنها (كرامة) فأنّها كرامة من الله لهذا العبد الصالح، وأما ظهور الأمور العجيبة والغريبة والخارقة للعادة أحياناً التي لا علاقة للبشر بها فيقال عنها سُنّة كونية. إذاً فالفرق بين المعجزة والكرامة إنّ الأولى توأم النبوة أو الإمامة بخلاف الثانية - الكرامة - ولهذا وجب في الحكمة - العقل - أن يزود الله سبحانه وتعالى بها الأنبياء أو الأوصياء من باب اللطف وإتمام الحجة على الناس: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّىٰ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(٢).

وقد تصور بعض البسطاء إنّ حياة الأنبياء متوقفة كلّها على المعجزات فهو يعيش وينتصر ويتقدّم ويسيطر بالمعجزات!!

وتصور آخرون إنّ المعجزة تتوافق مع رغباتهم فكانوا يطلبون من النبي أن يفجر لهم ينبوعاً من الماء، أو يجعل بيوتهم من الذهب، أو يعرج أمام أنظارهم إلى السماء أو يسقط عليهم السماء كسفاً و....!!

وما هذه التصورات إلّا دليل على جهلهم بمقام الأنبياء ﷺ وجهلهم بالحكمة، فالأنبياء والأوصياء كانوا يعانون ضراوة الجوع والعطش وألم الجراح

(١) العنكبوت / ٤٣.

(٢) الأنفال / ٤٢.

والفقر المدقع، ويتحملون السجن سنيناً عديدة، وضغوط المشاكل الاجتماعية وإرهاب الطواغيت وما شابه ذلك من دون أن يرجعوا إلى المعجزات لحل كل هذه الازمات، بل كانوا يواجهونها بالصبر والصمود والتحمل والمقاومة لكي تتعلم منهم الناس السبل الرشيدة.

وأما طلبات الناس وأحلامهم الوردية الخارجة عن إطار الحكمة، فكان الأنبياء ينفون عن أنفسهم القدرة على إنجاز ذلك ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله﴾^(١) أي إن إرادة الأنبياء تابعة لإرادة الله تعالى، وبما أن الإرادة الإلهية لا تتعلق بمثل هذه الطلبات والرغبات التافهة فالأنبياء كذلك.

المقالة الواحدة والأربعون

في وقوع المعجزات والإشارة إلى بعض المصاديق

قد عرفنا إن المعجزات من أبرز الأدلة على إثبات النبوة إلا أن بعض الجهال ينكرون موضوع خرق العادة والسنن، وهؤلاء المنكرون على قسمين: القسم الأول: وهم الماديون الذين يؤمنون بالطبيعة فقط وأذناهم أمثال البابية والأزلية والبهائية والقاديانية وغيرهم. ولأمثال هؤلاء علينا أن نثبت لهم التوحيد لله تعالى ونبرهن عليه، وعندئذ يسهل عليهم الإيمان بالمعجزة.

من أدلة التوحيد: عندما نلقي بنظرنا إلى عالم الموجودات نشاهد فيه نظاماً وانتظاماً في غاية الدقة التي تذهل العقل البشري، وحالة النظام هذه تدعوك للقول: بأن وراء هذا العالم خالق حي قادر عليم حكيم يستجمع كل صفات الكمال والجمال، لأننا نلاحظ الحياة والقدرة والحكمة والجمال.. بدرجات متفاوتة في جميع الكائنات فلا بد أن يتحلّى خالقها بكل هذه الصفات بدرجة أرقى؛ لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه، فهذه المخلوقات هي آثار قدرته الهائلة غير المتناهية التي خلقت من النواة الصغيرة نخلة باسقة، ومن البذرة شجرة يافعة تتحلّى بالجمال، وجعل في غصن الورد زهوراً تفوح أزكى الروائح العطرة منها، بل خلق في الزهرة الواحدة ألوان وألوان تحيّر كلّ من نظر إليها ومع اختلافها في الألوان والعطور إلا أنّها تُسقى من ماء واحد، وتنبت في تربة واحدة فمن الذي وهبها كلّ هذا الجمال غير الخالق القدير، وأعجب من جميع المخلوقات هي النطفة الصغيرة التي لا ترى بالعين المجردة ليس فيها إلا رأس مدبّب وذنب قصير

لا يشير بشكله هذا إلى وجود الجوارح والأعضاء الأخرى، إلا أنه عندما يستقر في ظلمات رحم المرأة يأخذ بالتحول والتغير وتتناوله يد القدرة بالعناية لتكون من هذه النطقة جميع أعضاء الإنسان الباطنية والخارجية وليصير إنساناً كاملاً بعد مضي تسعة أشهر لا غير، وقد أشار إمام الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبته التوحيدية إلى عملية خلق الإنسان «... أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام وشغف الأستار، نطفة دهاقاً، وعلقة محاقاً، وجنيناً وراضعاً، ووليداً ويافعاً، ثم منحه قلباً حافظاً، ولساناً لافظاً، وبصراً لاحظاً ليفهم معتبراً، ويقصر مزدجراً حتى إذا قام اعتداله واستوى مثاله...»^(١).

وهكذا الأمر في خلق بقية الموجودات البحرية والبرية والسموية التي يعجز الإنسان عن عدّ أنواعها، وأصنافها من أعلى السماوات وإلى أعماق المحيطات كلها آيات لعظمة الخالق ووحدانيته، وكل واحد منها يُعد إعجازاً في نفسه، دون أن يلتفت الإنسان لذلك؛ لأنسه بما تكرر منها، فمعجزات الأنبياء واحدة من هذا القبيل فهي دليل على عظمة الخالق وقدرته وهي أحد آثارها التي من خلالها يثبت للناس صدق النبوة وعظيم مقامها.

القسم الثاني: وهم الموحدون لله تعالى ولكنهم ينكرون المعاجز لشدة معاشرتهم، واحتكاكهم وافتتاحهم على الماديين، فتأثروا بأفكارهم فعاشوا الأنس بالماديات وصعب عليهم هضم ما فوق عالم المادة حتى قال فلاسفتهم: إنَّ عالمنا هذا كله محكوم بالعلل والمعاليل المادية، ويستحيل خرق هذه القاعدة في هذا العالم.

(١) نهج البلاغة للشريف الرضي عليه السلام ص ١٢٩، الخطبة ٨٣ المعروفة (بالغراء) ط، دار الأسوة،
تعليقة الدكتور صبحي صالح.

والجواب باختصار: إن العلماء قالوا المحال على قسمين:

١- المحال العقلي: من قبيل إدخال الكرة الأرضية في بيضة على أن لا تكبر البيضة ولا يصغر العالم، فهذا محال عقلي لا تتعلق به القدرة الإلهية؛ لقصور البيضة عن تحمل العالم، لا قصوراً في القدرة.

٢- المحال العادي: وهو ما لا يحكم العقل بإستحالة، ولكنه نادر الوقوع وغير مألوف، من قبيل ما لو أخبرنا إنسان قبل مائة عام - ١٩٠٢ م - إنكم ستجلسون في غرفة حديدية وتطير بكم في الهواء، أو أنكم ستسيرون مائة فرسخ في الساعة الواحدة، أو عن إستخراج الطاقة من النواة، أو عن صناعة شكل مخروطي من الفحم يستخدم لإنارة العالم، أو وصول صوتكم في اللحظة الواحدة إلى أنحاء الأرض كافة، أو رؤية أحشاء الإنسان من خلال الأشعة وغيرها من العمليات الصناعية والتكنولوجية المتقدمة.

فجميع هذه الإخبارات صادقة، ولكن من الذي يصدقها ويهضمها قبل مائة عام؟ بل كانوا ينظرون إلى جميع هذه المفردات نظرة المستحيل، إلا أنه المحال العادي لا العقلي.

ومن هذا القبيل ما نحن فيه - في بحث المعجزة - فالإنسان لم ير شجرة تتحرك من مكانها إلى مكان آخر، ولم يسمع حجراً تكلم، ولم يشاهد حيواناً ميتاً يابساً قد دبّت فيه الحياة ثانية، ولم ير القمر قد انشق نصفين و... فكل هذه الأمور تعد محالاً في نظره وفي نظر العلم؛ لأنه لم يتوصل بعد إلى آلية إكتشاف هذه الأسرار فلذا ينظر إليها بنظرة المحال.

أما في نظر المقربين والمخلقين بأرواحهم في عالم الملكوت فالأمر يبدو لهم طبيعياً؛ لأنه ليس مستحيلاً عقلياً وعليه فيمكن أن تتعلق به المشيئة والقدرة الإلهية فيكون موضوع خرق العادة المسمى بـ (المعجزة) بالنسبة للأولياء أمراً

عادياً وسهلاً، ولهذا كان الأنبياء يتبسمون حينما يُطلب منهم إظهار بعض المعاجز لنظرتهم الطبيعية لمثل هذه الخوارق الناتجة من عملهم بالأسباب الغيبية، وحينما تصدر المعجزة عنهم يؤمن بها وبهم مَنْ كان قلبه صافياً من لوث الفحشاء والقبايح، ويتنكر لها مَنْ كان هاوياً في مزالق الضلال والمنكر، فتحرّيك الشجرة من مكان لآخر، أو إحياء الشجرة الميتة وحملها بآلاف الفواكه اللذيذة، أو خلق الإنسان من النطفة الصغيرة كلها آثار قدرة الله التامة في مقابل عناد الماديين والطبيعيين الذين يؤمنون بالمادة الفاقدة للشعور.

وهي - المعجزة - تأتي من أجل حفظ نظام الوجود وتلبي حاجات الناس ليستقر الإيمان في قلوبهم.

إذن فالمعجزة في نظر البسطاء، في عقولهم وتفكيرهم هي من المحالات إلا أنها ليست من قبيل المحال العقلي، بل نقول: إنها من القسم الثاني المحال العادي الذي يدخل في حيز الإمكان إلا أنه نادر الوقوع ولندرته الشديدة اعتقد الناس باستحالته، وهو اعتقاد خاطيء، والصحيح أنها ممكنة وواقعة فعلاً؛ لإثبات الحق المتمثل بالنبوة، وإتمام الحجة على الخلق من خلالها وللتفريق بين الصادق والكاذب.

المقالة الثانية والأربعون

ثبوت المعجزات عند أصحاب الأديان والإشارة إليها في القرآن

ومن أدلة ثبوت معاجز الأنبياء هو تواترها عند أصحاب الملل والنحل والأديان، فأنهم يتناقلون المعاجز عبر آلاف السنين فضلاً عن إهتمام وتعاهد وتناقل كل ملة معاجز نبيهم بشكل خاص. وقد ذكرت بعضها على نحو العموم والخصوص في التوراة والإنجيل، والقرآن الكريم، بل اهتم القرآن بسرد معاجز الأنبياء بشكل مركّز وواضح إجمالاً وتفصيلاً منها:

١- قوله تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(١).

٢- وقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلًا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾^(٢).

٣- قوله تعالى حكاية عن قول رسول الله محمد ﷺ: ﴿قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات﴾^(٣).

٤- وقوله تعالى: ﴿فإن كذبوك فقد كُذِّبَ رسلٌ من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير﴾^(٤).

(١) الحديد / ٢٥.

(٢) الروم / ٤٧.

(٣) آل عمران / ١٨٣.

(٤) آل عمران / ١٨٤.

٥ - وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(١).

٦ - وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(٢).

٧ - وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٣).

٨ - وقال تعالى مخاطباً رسوله محمد ﷺ: ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾^(٤).
هذه الآيات نماذج من القرآن الكريم تشير إلى «البينات» أي المعجزات، وهي كماترى تثبت المعجزات لجميع الانبياء من آدم وإلى الخاتم ﷺ، وهذه المعجزات البينات هي أمر ثانٍ غير الكتب المقدسة المنزلة عليهم، فالآيات عامة وإليك الآن الآيات الخاصة التي ذكرت اسم النبي مع معجزته:

١ - قال تعالى في قصة النبي صالح عليه السلام: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾^(٥).

وقال النبي صالح عليه السلام: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ

(١) المائدة / ٣٢.

(٢) يونس / ٧٤.

(٣) النحل / ٤٣ - ٤٤.

(٤) فاطر / ٢٥.

(٥) الشعراء / ١٥٤ - ١٥٧.

فذرّوها تأكل في أرض الله»^(١).

وخلاصتها أن قوم النبي صالح عليه السلام طلبوا منه أن يُظهر لهم معجزة لتكون دليلاً على صدق نبوّته، وأرادوا منه أن يخلق ويخرج لهم ناقةً مع فصيلها من الجبل الأصم!! فدعا الله وأخرج لهم الناقة مع الفصيل وطلب منهم أن لا يمسوها بسوء...الخ.

٢- وصول النبي موسى عليه السلام فقد تمت الإشارة إليه في (٤٤٣) آية في عدة سور قرآنية كالبقرة والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس والنمل والقصص والعنكبوت والسجدة والصفات وهود وإبراهيم وبني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والشعراء والمؤمن وفصلت والزخرف والدخان والنازعات، إجمالاً وتفصيلاً حسب الحكمة الإلهية.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(٢) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ﴾^(٣) ﴿عَلِمَّا إِنَّ مُعَاجِزَ النَّبِيِّ مُوسَى لَبَنِي إِسْرَائِيلَ تَنَوَّعَتْ إِلَى تَسْعِ أَنْوَاعٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾^(٤) مِنْ نَزُولِ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى مِنَ السَّمَاءِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَشَقِّ الْبَحْرِ لِعُبُورِهِمْ، وَتَحَوُّلِ مَاءِ آلِ فِرْعَوْنَ إِلَى دَمٍ، وَبَعَثِ الْجَرَادِ وَالْقُمَّلِ وَالضَّفَادِعِ.... الخ.

إلا أن موسى عليه السلام تحدّى فرعون بيده البيضاء وعصاه فقط، حينما وقف عليه أمام جبروت فرعون قال له: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(١) الأعراف / ٧٣.

(٢) البقرة / ٩٢.

(٣) القصص / ٣٦.

(٤) الاسراء / ١٠.

قال إن كنت جئت بآية فات بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين قال الملائكة من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم^(١)، فيظهر أن معاجز الأنبياء السابقين ثابتة وهي لا تنحصر في كتبهم المقدسة فقط، بل تتعدد وتنوع وفق الحكمة.

٣- وأما النبي عيسى عليه السلام فقد أشار إليه القرآن في (٧٤) موضعاً كسورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والتوبة ومريم والمؤمنون والزخرف والحديد والصف من ولادته الشريفة من أمه البتول مريم وإلى عروجه إلى السماء، وفي كل ذلك كان يتكرر قوله تعالى: ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾^(٢) ومن جملة معاجزه عليه السلام الخارقة للعادة هو أمر حمله وولادته من أمه مريم، فإنه كان على خلاف الطبيعة السائدة، والسبب في ذلك هو إظهار قدرة الله تعالى لكل من تلوث عقله بلوث الماديات، واعتقد أن قدرته تعالى لا تخرج عن هذا الإطار الضيق..

ومن معاجزه التي أظهرها الله على يديه عليه السلام ما أشار إليها القرآن الكريم في قوله: ﴿أني قد أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾^(٣).

إلى هنا قد أثبتنا المعاجز للأنبياء. وأنها - المعجزة - من لوازم النبوة، لأنها أكبر دليل حسي على صدقه، وسنأتي لاحقاً على معاجز النبي الخاتم ﷺ.

(١) الأعراف / ١٠٥ - ١٠٩.

(٢) البقرة / ٨٧.

(٣) آل عمران / ٤٩.

المقالة الثالثة والأربعون

بعض الآيات القرآنية التي ذكرت معاجز النبي محمد ﷺ

إن أدلة إثبات نبوة النبي الخاتم ﷺ كثيرة جداً حتى فاق بها جميع الأنبياء الماضين ومن أهم المعاجز الخارقة للعادة التي ساقها الله تعالى لإثبات النبوة الخاتمة وقد تمت الإشارة إليها في القرآن الكريم على نحو الإجمال والتفصيل. أولاً: سنذكر بعض الآيات التي تناولت المحاججة مع منكري المعجزة.

- ١- ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾^(١).
- ٢- ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).
- ٣- ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ وَقَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٣).
- ٤- ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾^(٤).
- ٥- ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٥).

وعلى غرار هذه الآيات توجد الكثير، وكلها تتحد في موضوع واحد وهو

(١) البقرة / ٩٩.

(٢) آل عمران / ٨٦.

(٣) الصافات / ١٤ - ١٥.

(٤) القمر / ٢.

(٥) الصف / ٦.

عناد الكفرة وإتهام المعجزات أنها ضرب من السحر مع أنها من أوضح البينات، وقد صرح جمهور المفسرين إن المراد من قوله: «بينات» يعني المعجزات الخارقة للعادة، بدليل أنهم يتهمون تلك البينات بـ (السحر) وفيه دلالة على أنه أمر خارق للعادة وإلا لما اتهموه بذلك، ولذا تعارف عند العلماء إن كلمة البينات في القرآن لها دلالة على المعجزات والخوارق.

ثم إن الألف واللام في البينات تدل على العموم، وهذا يعني استغراقها لجميع المعجزات، فالذين ينكرون المعجزة إما أنهم لا يعرفون معنى التواتر والقرآن، أو أنهم معاندون وجدليون وذلك لصريح القرآن الكريم إن الله تعالى أعطى لنبينا ﷺ المعجزات البينات مع قيام الأدلة العقلية على ضرورة وصحة نبوته، وأنه صاحب المعجزات كبقية الأنبياء.

وقد اتفق العدو والصديق من المؤرخين على أن محمد بن عبد الله ﷺ ادّعى النبوة الخاتمة في شبه الجزيرة العربية قبل ألف وثلاثمائة وثمانين عاماً^(١) وأنه كان أفضل وأكمل وأشرف الأنبياء جميعاً، فكيف يتسنى لمثله أن يدعي كل هذه المقامات الخطيرة من غير أن يقدم الأدلة الواضحة والوافية لإثباتها وتصديقها وأظهرها المعجزة؟!

نعم لو أنه ﷺ ادّعى النبوة وقال بعدم التلازم بين النبوة والمعجزة وحاول تأويل معاجز الأنبياء السابقين لكان للمخالفين والمعاندين والمنكرين للنبوة وجه وجيه، ولكن بما أنه ﷺ أقرّ بجميع معاجز الأنبياء، وزعم أن المعجزة دليل على النبوة، فيحكم العقل بضرورة تحليه بهذا الشرط ألا وهو الأمر الخارق للعادة؛ لأنه من سنخ دلائل الأنبياء الماضين، وأنه أكبر وأوضح دليل على النبوة، فإن لم يتحقق

بعض الآيات القرآنية التي ذكرت معاجز النبي محمد ١٩٧

عنده لزم التشكيك في نبوته إذ لا يُعقل أنه ﷺ يقرُّ بالمعجزات للأنبياء وأنها من شرائط النبوة ومن ثم يدّعي النبوة من دون أن يقدم المعجزة لتدل على صدق دعواه؛ لأنّ ذلك مخالف لما أقره أولاً.

لا كما يفعل البهائية والبابية وأمثالهم، فإنهم ينكرون الشروط التي لا قدرة لهم عليها زاعمين عدم ضرورتها!!

ومن هذه المقالة نعرف أنّ النبي الخاتم محمد ﷺ نبياً من قبل الله تعالى كبقية الأنبياء، وأنّه بُعث بنفس الشرائط التي بُعثوا بها وأهمها المعجزة.

المقالة الرابعة والأربعون

الأدلة على تحقق إنشقاق القمر، وردّ عقائد المنكرين

تنقسم معاجز رسول الله ﷺ إلى قسمين:

١- المعاجز الفانية التي تحصل في عالم الملك والملكوت ثم تنتهي بإنهاء زمانها كمعاجز الأنبياء السابقين التي حدثت ثم انتهت في ذلك الزمان مثل عصا موسى عليه السلام، ويده البيضاء فأنهما انتهتا مع موت موسى عليه السلام ولم تستمرا بعده، وكذا إحياء الموتى بالنسبة لعيسى عليه السلام فإنها معجزة خارقة، لكنها انتهت بعروج عيسى عليه السلام إلى السماء وهكذا الأمر في بقية الأنبياء.

٢- والقسم الثاني من معجزاته ﷺ فهي الباقية والمستمرة حتى بعد وفاته ﷺ مثل خاتمته ﷺ وقرانه.

وأما مصاديق معاجزه من القسم الأول فهي كثيرة حتى عدّها علماء الحديث أربعة آلاف معجزة في مختلف الموجودات من الجمادات والنباتات والحيوانات وعوالم الملكوت والكواكب...

وسأكتفي بذكر ما أُشير إليه في القرآن الكريم بشكل بارز من هذه المعاجز:

١- من المعاجز المهمة: في الآية الأولى والثانية والثالثة من سورة القمر

وهي معجزة شق القمر في قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهوائهم﴾^(١).

وقد واجهت هذه المعجزة العظيمة العديد من الاعتراضات وسوف أتطرق

إلى بعض ذلك بما يتناسب مع حجم المقالة.

فلقد اعترض بعض ضعاف العقول المنكرين لمعاجز الأنبياء حول هذه

المعجزة قائلين:

من المستحيل أن يمتلك أحد الناس قدرة هائلة يشق بها القمر؛ لأن ذلك

غير ممكن عقلاً - في نظرهم - ولا يصدق بهذه القصة إلا البسطاء،

وفي جوابنا لهم نقول: إن الأمر ممكن أولاً وليس مستحيلاً، وأقوى دليل

على إمكان الشيء وقوعه كما يقول أهل الحكمة، ثم أن إثبات ذلك سهل يسير

للاغاية، نعم إثبات موضوع شق القمر وفق الهيئة القديمة (البطيوموسية) يُعد محالاً؛

لأنهم كانوا يتصورون أن العالم العلوي - الأفلاك - على هيئة قشور البصل فكل

فلك يتصل بالفلك الآخر اتصالاً وثيقاً غير قابل للإنفكاك، مع وجود فواصل معينة

بين هذه الكواكب، وكانوا يتصورون أن هذه الكواكب - كعطارد وزحل والمشتري

والشمس الخ... كل منها مستقر في فلكه.

وأما وفق النظرة الجديدة للأفلاك، فيمكن إثبات شق القمر بشكل يتوافق

مع آخر الاكتشافات العلمية والرياضية الفلكية؛ لأنهم توصلوا إلى نتيجة وهي أن

الفضاء العلوي غير متناهٍ، وتوصلوا إلى أن كل واحد من هذه السيارات والكواكب

هو على غرار كوكب الأرض غايتها أنه قد يختلف عنها بشكل ما، فيكون خرق

الكوكب وإنشقاؤه ممكناً في ذاته لاسيما كوكب القمر لقربه من الأرض، ودورانه

حولها فيمكن مشاهدته تماماً فكما يحصل إنشقاق عظيم في بعض أجزاء الأرض

ينتج عنه الجبال الشامخة ولا يؤثر على حركة الأرض كذلك يمكن أن يحصل

إنشقاق عظيم في القمر دون أن يؤثر عليه، بل قد رأى العلماء بواسطة التلسكوبات

والأجهزة المتطورة أن بعض الكواكب والنجوم قد حدثت فيها انفجارات هائلة

أدت إلى إنشطارها وإنشقاقها وجميع هذه الأجزاء تسبح في الفضاء الذي

لا يتناهى دون أن يؤثر سلباً على الأفلاك والكواكب الأخرى وليكن القمر واحداً من هذه الكواكب المادية التي حصل فيها إنشقاق، نعم هو لم يكن مألوفاً عند الناس ولكن ما المانع أن يحصل ذلك بعدما تعلق مشيئة الخالق تبارك وتعالى به على يد نبيه ﷺ؛ لإثبات نبوته وصدقه من خلال خوارق العادات هذه؟

غاية ما في الأمر أن المنكرين أو المعترضين فات عليهم أمران:

الأول: عدم معرفتهم بقدرة الله تعالى.

ثانياً: عدم إلتفاتهم إلى وجود قوة الجاذبية في كل واحد من هذه الكواكب - كما اكتشف العلماء ذلك - فأنها كفيلة لإعادة النصفين المنفصلين، وعليه فلا يبقى إشكال في تحقق هذه المعجزة من الناحية العلمية.

نعم حاول هؤلاء المغرضون إلقاء الشبهات حول هذا الموضوع لما عجزوا عن مواجهة دلائله القوية فمن جملة شبهاتهم:

أولاً: قالوا لو حصل إنشقاق القمر فعلاً لرآه كل أهل الأرض ولتناقلوه بإعتباره حدثاً عالمياً رهيباً لاسيما المؤرخين وهذا غير متحقق أبداً.

والجواب (١) إن هناك حوادث عالمية هائلة حصلت ولكن لم يتناقلها أهل الأرض ولا المؤرخون من قبيل بقاء طوفان نوح ﷺ ستة أشهر أو أقل ومع ذلك فقد أنكر الفرس والهنود والصينيون والكثير من الشعوب الشرقية هذا الموضوع!! بينما تناقله الغربيون وبقية الامم لاسيما بعد التنقيبات الحديثة^(١) كما ذكر ذلك ابن خلدون وأحمد المقرئ وغيرهم. وقد تناولت الكتب المقدسة القرآن والتوراة والإنجيل ذلك الطوفان بالتفصيل.

(١) لقد ذكر الجنرال ساكس الإنجليزي في مقدمة كتابه (تاريخ إيران) إن التنقيبات الحديثة في منطقة (عور) التابعة لمدينة نينوى في العراق اثبتت أن طوفان نوح ﷺ بدأ من هذه المنطقة ولمن أحب التفصيل عليه بمراجعة هذا الكتاب.

ومثال آخر هو توقف الشمس نهراً كاملاً بعدما غابت فردّها الله تعالى إلى مكانها لكي واصل يوشع بن نون وصي موسى ﷺ حربه ضد (الأموريين) مع بني إسرائيل وينتصر عليهم أخيراً.

فمع إن هذه الحادثة عالمية يجب أن يلتفت إليها أهل الأرض كلّهم ويتناقلوها، والحال نرى أن الفرس والهنود والصينيين أنكروا هذه الواقعة وقالوا: لو ردت الشمس ليوشع لزم تأخر النهار والأيتام عن بقية أهل الأرض في الطرف المقابل من الكرة الأرضية ممّا يستدعي التفاتهم وتناقل المؤرخين لذلك، ولهم في هذا المجال اعتراضات أخرى كلّها مردودة وعلى غرار عود الشمس لاشعيا، وإحياء الموتى وإعادتهم إلى الحياة^(١) وهكذا في صلب السيد المسيح ﷺ - كما يزعمون - فإن متّى ومرقس ولوقا قالوا: إن الظلمة أطبقت على الأرض لمدة أربعة ساعات من وقت الظهر، ولكن المؤرخين لم ينقلوا ذلك.

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ومهمة، وقد تمّت الإشارة إليها في الكتب الدينية ولكن لم يذكرها المؤرخون، ولاتناقلها أهل الأرض كلّهم إذاً فما المانع فيما نحن فيه - شق القمر - أن يكون حاصلاً ولفترة قليلة جداً ولم يتناقله المؤرخون؟

(٢) لعلّ الحادثة حدثت في الليل ولدقائق معدودة وسريعة.

(٣) إنّ الناس في المناطق الأخرى لم يكونوا على عهد بالحادثة لكي ينتظروا وقوعها ويترقبوها. إذاً فعدم تدوين المؤرخين أو إنكار المنكرين لا يكون دليلاً على نفي الحادثة؛ لأنّ القاعدة تقول: (عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود).

(٤) وعلاوة على ذلك فإنَّ المؤرخين في ذلك الزمان كلَّهم كانوا مخالفين لنبوة النبي ﷺ فكيف ننتظر منهم أن يدوّنوا هذه المعجزة له ﷺ؟
(٥) إضافة إلى ذلك إنَّ أصحاب التقاويم يذكرون تأريخ حصول الكسوف أو الخسوف في تقاويمهم، ولكن مع ذلك يكون أغلب الناس في غفلة عن ذلك إلا فئة قليلة.

(٦) إنَّ اختلاف الأفق قد يحول دون تحقق رؤية الحادثة من جميع أهل الأرض، لأنَّ القسم الآخر من الكرة الأرضية كان النهار عندهم وعليه فلا يتمكنون من رؤية الحادثة قطعاً - وأما المناطق التي فيها الليل فأنتهم إما كانوا غارقين في النوم أو غير ملتفتين.

(٧) وإنَّ الذين رأوا الحادثة فأنتهم لم يصدّقوها؛ لقصر مدّتها وسرعتها فأنتهم تصوّروها ضرباً من السحر، وبالتالي لم تأخذ الشهرة الكافية بينهم.
فكل هذه الأدلة كافية لردّ^(١) تلك الشبهة التي لم تنطلق من العقل ولم يرد منها الإستيضاح والاستفهام بل العناد واللجاج.

ثانياً: واشكالهم الآخر على حادثة شق القمر إنَّ شق القمر من علامات يوم القيامة وعليه فالآية القرآنية جاءت بلفظ الماضي وأرادت المستقبل أي سينشق القمر^(٢) ولم تتحقق مثل هذه الحادثة في الماضي كما أشار إلى ذلك صاحب ميزان الحق النصراني.

الجواب: إنَّ هذا الاعتقاد على خلاف ما أجمع عليه المسلمون فقد ذكر الشيخ الجليل أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي - المتوفى عام

(١) أقول: لقد ذكرت بعض هذه الوجوه في تفسير مجمع البيان للطبرسي: ج ٩ ص ١٨٦ / المترجم.

(٢) انظر مجمع البيان: ج ٩ ص ١٨٦.

٥٤٨ هـ - في تفسيره مجمع البيان، وكذا الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب بعض علامات وشرائط يوم القيامة مع أنها منفصلة تماماً عن يوم القيامة لاسيما في قوله تعالى ﴿فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها﴾^(١) فقد ذكر المفسرون - شيعة وسنة - مانصه: أي ظهرت أماراتها كمبعث النبي وإنشقاق القمر^(٢).

فكما أن بعثة النبي ﷺ أعتبرت من علامات يوم القيامة كذلك حادثة شق القمر التي جاءت بصيغة الماضي.

وقد قال بعض العرفاء: إن المراد بـ (الساعة) في الآية الكريمة هي الساعة التي وعد النبي ﷺ المشركين بها، والتي شقَّ القمر فيها لهم بمجرد الإشارة إليه، فالساعة هنا لا تعني ساعة يوم القيامة.

ثم إن مضامين الآية الكريمة ودلائلها واضحة في أنها الحادثة حصلت في الماضي لا في المستقبل منها:

أولاً: لفظ الماضي يدل على حدوث هذه الواقعة في زمن النبي ﷺ.

ثانياً: كلمة (يعرضوا) تدل على أن القوم شاهدوا الحادثة ثم أعرضوا عنها وجحدوا بها، وإلا فإن الإعراض قبل الرؤية والمشاهدة لا معنى له.

ثالثاً: وكلمة (كذبوا) واضحة في دلالتها على أنهم كذبوا أمراً كان قد تحقق وهو حادثة إنشقاق القمر.

رابعاً: وقوله تعالى: ﴿ويقولوا سحر مستمر﴾ تدلُّ على أن قبل هذه الحادثة

توجد عدة معجزات خارقة للعادة إلا أنهم كذبوا بها واتهموا النبي محمد ﷺ

(١) سورة محمد ﷺ / ١٩.

(٢) مجمع البيان: ج ٩ ص ١٠٢.

بالسحر، ثم أنّهم ألحقوا حادثة شق القمر بتلك المعجزات التي كذبوها ورفضوها، ولا تسع المقالة للتطرق إلى هذه المعجزات التي كذبوا بها، وقد تمت الإشارة إلى شق القمر في الروايات الصحيحة للفريقين، ومضافاً إلى ذلك فإن بعض المحققين ادّعوا التواتر على حصول هذه الحادثة كما أشار إليه في شرح المواقف وشرح مختصر ابن الحاجب على شرط الصحيحين^(١)، وبما أن القرآن متواتر وقطعي الصدور فادّعاء التواتر على الحادثة في محله تماماً.

إذاً إلى هنا عرفنا وإياكم إن حادثة شق القمر موافقة للموازين العلمية والعقلية والشرعية. وهنا لا بأس بالإشارة إلى محاولات الأعداء الفاشلة فإنّهم وصموا اعتقادنا هذا بأنه خرافة وكون الحادثة مجعولة وموضوعة، وذلك لعجزهم في مواجهة القرآن ومضامينه، وتعد هذه المحاولة أسلوباً آخر لضرب الروايات الشريفة وردّ الحقائق الدينية، والحال أن حادثة شق القمر ليس فيها أي شيء من عالم الخرافات.

ومن الروايات المعتبرة والصحيحة عند المسلمين، والتي وردت في تفاسيرهم عن جملة من الصحابة أمثال عبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسعود، وأنس بن مالك، وحذيفة اليماني، وجبير بن مطعم، وعبدالله بن عمر، وآخرين ذكروا إن أبا جهل ورجلاً من علماء اليهود من أكابر المشركين جاءوا إلى النبي في ليلة ١٤ شوال فقال أبو جهل: يا محمد إن كنت صادقاً في نبوتك فإظهر لنا آية لذلك، فقال له النبي ﷺ: وما تريد؟ فتشاور مع من معه فقالوا له: إن كان ساحراً فإنّ السحر لا يؤثر على العالم الملكوتي السماوي، فقالوا له: اطلب منه أن يشق

(١) جاء في مجمع البيان: ج ٩ ص ١٨٦: وهذا - أي انكار موضوع شق القمر - لا يصح، لأن المسلمين أجمعوا على ذلك فلا يعتد بخلاف من خالف فيه، ولأنّ اشتهاؤه بين الصحابة يمنعه من القول بخلافه.

لنا القمر نصفين. فطلب أبو جهل ذلك من النبي ﷺ، فتقدم النبي من سفح الجبل، وتوجه إلى الله تعالى بالدعاء والإستغاثه ثم أشار بسبّابه نحو القمر فانقسم إلى نصفين، نصف ظلّ في مكانه، ونصف تحرّك في جهة أخرى، حتّى شاهدوا حقيقة ذلك، بل حتّى أنّ خديجة التي كانت في سطح منزلها تقول: رأيتُ نصف القمر قد غاب خلف الجبل ونصف في السماء، ثمّ قام النبي يدعوهم بأسمائهم يا فلان ويا فلان اشهدوا اشهدوا، ثمّ طلب أبو جهل من النبي ﷺ أن يرّد القمر إلى حالته الأولى، فأشار إليه النبي ﷺ فردّه إلى حالته الأولى، فهلل بنو هاشم وأسلم اليهود الذين جاءوا مع أبي جهل، وأما أبو جهل نفسه ومن كان معه من المشركين فقالوا: سحرنا محمد، فقال رجل: إن كان قد سحرنا فأنّه لم يسحر الآخرين فللننتظر قدوم القافلة، فلما حضرت القوافل بعد أيام سألوهم عن مشاهداتهم، فقالوا: إنّنا رأينا شيئاً عجيباً ليلة ١٤ من شوال رأينا القمر قد انشق إلى نصفين^(١). وهذه الحادثة كانت شهيرة حتّى أنّ حاكم المدائن (تيسفون) إبان الاحتلال الفارسي لها قال وهو على المنبر: ألا إنّ الساعة قد اقتربت وأنّ القمر قد انشق على عهد نبيكم.

فهذا يكفي لإثبات الحق، ولإظهار الحقيقة بما يتفق مع حجم المقالة.

(١) راجع الخرائج والجرائح للراوندي المتوفى (٥٧٣ هـ) ج ١، ص ١٤١، ح ٢٢٩، ط قم مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام.

المقالة الخامسة والأربعون

المعراج الجسماني للنبي ﷺ ورد آراء المنكرين

المعجزة الثانية للنبي الخاتم ﷺ من القسم الأول هو عروجه ﷺ إلى السموات كما ذكرها القرآن الكريم عنه: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾^(١). وهكذا نرى القرآن يطرحها بشكل طبيعي ومسلّم إلا أن البعض حاول إثارة بعض علامات الإستفهام حول هذه المعجزة العظيمة وسوف أشير إليها مع أجوبتها بما يتناسب وحجم المقالة.

يعد أول اختلاف قد حصل في فهم هذه المعجزة في زمن معاوية لعنه الله إذ قال البعض: إن معراج النبي ﷺ كان روحانياً استناداً إلى خبر واحد غير صحيح مروي عن عائشة إذ جاء فيه: ما فُقد جسد رسول الله قط^(٢) وقد عمل معاوية لتقوية هذا الرأي باعتباره باعثاً على الاختلاف، وتصادم الآراء وتضعيف

(١) الإسراء / ١.

(٢) أقول: نص الرواية هو: ما فُقد جسد رسول الله ولكن الله أسرى بروحه / سيرة ابن هشام: ج ٢ ص ٢٤٥ دار الجيل بيروت ١٩٩٨ م / المترجم.

أقول: روي إن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سُئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة / المصدر السابق.

وهذا يعني إن معاوية حاول أن يجعل من قصة الإسراء والمعراج عبارة عن منام لا أكثر وهي مخالفة صريحة لكتاب الله العزيز الذي قال: (سبحان الذي أسرى بعبده) ولم يقل بروح عبده بل بعبده كما سيذكره المؤلف ﷺ فانظر أيها القارئ إلى مخالفاتهم الصريحة للقرآن ولم يكن هدفهم إلا التشويش على أذهان المسلمين والخط من منزلة النبي ﷺ / المترجم.

الإعتقاد بعظمة النبي ﷺ، وهو رأي مقدّوح وضعيف ومردود لجهات منها:
أولاً: اتفق المحققون والمؤرخون على أنّ الإسراء كان من حجرة أمّ هاني
أخت الإمام علي عليه السلام من بيت عائشة، والشاهد الذي يؤيد ما ذكرناه ويكذب
رواياتهم أنّ زواج عائشة من النبي ﷺ كان في المدينة بينما الإسراء والمعراج
حصل في السنة الثانية من البعثة في مكة فيعلم من هذا كذب رواية عائشة.
ثانياً: ثمّ إنّ الآية التي أشارت إلى الاسراء والمعراج حملت في مفرداتها
العديد من القرائن اللفظية التي تنفي رواية أهل السنة وبالأخصّ رواية عائشة
ومعاوية فمثلاً:

أ - كلمة «عبده» فإنّها تدلّ على الروح والبدن معاً وهي الهويّة الخارجية
للإنسان كباقي إطلاقات لفظة العبد في كل القرآن، فإنّها لا تدلّ على الروح فقط.
ب - حروف الجر (من) و(إلى) تشير إلى الابتداء والانتهاى المكاني وهو ما
لايستخدم بالنسبة للروح.

ج - لو كان مناماً - كما يزعم معاوية عليه الهاوية - لما وصفه الله تعالى بقوله:
﴿سبحان الذي أسرى﴾ فسبحان كلمة تنزيه مقابل الأمر العظيم، والنام ليس من
هذا القبيل إذا قسناه إلى الاسراء والمعراج البدني، ثمّ إنّ المعراج بمعناه الروحي
قد يحصل لأكثر الناس، لأنّه عبارة عن حصول الرؤيا في المنام وهو أمر متكرر
يوميّاً لا يعني ذات أهمية بالنسبة للناس وبالتالي لا داعي لمجيء لفظة (سبحان)
الدالة على التنزيه مقابل الأمر العظيم الذي اختص به سيد الكائنات ﷺ.

إذاً فمن خلال هذه القرائن يثبت كون الإسراء والمعراج جسماني وبالبدن
العنصري وهذه هي المعجزة العظيمة الملفتة للعقول، وهناك فرقة أخرى مالت عن
الصواب أيضاً في هذه الواقعة، وهم بعض الفلاسفة والحكماء إذ قالوا إنّ الإسراء
والمعراج لم يكن بالبدن ولم يكن بالنام بنفس الوقت غاية ما في الأمر أنّه حصل

في يقظة النبي ﷺ فإنَّ روحه - حالة اليقظة - تَرَقَّت وصعدت إلى الملكوت. وهذا ضرب من السفسطة والتخيلات الناشئة من جمود العقل وتأخره. نعم حاول المتأخرون أن يصلحوا هذه النظرية أمثال صدر المتألهين الشيرازي، والحاج ملا هادي السبزواري، والفياض اللاهيجاني، والملا عبدالرزاق صهر صدر المتألهين في كتاب (گوهر مراد) فإنه ردُّ أقوال الفلاسفة، ولايسع المجال هنا لتفصيل الأقوال، المهم اجتمعت كلمة المتشرعين من الشيعة والسنة على أنه معراجٌ بدني إنطلاقاً من القرآن الكريم، إلا مَنْ شذَّ منهم وجرى وراء سفسطة بعض الفلاسفة، فقد ذكر الزمخشري المعتزلي المتوفى عام ٥٣٨ هـ وهو من أساتذة البلاغة ومن أكابر علماء أهل السنة في تفسيره الكشف في ذيل آية الإسراء بعدما نقل روايات العروج بالروح قال: وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك^(١).

وهكذا الفخر الرازي في تفسير مفاتيح الغيب أيضاً ذكر في ذيل الآية حيث اعترف إنَّ القائلين بالمعراج الروحي هم الأقلية مقابل الأكثرية القائلين بأنَّه معراج جسماني^(٢)، علماً إنَّ الأقلية هم علماء أهل السنة، لأنَّ الشيعة أجمعت على المعراج الجسماني البدني كما صرَّح شيخ الطائفة الشيخ الطوسي (المتوفى عام ٤٦٠ هـ) في تفسير التبيان، والشيخ الصدوق (المتوفى عام ٣٨١ هـ) في الاعتقادات، والطبرسي (المتوفى عام ٥٤٨) في تفسير مجمع البيان، والمحقق السبزواري المولى محمد باقر الخراساني (المتوفى عام ١٠٩٠ هـ) في ذخيرة المعاد وهو شرح على الإرشاد، وشيخ الإسلام العلامة المجلسي (المتوفى عام

(١) تفسير الكشف: ج ٢ ص ٦٤٧-٦٤٨ ط دار الكتاب العربي ١٩٤٧ بيروت.

(٢) التفسير الكبير للرازي: ج ٢ ص ١٤٧ المسألة الثانية.

١١١١هـ) في بحار الأنوار وغيرهم من أكابر الإمامية ومحققهم على أن الإجماع قام على تحقق المعراج البدني أي بالروح والبدن العنصري المادي، ثم أوردوا ذلك بعدة أدلة وبراهين عقلية لرفع الاستبعاد، ولايسع المجال لذكر هذه الأدلة ولكن أكتفي بالدليل القرآني في قوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى...﴾^(١) وهكذا قوله تعالى ﴿واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن ألهة يُعبدون﴾^(٢) وهي تحكي لنا عن المحاورة التي تمت بين خاتم المرسلين وبقية الأنبياء في الملكوت الأعلى حين معراجه كما أشار إلى ذلك المفسرون منهم الفخر الرازي عن عطاء عن ابن عباس قال: لما أسري به ﷺ إلى المسجد الأقصى بعث الله له آدم وجميع المرسلين من ولده، فأذن جبرئيل ثم أقام فقال: يا محمد تقدّم فصلّ بهم، فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة قال له جبرئيل: واسأل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا... فقال ﷺ: لا أسأل لأنني لست شاكاً فيه^(٣) وقد صرح علماء الشيعة والسنة على أن هذه الآية نزلت بهذه المناسبة أي معراج النبي ﷺ.

وذكر أبو اسحاق أحمد الثعلبي وهو من أفاضل علماء أهل السنة وإمام أصحاب الحديث ذكر في تفسيره عن عبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسعود، عن

(١) تفسير مفاتيح الغيب: ج ٢٧ ص ٢١٦ ط ٢.

(٢) الزخرف / ٤٥.

(٣) تفسير مفاتيح الغيب: ج ٢٧ ص ٢١٦ ط ٢.

رسول الله ﷺ قال: لما عُرِجَ بي إلى السماء انتهى بي المسير مع جبرئيل.. فجمع الله النبيين والمرسلين فصفهم جبرئيل صفاً، فصلَّيتُ بهم فلَمَّا سلمت أتانِي آت من عند ربي، فقال: يا محمد ربِّك يقرئك السلام ويقول لك: اسأل الرسل على ماذا أرسلتم من قبلي؟ فقلت: معاشر الأنبياء والرسل على ماذا بعثكم ربي قبلي؟ قالوا: على شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بنبوتك والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام^(١). وقد ذكر الثعلبي في تفسيره هذه الحادثة، وبعضهم أشار إليها مجملاً عند قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾ لاسيما الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب حيث قال:

«ذلك بشارة لمحمد ﷺ إلى السماء لمشاهدة ملكوتها وإجلال الملائكة إياه فيها والمعنى لتركبن يا محمد السموات طبقات عن طبق، وقد قال تعالى سبع سموات طباقاً وقد فعل الله ذلك ليلة الإسراء وهذا الوجه مروي عن ابن عباس وابن مسعود».

(١) تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني: ج ٤ ص ١٤٨.

المقالة السادسة والأربعون

إثبات امكان المعراج الجسماني ووقوعه وعلته مقابل الماديين

لقد تطرقتُ إلى بعض الآيات القرآنية التي تثبت المعراج الجسماني في المقال السابق وقد بسط علماؤنا الكلام في هذا الجانب ضمن كتب مستقلة يمكن لمن طلب المزيد الرجوع إليها.

ولكن مع ذلك فلم يخلو الواقع من شبهات المفرضين حول المعراج الجسماني، فقد أثار بعض علماء الطبيعة، وبعض علماء النصارى أيضاً عدّة علامات استفهام نشير إليها وإن كنا قد أجبنا على بعضها سابقاً.

قالوا: إنَّ الهواء محيط بالكرة الأرضية من كل الجهات في ارتفاع ١٨٠ كيلومتر والذي كان يطلق عليه سابقاً بـ (أتو مسفر) أي الهواء المحيط، وما بعده الخلاء وهي المنطقة التي ينعدم فيها الهواء - وقال البعض: إنَّ هذه المنطقة أرق وألطف من الهواء - وعليه فتكون الحياة فيها مستحيلة بالنسبة لأي إنسان، ومن جهة ثانية فإنَّ خروج البدن من منطقة الغلاف الجوي يؤدي إلى دماره وإنحلاله. فكيف والحال هذه يتم قبول قولكم إنَّ النبي ﷺ عرج بروحه وبدنه العنصري وبقي حياً؟

قد أجاب العلماء الكبار في القرون السالفة بأجوبة عديدة نقضاً وحلاً على هذا الإشكال،

أما نقضاً: فأَنَّهُم يقولون إنَّ للهواء قابلية التمدد وملء كل فراغ ومساحة - وإن لم يمنعه مانع - وعليه فكان المفروض أن يتمدد الهواء الذي يعلو سطح الكرة الأرضية - الغلاف الجوي - ويملأ تلك المساحات التي لا يوجد فيها أي

مانع وبالتالي يتصاعد إلى الطبقات العلوية مما يؤثر سلباً على نسبة الضغط الموجودة في الكرة الأرضية فيموت الناس كلهم.

وحلاً: فإن القضية ممكنة فكما أمكن إيصال الأوكسجين إلى الغواصين في أعماق البحار، ورواد الفضاء عبر القناني المحمولة كذلك أمكن إيصال الأوكسجين إلى النبي ﷺ إما بإيجاد هالة من الهواء حوله، أو أنه سبحانه وتعالى تكفل بتمديد قسماً من الهواء ليرافق النبي ﷺ في صعوده إلى الملكوت. إذاً عليكم أن تعترفوا بأن ما توصل إليه العلم الحديث قاصراً وناقصاً ويفتقر إلى الكثير من المعلومات حول الفضاء الخارجي ويمكن لآرائه أن تتبدل كل فترة، وتعترفوا أيضاً بقدرة الخالق وهو الله سبحانه الذي خلق الأرض والسماء وهو الذي دعى إليه نبيّه فهو يتكفل بطريقة إيصاله.

ومن جملة إشكالاتهم أيضاً: أنهم قالوا إن جسم النبي ﷺ كان ثقیلاً وكل جسم ثقیل له ميل طبيعي نحو الأسفل فكيف صعد إلى الأعلى؟ وجوابه واضح وهو أن الحديد أو الحجر وهما أثقل من الإنسان ولكن لو دفعه أو قذفه الإنسان نحو الأعلى فإنه يستمر في صعوده إلى الأعلى على حسب قوة الدفع أو الرفع، فحركة الحجر نحو الصعود لم تكن من الحجر بل من سبب آخر كالطائرة تماماً وما حصل للنبي ﷺ من هذا القبيل إذ لم يدع أحد من المسلمين أن النبي ﷺ صعد بنفسه إلى الملكوت، بل نقول: إن الله تعالى هو الذي تكفل بمعجازه إلى عالم الملكوت.

بل لو لم يكن الخصم لجوجاً وعنوداً لكانت الآية القرآنية كافية في جوابه ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ أي إنه تعالى هو الذي أسرى بالنبي ﷺ ولم يقل (سرى) بل أسرى أي أنه سبحانه نسب الفعل إليه.

وقد التف آخرون على هذا الموضوع وأثاروا شبهة محاولين اصطیاد

السّمك في الماء العكر إذ قالوا: نحن لانعترض على أصل الإسراء والمعراج، بل نعرف إلاّ أنّه غاية ما يدل على إنتهاء النبي ﷺ إلى نقطة مادية معينة ألتقى فيها مع الله وهذا يثبت الجسميّة لله تعالى، لأنّه ﷺ كَلَّمَ رَبّه وجالسه وو...

وهذا الكلام ضرب من المغالطة والسفسطة، لأنّ العلماء المحققين في الإسلام القائلين بالعروج الجسماني لا يلتزمون ولا يقولون بهذه الخزعبلات التي تفشت على أثر أخبار منجوعة وموضوعة.

بل نحن لانقول أكثر مما قاله الله تعالى في القرآن: ﴿لنريه من آياتنا﴾ أي إنّ الغرض من المعراج هو إرادة النبي ﷺ لآيات الله العظيمة وآثار قدرته العجيبة، لا أنّه ﷺ يلتقي ربّه في مكان محدد كيف ونحن نعتقد أنّه تعالى لا يحدّه مكان، لأنّه ليس بجسم، وأما عن كلامه سبحانه وتعالى مع نبيه ﷺ فهو عبارة عن إيجاد الكلام في الأشياء، لأننا نعتقد أنّ الكلام أحد صفات الله الثبوتية بمعنى أنّه يخلق كلاماً متصوّتاً في الأشياء كما حصل في الوادي المقدس حينما سمع النبي موسى كلاماً من الشجرة، وعلى غرارهِ حصل في المعراج بالنسبة لنبينا ﷺ.

فالمعراج بالنسبة إلى قدرة الله يُعدّ أمراً سهلاً يسيراً، بل عادياً للغاية لاسيما مع عدم وجود أي مانع عقلي في القضية مضافاً إلى أنّ المعراج يُعدّ معجزة ثابتة للنبي ﷺ وبما أنّها معجزة فلا معنى لإخضاعها للمقاييس المادية المحدودة، بل هي فوق العقل.

وكل الذين اعترضوا على موضوع المعراج الجسماني لم يعرفوا حقيقة المعجزة التي لاتخضع للموازن والقوانين المتعارفة، والأسباب الظاهرية التي يراها البشر، وقد فات عليهم أنّ القدرة الإلهية يخضع لها كلّ شيء في هذا الكون.

المقالة السابعة والأربعون

القرآن معجزة النبي الخاتم ﷺ

لقد بعث الله سبحانه وتعالى أنبياء أولوا العزم وزود كل واحد منهم بقوى هائلة تفوق ما في أيدي الناس في زمانهم، فمثلاً كان لهم حق التصرف في الكائنات بإذن الله تعالى، ولذلك كانت تصدر عنهم الأمور الخارقة للعادة التي يتحداهم بها قومهم بفضل تلك الولاية، فكانوا يثبتون الحق من خلال المعجزة. ولكن مع ذلك أنفرد كل نبي منهم بمعجزة خاصة لم يسبق لها مثيل كخروج الناقة من الجبل وهي معجزة النبي صالح عليه السلام، أو تحوّل العصا إلى ثعبان عظيم، أو اليد البيضاء وهي معاجز النبي موسى عليه السلام، أو إحياء الموتى كما كان يفعل النبي عيسى عليه السلام.

وعلى ضوء هذه القاعدة المسلّمة كانت لنبينا ﷺ عدة معاجز كبقية الأنبياء إلا أنّه امتاز بوحدة وهي معجزة القرآن الكريم الكتاب السماوي الخالد، وعلى رغم كثرة معاجزه التي زادت على أربعة آلاف معجزة في عالم النبات والجماد والحيوان والإنسان، إلا أنّه لم يتّحد المشركون بأي واحدة من هذه المعاجز إلا القرآن الكريم معجزته الخاصة، لأنّ جميع تلك المعاجز انتهت في زمنها بينما تستمر معجزة القرآن الكريم حتّى مع موت النبي ﷺ، ولهذا فهي امتازت على كل معاجز الأنبياء، لأنّها - جميعها - انتهت وتوقفت مع موت النبي إلا معجزة النبي الخاتم ﷺ فأنها استمرت وتستمر.

ويعود السبب إلى أنّ مساحة نبوة أولئك الأنبياء السابقين كانت محدودة في منطقة معينة ومشروطة بآمد معين فلم يرد لها تستمر، ولهذا فإنّ معاجزهم أيضاً

لم يرد لها الاستمرار وهذا بخلاف الإسلام الذي اقتضت الحكمة الإلهية استمراريته إلى يوم القيامة، ولذا تطلب الأمر أن تستمر معجزة النبي ﷺ مع استمرار الدين ليكون سبباً لهدايتهم، فلو أراد الإنسان المنصف اليوم أن ينتخب ديناً لنفسه معتمداً على الأدلة والبراهين فلا يوجد أمامه غير الإسلام بدليل أنه لو ذهب إلى الحاخام اليهودي وطلب منه الدليل الصادق على صدق نبوة ودين موسى ﷺ - وهي العصا واليد البيضاء - لعجز الحاخام على إثبات ذلك، وكذا لو ذهب إلى القس وطالبه بالدليل الذي يدل على صدق نبوة عيسى ﷺ لعجز القس عن ذلك أيضاً، وهذا بخلاف ذهابه إلى العالم المسلم ومطالبته بالدليل، فإنه سيرشده إلى القرآن الكريم كلام الله المجيد، لأنه المعجزة الباقية والمستمرة، فإنه من أدل الأدلة على صدق نبوة النبي الخاتم ﷺ طيلة هذه القرون، وهذا ما يحق لنا الافتخار به، لأن جميع كتب الأديان الأخرى حُرِّفَتْ وبُدِّلَتْ وَغُيِّرَتْ إِلَّا الْقُرْآنُ الكريم الذي حفظ من أيدي العابثين،

ومن جهة أخرى فإنّ هذا القرآن يضم بين دفتيه أدلة عديدة على صدقه - وهي من أدلة إعجازه - تجذب العالم والجاهل والعارف والمنصف بخطابات مقنعة وتامة وسوف نتطرق لذلك إن شاء الله.

المقالة الثامنة والأربعون

عدم تواتر الكتب السماوية - غير القرآن -

لا يوجد اليوم تواتر على صحة الكتب المنسوبة إلى السماء إلا القرآن الكريم، وقد تطرّقنا لذلك في المقالات (٣ إلى ١٢) وأثبتنا عدم صحة التوراة والإنجيل وأنهما قد حُرِفَا وبُذِلتا حتّى اعترف الكثير من محققي النصارى بنفسهم، وقد قلنا سابقاً إنّ معنى التواتر هو وجود جماعة من الرواة ينقلون صحة هذه النسبة منذ زمن نزول الكتاب وإلى يومنا هذا عبر جميع الطبقات ويمتنع تواطئهم على الكذب، بمعنى أنّهم من ناحية الكثرة وتباعد المناطق واختلاف الأزمنة مما يكون معه الكذب أو التواطىء على الكذب محال عادةً فجماعة من زماننا هذا مختلفين ومتباعدين ينقلون عن جماعة من الزمان السالف وأولئك ينقلون عن جماعة من زمان سابق وهكذا إلى زمن النبي والجماعة الذين سمعوا منه وكتبوا الكتاب عنه، هذا هو معنى التواتر.

فلو حصل خلل في مثل هذه الضابطة كأن لا يُنقل الخبر عن جماعة أو النقل عن جماعة لم يكونوا معاصرين لهم، أو النقل عن جماعة لم يعاصروا النبي فهذا ليس من التواتر في شيء.

وعلى ذلك فلو انقطعت سلسلة الرواة لأي كتاب سماوي، فإنّه يسقط عن الاعتبار وبما أنّ مثل هذا التواتر المنقطع موجود في سلسلة رواة الإنجيل، والتوراة فالكتابان يسقطان عن الاعتبار، وبعبارة أخرى لا تواتر في طريق الإنجيل والتوراة، فالتوراة النازلة على النبي موسى ﷺ لا شك في تواترها في عهده وأما من بعد رحيل موسى ﷺ فإنّها فقدت ذلك التواتر لجهتين:

الجهة الأولى:

إنّ موسى ﷺ أمر بأن توضع التوراة داخل صندوق العهد، ولا يصل إليها أحد إلّا هو، وكان يخرجها كل سبع سنوات مرّة واحدة في يوم معين ليراها الناس ويتبركون بها، وكان الاستنساخ منها آنذاك ممنوعاً ومحرمّاً وعليه فلم تكن نسخة اخرى بيد الناس. بينما يحافظ مجموعة من علماء بني إسرائيل على صندوق العهد الذي بداخله التوراة الأصلية في المعبد.

كما جاء في الفقرة ٩ إلى ١٣ من الباب ٣١ التثنية: «وكتب موسى هذه التوراة وسلّمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل وأمرهم موسى قائلاً في نهاية السبع السنين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال حينما يجيء جميع إسرائيل لكي يظهروا أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم أجمع الشعب الرجال والنساء والاطفال والغريب الذي في أبوابك لكي يسمعون ويتعلموا أن يتقوا الرب...».

ومن البديهي أنّ هذا الكتاب المقدس في حال بقائه في الصندوق لا يصل إلى مرحلة التواتر، لإنعدام أصل موضوع التواتر. أو يمكن القول أنّ احتمال التواطىء على الكذب من بعد رحيل موسى ﷺ بين هؤلاء الأفراد الموكّلين بحفظ التوراة، بخلاف فيما لو كانت التوراة بين الناس وحصل التواتر من قبل الناس على مختلف الأدوار الزمانية على تواترها إذ لا يمكن هنا احتمال تواطئهم على الكذب.

الجهة الثانية:

انتصار وسيطرة البابليون والرومان على بيت المقدس عدّة مرات وقتل بني إسرائيل بأمر (بن پلسر) وبخت نصر، وبعض سلاطين الشام وغيرهم، وإحراق الكتب المقدسة وصندوق العهد والتوراة الكبيرة كما أعترف بذلك اليهود وقد

ذكرناه في المقالة الثالثة.

فقد تعرّض بنو إسرائيل طيلة ألف عام إلى هجمات تعسفية رهيبة بقوا خلالها بلا كتاب، حتّى جاء عزرا فكتب لهم التوراة، ولكن لا أحد يعرف - وحتّى هم - هل هي نفس التوراة الأصلية أم لا. وحتّى لو فرضنا أنّ مزاعمهم صحيحة في هذه التوراة المكتوبة مطابقة للأصلية نقول إنّ إثبات الكتاب المقدس بقول الواحد لا تثبت؛ لأنّنا اشترطنا التواتر، وعليه فلا تواتر في صحة هذه التوراة وعليه لا يمكن الركون إلى مثل هذا الكتاب؛ لانعدام السند وعدم قيام الدليل على إتصاله بموسى عليه السلام.

المقالة التاسعة والأربعون

عدم تواتر الإنجيل من زمن عيسى وما بعده

وأما الإنجيل فقد ذكرنا سابقاً عدم وجود تواتر على صحتها، لأنّ مدّة نبوة النبي عيسى عليه السلام كانت ثلاثة سنوات وأشهر، وقد تعرّض طيلة هذه الفترة إلى ملاحقة اليهود له واستبدادهم عليه، حتّى لم يتسنى له أن يستقر في منطقة أو مدينة معينة لتكون مقرّاً له ومركزاً لقوّته، وبسبب هذه المطاردة والتنقل لم يجتمع حوله من الأتباع ما يفي بتشكيل أمة تحفظ كتاب الإنجيل من بعده، سوى إثني عشر رجلاً لم يكونوا بذلك المستوى الإيماني الرصين، بل ارتد بعضهم، وخان بعضهم الآخر كما حصل مع (يهودا الاسخربوطي) الذي دلّ اليهود على مكان عيسى عليه السلام وتمّ اللقاء القبض عليه مقابل ثلاثين قطعة من الفضة!!

وعلى ضوء ذلك لا يمكن الاعتماد على أقوال هؤلاء المجموعة المتلونة في إيمانها والذين يتهم بعضهم بعضاً، فمن هؤلاء لا يمكن قبول أي تواتر لعدم وثاقتهم أولاً، ولقلّتهم ثانياً. وقد ذكرنا سابقاً في المقالات ٨ إلى ١٢ إن كتاب الأناجيل لم يكونوا من أصحاب النبي عيسى عليه السلام. وقد كتبوها بعد أن مضى عليهم ثلاثمائة عام من دون كتاب، ثمّ جاء بعد طيلة هذه السنين أربع أشخاص مجهولين الحال وكتبوا الإنجيل!!

إذن فسلسلة إسناد هذه الأناجيل تنتهي إلى كلّ واحد من هؤلاء الأربعة ولا تصل إلى السيّد المسيح عليه السلام صاحب الكتاب المقدس، وعليه فالسلسلة منقطعة الإسناد وغير متواترة، ولا يمكن اعتماد هذه الكتب عقلاً.

المقالة الخمسون

إثبات تواتر القرآن من زمن النبي محمد ﷺ وإلى الآن

وأما القرآن الكريم فإنه يختلف عن باقي الكتب السماوية، وذلك لقوة إسناده وتواتره من زمن النبي الخاتم ﷺ وإلى هذا الزمن، أي أن القرآن لم يُحتكر عند طائفة خاصة من أول يوم نزوله، بل كان النبي ﷺ يتلو آية آية تنزل عليه على كُتّاب الوحي (مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وعثمان بن عفان) فكانوا يكتبونها ثم تعطى للأمة الإسلامية لكي يقرؤها ويحفظوها إنطلاقاً من توصيات النبي ﷺ الذي كان يؤكد للناس على ضرورة حفظ الآيات وتدوينها ونشرها وتعليمها ضمن ضوابط معينة سنشير إليها في المقالات اللاحقة.

وفي العام العاشر من الهجرة بعد وفاة النبي ﷺ كان المسلمون في شبه الجزيرة العربية واليمن وقسم من بلاد الحبشة وفلسطين وسوريا قد حفظوا القرآن الكريم في صدورهم وفي القرايطيس، بل كان عندهم شغف بحفظه في الصدور. وعلاوة على ذلك فقد كان القرآن مصدراً لعلوم المسلمين وحجر الأساس في الأحكام الشرعية، والمباني الدينية والسياسية منها والاجتماعية، وهو معجزة نبيهم الخاتم ﷺ، كلّ هذه الاعتبارات تستدعي حفظه وصيانته، بل كان بعض المسلمين يواصلون قراءة القرآن صباحاً ومساءً حتى كان بعضهم يختم القرآن كلّهُ في ليلة واحدة، فلما سمع النبي ﷺ بذلك أمرهم بختمه في الشهر مرة واحدة، وقد ذكر ذلك الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي وهو أئمة مشايخ مصر في أواخر القرن الثالث الهجري ويُعد من أكابر علماء العامة

إثبات تواتر القرآن من زمن النبي محمد ﷺ وإلى الآن ٢٢١

وأرباب الصحاح الستة فقد ذكر في سننه مسنداً عن عبدالله بن عمر قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبي ﷺ فقال: إقرءه في شهر.

وبعد عهد النبي ﷺ تشكل تياراً عظيماً من مئات الآلاف وهم قراء وحفاظ القرآن من الشيعة والسنة إنطلاقاً من قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه عند الفريقين: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً^(١).

هذا ولم يحدث للمسلمين ولا للقرآن ما حصل لليهود والنصارى وكتبهم مما تسبب في قطع سلسلة التواتر والاتصال المنتهي إلى النبي ﷺ.

وذلك لأن الإسلام كان في توسع وإنتشار واسع حتى بعد وفاة النبي ﷺ فلم يتعرض المسلمون إلى ما تعرض له اليهود من سبي البابليين والرومان.. ولم تمرّ عليهم فترة من الزمان فقدوا فيها القرآن كما فقدت التوراة والإنجيل، بل كان القرآن في أيدي المسلمين دائماً وقد ذكر ذلك بعض المحققين النصارى واليهود مثل (آدم كلارك) و(نوتين) وغيرهما، وعليه فالتواتر قائم على بقاء وصحة القرآن الكريم، بل وما نزال نشهد آلاف الناس من حفاظ القرآن، وعلى ضوء ذلك نقطع بتواتر القرآن ويمكن العمل به عقلاً على أنه كتاب سماوي.

(١) الصواعق المحرقة: ج ٢ ص ٥٤٣.

المقالة الواحدة والخمسون

النبي ﷺ يأمر المسلمين بتدوين القرآن وحفظه

ومن أجل توضيح معنى تواتر القرآن نذكر هذه المقدمة التي نسعى من أجل أن تثبت تواتر القرآن في القرن الأول الهجري، وعليه فسنعود قليلاً إلى الوراء لنلاحظ الخطوات الأولى التي خطاها هذا النبي العظيم ﷺ في رسم معالم السعادة البشرية.

لقد ثبت من خلال كتب السير والتواريخ وكذا في تاريخ الأنبياء العظام والأوصياء، والفلاسفة، والحكماء والسياسيين .. ثبت أنه لا يوجد شخص أعظم وأفضل من النبي الخاتم ﷺ في عالم المدنية.

واقترضت الحكمة الإلهية أن يُبعث ويظهر هذا النبي ﷺ في أجهل منطقة في العالم عرفت بالتخلف والقبليّة، والوحشية والبربرية وهي شبه الجزيرة العربية التي حُرمت من أدنى معالم المدنية والتقدم البشري والاجتماعي.

ومع كل ذلك فقد تقدّم الإسلام تقدماً سريعاً باهراً في فترة زمنية قصيرة جداً وهي أقل من نصف قرن، حتّى بدى أولئك الناس الذين كانت الوحشية صفتهم، بشكل متميز وملفت للأنظار حيث تحلّوا بالصفات المدنية التي كفلت لهم السعادة، والتقدم فصاروا أساتذة في العلوم الاجتماعية والعلمية، حتّى كتب عن مدنيّتهم علماء الغرب وأوربا، فكانت هناك كتباً من قبل هؤلاء المؤرخين عن التمدن الإسلامي وتمدن العرب، أشاروا فيها إلى دور المسلمين في المعرفة العلمية والعملية، وهنا لا يمكننا أن نذكر تفاصيل ذلك، ولكن يمكن لمن أراد أن يراجع كتاب تمدن العرب لغوستافا لبون الفرنسي، والتمدن الإسلامي

لجرجي زيدان.

ومن الأهمية أن نشير إلى السر الذي به أستطاع النبي الخاتم ﷺ أن يحوّل هذه الأقوام المتوحشة إلى أساتذة عالميين ينهل الجميع من علومهم فما هو هذا الأصل الذي ارتكز عليه النبي ﷺ؟ وما هي الأسس التي أعتمدها النبي ﷺ في عمله الجبار هذا؟

يُعد النبي الخاتم ﷺ إستاذ الأساتذة في كل فن وعليه فالقانون الذي يستعمله لا بد أن يكون محوراً وأساساً للبشرية عبر كل الأزمان، وعليه فيجب أن تكون كلماته وتعاليمه موافقة للعقل والعلم وهي الأفضل على الإطلاق.

ومن المحرز تماماً أن جميع تعاليمه ومبادئه التي تُلَفَّظ بها ﷺ كانت قرآناً نزل عليه من عند الله تعالى الذي: ﴿فيه تبيان كل شيء﴾ وقال أيضاً: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾^(١).

ولما كان هذا الكتاب الشريف هو المبدأ والمرجع في القواعد والأحكام والقوانين الدينية والعلم، فلذا عمل النبي ﷺ على تبليغه كلّهُ إلى الأمة وأوصاها بحفظه وصيانتها والتمسك به والدفاع عنه من شر الأشرار، ومن هذا المنطلق سعى بعض الأفراد إلى تدوينه وحفظه آية آية مع رعاية كافة الضوابط حتّى أنّ جمعاً كثيراً من الأمة كانت لهم مصاحف خاصة بهم كتبوها في عهد النبي ﷺ، وهو القرآن الموجود اليوم بين الدفتين في أيدي المسلمين.

المقالة الثانية والخمسون

تأكيد النبي على حفظ وصيانة القرآن، والإشارة إلى قتل القرّاء في اليمامة وبئر معونة

بعد وفاة كلّ نبي من الأنبياء يسعى بعض المحتالين، والدجالين على إغتنام هذه الفرصة لضرب الدين وإفساده وتخريبه، وذلك من خلال دسّهم في نصوص الكتاب المقدس لهذا النبي أو ذاك، فيكون تحريف النص أو إدخال العقائد المنحرفة التي هي أبرز معالم هؤلاء الذين يعملون على إضلال الناس كما أشرنا إلى ذلك في المقالة ٤ إلى ٧.

وقد سعى بعض اليهود والمشرّكين على تجسيد هذه المحاولة بعد رحيل النبي ﷺ ولكن حال دون تحقق ذلك إعجاز القرآن الكريم فأنّه قد رُكّب تركيباً إعجازياً من الله تعالى بحيث لا يمكن التلاعب بكلمة من كلماته، بل حتّى في أحد حروفه، فلما عجزوا عن تحقيق ما ربهم الفاسدة من خلال القرآن جاءوا من طريق آخر، وهو وضع الأحاديث وجعلها وصناعتها وتأليفها ونسبتها إلى النبي ﷺ، ومن جملة ما وضعوه في هذا المجال هو أنّ القرآن الكريم لم يكن مجموعاً في عهد النبي ﷺ إلاّ عند أربع أشخاص، وبالإضافة إلى ذلك الكذب فإنّهم اختلفوا حتّى في أسماء هؤلاء الأربع - ومن المؤسف أنّ علماء أهل السنة صدّقوا هذه المرويات الباطلة المجعولة، ودوّنوها في كتبهم - ففي خبر أنس أنّ الأربع هم: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

وفي بعض الأخبار: سعد بن عبيد، وأبو الدرداء، وعبادة بن الصامت، وأبو أيّوب الانصاري، وعثمان بن عفان، وأبو موسى الأشعري، وأم

ورقة وغيرهم.

فصارت هذه الموضوعات والأكاذيب الباطلة وثائقاً استدلت بها بعض الملاحدة على عدم تواتر القرآن الكريم.

والواقع إنَّ اجماع المسلمين يُبطل هذه الأخبار - المجعولة - وينسف هذه المحاولة التافهة، لأنَّ القرآن لم يكن عند أربع أشخاص فقط، بل كان يحفظه أغلب المسلمين كما قلنا سابقاً، والعجيب من علماء أهل السنة أنَّهم يروون في بعض كتبهم أنَّ في حرب اليمامة ^(١) قُتِلَ (٧٠٠٠٠) حافظاً وقارئاً للقرآن الكريم، وقُتِلَ على غرار هذا الرقم في حرب بثر معونة ^(٢) في زمن النبي ﷺ وكلَّهم نالوا شرف الشهادة.

وقد التفت بعض علماء أهل السنة إلى مثل هذا التناقض الفاضح كيف لم يكن القرآن إلّا عند أربع، وقد حفظه أكثر من سبعين ألفاً؟! فحاول إصلاح هذه المعلومات، وإجراء بعض التعديلات مثل: أبو عثمان بكر بن محمد المازني الذي قال: ليس من الضروري أن نقول بصحة رواية أنس التي يلزم من التمسك بها فتح الطرق إلى الملاحدة، لأنّه قد أسْتَشْهَدَ في اليمامة وبثر معونة أكثر من مئة وخمسين حافظاً وقارئاً للقرآن، فلا عبرة بما قاله أنس، أو يمكن أن نقول إنَّ أنس كانت له ألفة بهؤلاء الأربع دون سواهم، فذكرهم. انتهى.

نعم وقد ذكرنا سابقاً إنَّ النبي ﷺ كان يقرأ القرآن على عامة المسلمين، لاسيما وأنّه كان ينزل على النبي ﷺ ترتيلاً آية آية مما يوفّر على المسلمين فرصة لحفظه خصوصاً مع تشجيع النبي ﷺ وزفه البشائر لهم فكان يشحذ فيهم

(١) حرب اليمامة حدثت في حديقة الرحمن بين المسلمين ومسيلمة الكذاب بقيادة خالد بن الوليد وقد انتصر فيها المسلمون، وقُتِلَ مسيلمة الكذاب فيها.

(٢) وهي منطقة قرب المدينة يقال إنّها من هزبل وسليم.

الهمم للحفظ، والتلاوة، والكتابة، والتعليم والتعلم، وكان ﷺ يقول لهم: إن ذلك من أفضل العبادات والقربات إلى الله تعالى، ولذلك فقد كان جمع القرآن وتدوينه من أهم الأعمال التي مارسها المسلمون في الصدر الأول من الإسلام، وكان الدافع لهم الإهتمام بالتدوين وحفظ القرآن لكونه معجزة النبي ﷺ أولاً، وأساس الأحكام الشرعية ثانياً.

إذاً كيف يمكن القول إن القرآن جُمِعَ عند أربع أشخاص فقط مع أهميته بالنسبة للمسلمين حتى أنه كان جزءاً من حياتهم اليومية؟

بل كيف حصل هذا الكم الهائل من المفسرين والحفاظ والمؤرخين من علماء أهل السنة إذا كان القرآن محصوراً عند أربع أشخاص، هذا ولم يكن في زمن النبي ﷺ مورداً للعلم غير القرآن الكريم بعد أداء الفرائض، ولذا فإنهم كانوا داؤبين على تلاوته من باب العلم والتعلم، وكان بعضهم يعرض قرآنه المدون على النبي ﷺ ولهذا كانت عدة نسخ من القرآن الكريم -المجموع- بيد المسلمين إثر هذه المدونات، ونحن اليوم نشهد مئات المصاحف من القرآن كُتبت بمختلف الخطوط في القرن الأول وما بعده في المتاحف، والمكتبات العالمية المهمة، وهذا أقوى دليل على عدم صحة رواية أنس.

المقالة الثالثة والخمسون

جمع القرآن في عهد النبي الأكرم ﷺ

من جملة الأدلة على أن القرآن قد جُمع في عهد النبي الخاتم ﷺ هو إطلاق لفظ الكتاب عليه، ومعلوم إن هذا الإطلاق يشمل لما هو مجموع بين الدفتين عرفاً بحيث تكون مطالبه مرتبة ومدونة، ومجموعة في أوراق منظمة لغرض معين، بحيث أنها لو تفرقت وتشتت، أو لم تكن مدونة أصلاً لما قيل عنها كتاب.

ثم أنه من الأمور المسلمة طيلة (١٣) عاماً من بعثة النبي ﷺ وإلى هجرته في المدينة أطلق على مجموع الآيات التي نزلت عليه بـ «الكتاب» كما في قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾^(١) وغيرها من الآيات التي صرحت بلفظة الكتاب وهو دليل على تدوينه وترتيب آياته وجمعها في زمن النبي ﷺ.

ومضافاً إلى ذلك فهناك روايات معتبرة صرح فيها النبي بلفظة الكتاب وأطلقها على القرآن المجيد، فمثلاً الحديث المتواتر المتفق عليه بين الفريقين والذي كرّره النبي ﷺ في أكثر من موقع فقد قاله في المسجد الحرام، وفي عرفات، وفي منى، وغدير خم، وعلى منبر المدينة، وفي مرض موته، وبعبارات شتى حيث قال ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن

تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً^(١).

وهذا الحديث توأم تلك الآية الآنفه الذكر الصريحة بلفظة الكتاب على القرآن، وهكذا الحديث مما يدل على وجود القرآن الكريم على شكل كتاب مدوّن ومرتب وإلا لما أمكن ولما صحّ منه ﷺ أن يُطلق اسم الكتاب على آيات متفرقة غير مجموعة.

ثم من البديهي إن إطلاق الكتاب على الآيات والسور لا يمكن إلا بعد التدوين والجمع، وذلك لم يرد في علم التفسير إطلاق لفظ الكتاب على السور المكية القصار، نعم جاءت لفظة الكتاب بعد الجمع والتدوين كما في قوله: «ذلك الكتاب» «تنزيل الكتاب» «إنا أنزلنا عليك الكتاب» «تلك آيات الكتاب» وغيرها من الآيات الصريحة بوجود كتاب مرتب مدوّن على الأوراق أو الأكتاف أو العسب، وهذه هي عقيدة المفسرين المسلمين لا سيما أكابر علماء الشيعة فإنهم اتفقوا على أن القرآن كان مجموعاً في عصر رسول الله ﷺ وموجوداً بهذه الحالة التي بيد الناس، فمثلاً قال العالم الجليل السيد مرتضى علم الهدى أعلى الله مقامه الشريف الذي يُعد من نوابغ الدهر ومفخرة الشيعة الإمامية - في أوائل القرن الخامس الهجري - قال: إن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن^(٢).

وكان العديد من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب وغيرهما يأتون عند رسول الله ﷺ ويختمون القرآن عنده، بل أكثر من ذلك مقولة عمر بن الخطاب الشهيرة التي نقلها الفريقان وذلك في مرض النبي ﷺ عندما قال ﷺ:

(١) تفسير روح المعاني للآلوسي ج ٤، ص ١٧، ط مصر.

(٢) مجمع البيان للطبرسي: ج ١ ص ٤٣، والاحتجاج ج ١، ص ٣٧٨، وتفسير الصافي ج ١، ص ٥٣.

أَتُونِي بدواة وبياض لأزيل عنكم إشكال الأمر وأذكر لكم من لمستحق لها بعدي، فقال عمر: دعوا الرجل فإنه لي هجر!! حسبنا كتاب الله^(١).

فَيُعْلَم من هذا إنَّ القرآن الكريم كان مجموعاً في كتاب مدوّن ومرتب وهو ما أشار إليه عمر في قوله: ﴿حسبنا كتاب الله﴾^(٢) في معرض مواجهته للنبي العظيم ﷺ، ومن أين علم عمر أنَّ القرآن الكريم قد جُمِعَ ودُوّنَ ورُتِبَ لولا وجود هذا الكتاب في أيدي الناس وإشتهاره؟

(١) سر العالمين للقرطبي، المقالة ٤ وقد نقلها عنه أيضاً سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ص ٣٦.

(٢) راجع صحيح البخاري كتاب العلم باب كتابة العلم، وكتاب المرض، باب قول المريض قوموا عني.

المقالة الرابعة والخمسون

**جُمِعَ القرآن ثلاثة مرّات وابتعاد المسلمين عن العترة
هو سبب لتفرّقهم والإشارة إلى مظلومية الإمام علي عليه السلام**

لقد تصور بعض علماء أهل السنة - استناداً إلى بعض الأخبار - إن القرآن الكريم جُمِعَ في زمن أبي بكر وعثمان، وكتبوا عقيدتهم هذه في كتبهم، والحال أنّهم أخطأوا أيما خطأ؛ لأنّهم لو دققوا وحقّقوا وطالعوا العرفوا أنّ القرآن جُمِعَ في زمن النبي ﷺ كما ذكرنا ذلك سابقاً، وأما ما استندوا إليه من الأخبار فهي قابلة للتحقيق والنقاش كما فعل بعض كبار محققي أهل السنة منهم أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ النيشابوري المتوفى عام ٤٠٥ هـ - في كتابه المستدرک إذ قال: جُمِعَ القرآن ثلاثة مرّات: المرة الأولى في زمان رسول الله ﷺ واستدل بحديث زيد بن ثابت حيث قال: كنّا عند رسول الله ﷺ نوّلف القرآن من الرقاع، والمرة الثانية في خلافة أبي بكر واستدل برواية البخاري عن زيد بن ثابت، فبعد أن قُتل سبعون رجلاً من القُرّاء - وفي بعض الروايات سبعمائة - في حرب اليمامة طلبهم أبو بكر وأمرهم بجمع القرآن والرواية موجودة بكاملها في كتاب البخاري^(١) اذن الجمع الثاني الذي قام به زيد هو عبارة عن تكثير نسخ القرآن لا غير بإعتباره من جملة الذين ختموا القرآن كلّهُ عند رسول الله ﷺ أي كان يقرأه أمامه فيصدّقه. والمرة الثالثة في زمان خلافة عثمان بن عفان عندما جمع القرآن على ترتيب سورهِ، وسبب الجمع الأخير هو الحيلولة من اللحن في القراءات، وقد روي

(١) صحيح البخاري: ج ١٨ ص ٦ باب جمع القرآن، رقم الحديث ٤٦٦٧.

في البخاري: إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة وزيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث فنسخوا المصاحف...^(١).

ويظهر بوضوح إن هؤلاء استعانوا بالقرآن المجموع مثل قرآن حفصة ومنه نسخوا، ثم أحرقوا كافة النسخ بحجة اختلاف القراءة، ونسخوا بقية القرآن من هذا الأخير.

وفي المستدرک إن جماعة من علماء أهل السنة قالوا: إن عثمان ولأجل اختلاف القراءة جمع القرآن وأختار لغة قريش من بين لغات العرب؛ لأنها اللغة التي نزل بها القرآن، وعلى رأي جماعة إن القرآن نزل على ستة لغات لا يسهل المجال هنا لذكرها وتفصيلها.

وقد ذكر الكاتب (حارث المحاسبي) في كتابه «فهم السنن»: المشهور إن عثمان هو الذي جمع القرآن، والحال خلاف ذلك؛ لأن القرآن جُمع في عصر رسول الله ﷺ ولكن تجدد جمعه مرة أخرى في عهد أبي بكر وكثرت نسخه، وأما جمع عثمان فإنه كان لإجل اختلاف القراءات، ووحده على لغة قريش.

وعليه فكل من له ذوق فقهي يدرك أن هذه الأخبار لا تصلح دليلاً على القول بأن القرآن قد جُمع في عهد عثمان، بل القول بذلك خلاف الأخبار، لأننا قلنا إنه قد جُمع في عهد النبي ﷺ وبشكل مدوّن، وما حصل في عهد عثمان هو تكثير للنسخ، وانتخاب للغة، وكل ما يقال خلاف ذلك من قبل أهل السنة يُعد إهانة

(١) المصدر نفسه: ص ٨ رقم الحديث ٤٦٦٨.

كبيرة للثقل الأكبر، وخيانة فظيعة لأمانة النبي الأكرم ﷺ، بل إهانة وخيانة كبيرتين لشخص النبي ﷺ، وخطلاً من القول يساعد على تخريب الدين، ويفتح الطريق للملحدين والمخالفين للطعن على تواتر القرآن الكريم.

وهذا الأمر ليس مستبعداً من قبل هؤلاء - أهل السنة - الذين خانوا الثقل الأصغر، وأمانة الرسول ﷺ وتركوه وهجروه ألا وهو العترة الطاهرة، وآل النبي ﷺ، ومقام أمير المؤمنين علي عليه السلام فقد أنكروه وسلبوا منه حق الخلافة، وهذه نتيجة طبيعية لهم بعدما انحرفوا عن الصراط المستقيم، وهو عين ما وقع به النصارى - كما يزعمون - فأنهم تركوا وهجروا بطرس وتابعوا پولس اليهودي فأدّى ذلك إلى اختلافهم واختلاف الإنجيل وتزلزل الدين المسيحي.

فليست هذه أول قارورة كُسرت في الإسلام، بل منذ اليوم الأول الذي توفي فيه رسول الله ﷺ انحرف أكثر المسلمين، ولعب المنحرفون لعبتهم السياسية لتخريب أساس الدين.

ولذا فقد أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت - كما صرح علماء السنة كابن النديم، وأبي الفداء وكما ذكرنا رواية البخاري وغيرها - يستعين به لنسخ القرآن لكونه يعرف القراءة والكتابة فقط لا غير أي لم يكن زيد عالماً بحقائق القرآن ولا متفقهاً، بينما أجمع المسلمون على أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان أعلم الأمة بالقراءة والكتابة وأصول القرآن، وأسراره وغوامضه وتفسيره وتأويله... ومع ذلك أحجم عنه أبو بكر ولم يرسل خلفه!! رغم ما قاله النبي ﷺ في حقه (علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض^(١) وهكذا قوله ﷺ

(١) تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٤٤٥، وتاريخ الطبري ج ٢، ص ١٩٧. والصواعق المحرقة باب ١١ الفصل الأول ص ٢٣٠ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٣ م وتاريخ بغداد: ج ٤ ص ٣٢١

- الذي نقله المتعصب العنيد ابن حجر في صواعقه: إني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي ثم أخذ بيد علي ورفعها فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يرده علي الحوض فاسئلها ما خلفت فيهما^(١).

حيث نرى النبي الخاتم ﷺ وهو يفصح عن مقام أمير المؤمنين علي عليه السلام الشامخ، وأنه عدل القرآن، ورغم ذلك فلم يقدم أبوبكر - الذي صادر مقام خلافته ظلماً وعدواناً - على تجديد أو تعيين قراءة واحدة معينة، ولم يخالف ما كان متداولاً في عصر النبي ﷺ مع مقامه العظيم ووحدته مع القرآن.

والأعلم على الإطلاق فقد روى جمهور أهل السنة قول النبي ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن أراد العلم فليأت الباب^(٢).

ومن البديهي إن أهم علوم رسول الله ﷺ هو علمه بالقرآن الذي ورثه علي بن أبي طالب عليه السلام، فهل من الإنصاف أن يؤخذ هذا العلم من زيد بن ثابت ويترك علي بن أبي طالب عليه السلام ولا يؤخذ منه شيء، وهو باب علم النبي ﷺ، وعدل القرآن والعالم العارف بكل علوم القرآن الكريم؟

هذا أمر غريب للغاية لا يرتضيه عاقل منصف، كيف وكان علي عليه السلام أبرز

= ومجمع الزوائد: ج ٧ ص ٢٣٦ والإمامة والسياسة: ج ٦٨ والمستدرک للحاكم: ج ٣ ص ١٢٤ وتفسير مفاتيح الغيب: ج ١ والجامع الصغير لابن حجر: ج ٢ ص ٧٤ - ٧٥ - ١٤٠، ونبايع المودة باب ٢٠ نقلاً عن جمع الفوائد والأوسط الصغير للطبراني، وربيع الأبرار عن أم سلمة، وابن عباس وأيضاً في الباب ٦٥ ص ١٨٥ طبع اسلامبول عن الجامع الصغير للسيوطي وتاريخ الخلفاء: ص ١١٦ وفيض القدير: ج ٤ ص ٣٥٨ والمناقب السبعين: ج ٤٤ ص ٢٣٧ عن الفردوس.

(١) الصواعق المحرقة: باب ١١ الفصل الأول: ص ٢٣٠ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٣ م.

(٢) لمعرفة عظمة هذا الحديث راجع كتاب ليالي بيشاور: ص ٦٠٦ وهو مناظراتي مع علماء أهل السنة في مدينة بيشاور الباكستانية / المؤلف ط، بيروت مؤسسة الأعلمي، حيث ذكر المصنف رحمه الله خمسين عالماً من كبارهم يعترف بحديث مدينة العلم.

كُتَاب الوحي، بل الكاتب الأصلي للقرآن الذي انطوى على علوم وحقائق وتفسير وتأويل وسنشير إلى جميع ذلك لاحقاً.

فقد اعترف علماء أهل السنة - فضلاً عن جمهور الشيعة - في كتبهم المعتمدة إنَّ عليّاً عليه السلام كان محيطاً بجميع تنزيل وتأويل وتفسير القرآن الكريم، فيا للعجب مع كل هذا الرصيد الهائل من العلم نراهم يأخذون مصحف حفصة بنت عمر ليطابقونه مع المصحف ويتركون قرآن علي عليه السلام؟! وهكذا يذهب عثمان بن عفان إلى دار عبدالله بن مسعود يستعير منه مصحفه ولا يأتي إلى دار علي عليه السلام؟! لماذا هذا الإجحاف بحق أمير المؤمنين عليه السلام؟ ولماذا هذا الإعراض عن أعلم الناس؟ أرجو من كل منصف وحيادي أن يقضي في هذا الموضوع وأما أنا فيمكنني أن أجيب عن هذا السؤال المهم فأقول:

كان سبب إعراضهم عن قرآن علي عليه السلام؛ لأنَّه قد كُتِبَ عليه السلام تأويل كل آية في هامش هذا المصحف ممّا يعني أنَّه قد حوى تاريخاً حقيقياً، وكشف عن حقائق مهمة تحمل في طياتها فضائح القوم، لهذه الجهة ولغيرها أعرضوا عنه، لأنَّه يشير ضمن هذه التأويلات النبوية المدرجة في هامشه إلى أمور لا تتفق والمنهج الأموي والعثماني، بل تغلق الطريق أمامهم ولا تسمح لهم بإستلام زمام الأمور، لهذا أعرضوا عن هذا المصحف العظيم وتمسكوا بغيره ظلماً لعلي وآله عليه السلام ولكنَّ المهم في البين أنَّ أصل القرآن الكريم ظلَّ محفوظاً من أي تحريف.

المقالة الخامسة والخمسون

الإمام علي عليه السلام أعلم الأمة وباب علم النبي صلى الله عليه وآله، وأنه جمع القرآن بأمر النبي صلى الله عليه وآله

ومن جملة الفتن والأفكار المنحرفة التي أثارها بعض المفرضين بين المسلمين هو قولهم: إن القرآن الخاص الذي جمعه ودوّنه الإمام علي عليه السلام يختلف مع هذا القرآن المتداول بين المسلمين اليوم فإنه - أي القرآن المتداول - محرّف وناقص وقد سقطت منه آياتٌ وسور!! وقد تمسكوا ببعض الأخبار الضعيفة والأحاد وأوجدوا منها هذه الشبهة.

والحقيقة غير ذلك تماماً، صحيح أن علياً عليه السلام كان من أبرز كتّاب الوحي الذي يمتاز عليهم بكثير من الجهات منها: أنه الوحيد في الوجود كلّ باب علم النبي صلى الله عليه وآله، فهو الوحيد العارف الكامل بحقائق القرآن ظواهره وبواطنه، ناسخه ومنسوخه، مجمله ومفصله، محكمه ومتشابهه، ولكن هذا لا يعني أن القرآن الذي دوّنه أمير المؤمنين علي عليه السلام يختلف في سورة وآياته عن بقية المصاحف، بل لا يزيد ولا ينقص في آياته وسوره عن تلك المصاحف، نعم لقد دوّن علي عليه السلام في هامش كلّ آية معناها وتأويلها، وسبب نزولها وما إلى ذلك مما كان قد علمه من النبي صلى الله عليه وآله، فكان مصحفه عليه السلام يمتاز بالهوامش النبوية التي تحمل معها حقائق الأحداث والرجال، وتاريخ القرآن وأسباب نزوله وو... وهذا من خصائص الإمام الذي قال مراراً: سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة لا تسألوني عن آية من كتاب الله إلا حدّثكم عنها متى نزلت بليل أو نهار في مقام

أو مسير في سهل أم في جبل وفي مَنْ نزلت في مؤمن أو منافق وما عنى الله بها عام أم خاص^(١).

وروى أحمد بن حنبل في مسنده، والشيخ سليمان القندوزي في ينابيعه عن ابن عباس قال: قال علي عليه السلام وهو على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني سلوني عن كتاب الله وما من آية إلا وأنا أعلم حيث أنزلت بحضيض جبل أو سهل أرض، وسلوني عن الفتن فما من فتنة إلا وقد علمت مَنْ كسبها وَمَنْ يُقتل فيها^(٢).

وهكذا روى السيوطي في تاريخه، وفي الاتقان أيضاً، وأبو عمر في الجامع، وابن حجر في التهذيب، وفتح الباري، والطبري في الرياض النضرة وبدرالدين في العمدة كلهم رووا مسنداً، عن علي عليه السلام إنه قال وهو على المنبر: سلوني والله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل^(٣).

وهكذا روى ابن سعد الكاتب في طبقاته، والكنجي في كفايته، والحافظ أبو نعيم في الحلية مسنداً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيمَنْ نزلت وأين نزلت وعلى مَنْ نزلت أن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طلقاً^(٤).

(١) مطالب السؤول ج ١، ص ١٢٥، ط مؤسسة أم القرى.

(٢) ينابيع المودة: ص ٧٤ باب ١٤.

(٣) تاريخ الخلفاء: ص ١٢٤ والاتقان: ج ٢ ص ٣١٩، وجامع بيان العلم: ج ١ ص ١١٤ وتهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٣٣٨، والرياض النضرة: ج ٢ ص ١٩٨ وعمدة القارئ: ج ٩ ص ١٦٧.

(٤) كفاية الطالب للكنجي الشافعي باب ٥٢ ص ٢٠٧، وحلية الأولياء لأبي نعيم الإصفهاني: ج ١

ومن قبيل هذه الأخبار ذُكرت في كتب الفريقين كثيرة جداً رويت عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أفصح عن قدرته العلمية الهائلة من على منبره، وأجاب على الكثير من الأسئلة الصعبة مما لا تسعه هذه السطور، فضلاً عن أن محور كلامنا حول القرآن لا عن إثبات الإمامة أو علم الإمام عليه السلام.

والخلاصة يُعد علي عليه السلام باب علم الرسول صلى الله عليه وآله باتفاق الفريقين (السنة والشيعة) حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أمام الناس مرراً: أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن أراد العلم فليأت الباب»^(١).

وهذا الحديث في غاية الاعتبار والقوة فضلاً عن تواتره عند الشيعة، أيضاً رواه علماء وأكابر أهل السنة في موسوعاتهم الحديثية مثل جلال الدين السيوطي في جمع الجوامع، ومحمد بن جرير الطبري في تهذيب الآثار، والحاكم النيسابوري في المستدرک، وجمال الدين الهندي في تذكرة الموضوعات، وأمير محمد اليماني في الروضة الندية، ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول، وسيد محمد البخاري في تذكرة الأبرار، والفيروزآبادي في نقد الصحيح، ومحمد بن يوسف الكنجي الشافعي في كفاية الطالب، والمتقي الهندي في كنز العمال^(٢).

= ص ٦٨.

(١) أسنى المطالب في مناقب سيّدنا علي بن أبي طالب ص ٧٠، ط إيران إصفهان، للحافظ شمس الدين محمد الجزري الشافعي المتوفى (٨٣٣ هـ).

(٢) هذا وقد روي هذا الحديث بطرق مختلفة وأسانيد متفاوتة عن كثير من الصحابة والتابعين من قبيل مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام والامام الحسن عليه السلام سبط الرسول الأكبر، وحبر الأمة عبدالله بن عباس، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وعبد بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعبدالله بن عمر، وأنس بن مالك، وعمرو بن العاص وهؤلاء كلهم يعدون من الصحابة.

= وروي عن الإمام زين العابدين بن الحسين عليه السلام، والأصبغ بن نباتة، وجريير الضبي، والحارث بن عبدالله الهمداني الكوفي، وسعيد بن ظرف الحنظلي الكوفي، وسعيد بن جبير الأسدي الكوفي وسلمة بن كميل الخضرمي الكوفي، وسليمان بن مهران الأعمش الكوفي، وعاصم بن حمزة السلولي الكوفي، وعبدالله بن عثمان بن خيثم القاري، وعبدالرحمن بن عثمان، وعبدالله بن عسيلة المرادي، وأبو عبدالله الضابحي، ومجاهد بن جبير أبو الحجاج المخزومي المكي وهؤلاء كلهم من التابعين.

ورواه كبار محدثي ومؤرخي أهل السنة أمثال:

الحاكم النيشابوري في المستدرک ج ٣ ص ١٢٦ و ص ١٢٨ و ص ٢٢٦ الطبعة القديمة

وأبو عيسى محمد الترمذي في صحيحه

والسيوطي في الجامع الصغير ج ١، ص ٣٧٤.

وأبو نعيم الأصفهاني في معرفة الصحابة.

والقرطبي في الاستيعاب ج ٢، ص ٤٦١.

والهيتمي في مجمع الزوائد ج ٩، ص ١١٤.

والخطيب الخوارزمي في المناقب ص ٤٩ الجزء الأول من مقتل الحسين عليه السلام ص ٤٣.

وابن عساكر

وأبو الحسن الجزري في اسد الغابة ج ٤، ص ٢٢ والشافعي في مطالب السؤل ج ١، ص ١٠٩.

ومحب الدين الطبري الشافعي في أول الرياض النضرة ج ١، ص ١٢٩، وذخائر العقبى ص ٧٧.

وبدر الدين الزركشي المصري في فيض القدير ج ٣، ص ٢٨.

وبدر الدين محمود الحنفي في عمدة القاري ج ٧، ص ٦٣١.

وشهاب الدين دولت آبادي في هداية السعداء.

ونور الدين بن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ص ٣٦، ط بيروت الأعلمي، ط ١٩٨٨ م.

وأحمد بن حنبل في المناقب.

والعلامة السهودي في جواهر العقدين ج ١، ص ١٩٤، باب ٣٠.

ومحمد بن علي الصبان في اسعاف الراغبين ص ١٦٥.

وغيرهم ممن حكم بصحة هذا الحديث.

ومن حديث مدينة العلم نخرج بنتيجتين هما:

١- دخول (ال) الجنس على العلم يفيد العموم أي كل أنواع وأقسام وصنوف العلم وأهمها علم القرآن العظيم كلها موجودة في مدينة العلم وهو النبي العظيم صلى الله عليه وآله.

٢- جميع هذه العلوم لها باب واحد وهو الامام علي عليه السلام.

فيعد الإمام علي عليه السلام أعلم الصحابة كلهم بالقرآن؛ لأن أهم أنواع العلم هو العلم بالقرآن الذي علّمه النبي صلى الله عليه وآله له عليه السلام وجمعه كما نقل العلامة المجلسي رحمه الله في بحاره، عن تفسير علي بن إبراهيم القمي عن البحر الناطق وكاشف أسرار الحقائق جعفر بن محمد الصادق نقلاً عن آبائه، عن جدّه صلى الله عليه وآله أنه قال لأمر المؤمنين: «يا علي القرآن خلف فراشي في المصحف والحريز والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه كما ضيعت اليهود التوراة، فانطلق علي عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر وختم عليه في بيته»^(١).

فيتضح من هذا الخبر ومن غيره من الأحاديث المعتبرة التي نقلها المفسرون والعلماء المحققون إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد جمع القرآن الكريم بأمر النبي صلى الله عليه وآله بلا زيادة ونقص و قد صادق عليه النبي العظيم صلى الله عليه وآله.

= والقاضي محمد بن علي الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة.

والشيخ سليمان الحنفي في ينابيع المودة باب ١٤، ص ٧٥، ط قم.

وسبط بن الجوزي في تذكرة الخواص ص ٥١، ط قم.

والكنجي الشافعي في كفاية الطالب الباب ٥٨، ص ٢٢٠، ط إيران.

(١) البحار: ج ١٩ باب ٧.

يبقى الكلام في إثبات وحدة القرآن في عهد النبي ﷺ، والقرآن المتداول في عصرنا وعدم الفرق بينهما وأنه قرآن واحد وهذا ما سنتناوله في البحوث القادمة إن شاء الله تعالى.

المقالة السادسة والخمسون

الفرق بين القرآن الذي جمعه الإمام علي عليه السلام وسائر القرائين

يتضح من جملة الأخبار الصحيحة وكلمات العلماء والمفسرين إنه لا فرق بين القرآن الذي جمعه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في عصر النبي ﷺ وبأمره، وبين بقية المصاحف التي كانت موجودة في عهده، بل وحتى في زماننا هذا من حيث الآيات والسور.

نعم هناك امتياز واحد لهذا القرآن وهو أنه قد كُتِبَ في ذيل كل آية منه شأن نزولها وعلى من نزلت؟ ولماذا؟ وأين؟ والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والخاص والعام، والتأويل وأسماء الذين نزلت فيهم الآيات وما إلى ذلك من علوم وشؤون مرتبطة بالقرآن والقراءة.

فأنه بلحاظ الآيات أو السور لا يوجد أي فرق ولا زيادة ولا نقصان بين قرآن علي عليه السلام والقرآن الذي بين أيدينا إلا من هذه الجهات التي ذكرناها، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على علم الإمام علي عليه السلام بشؤون القرآن الكريم كما ذكر أبو بكر محمد بن سيرين، المتوفى عام ١١٠ هـ «بلغني أنه كتبه على تنزيله ولو أجيب إلى ذلك الكتاب لوجدوا فيه علماً كثيراً».

وإلى هذا المعنى ما نقله العلامة المرحوم الطبرسي في الإحتجاج، والعلامة المجلسي رحمه الله في البحار في إحتجاج أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام على الأنصار والمهاجرين في زمان عثمان بن عفان حيث قال له طلحة ما مضمونه: إنك قلت بعد جمعك للقرآن هذا كتاب الله عندي مجموعها لم يسقط حتى حرف واحد، وحينما جمع عثمان المصاحف وأحرق مصحف أبي بن كعب وعبدالله بن مسعود

لم تخرج ذلك المصحف؟ فقال له: يا طلحة إنَّ كلَّ آية أنزلها الله جلا وعلا على محمدٍ عندي بإملاء رسول الله ﷺ، وخط يدي، وتأويل كلَّ آية أنزلها الله على محمدٍ وكلُّ حرام وحلال أوحِدَ أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة مكتوب بإملاء رسول الله وخط يدي حتَّى أرش الخدش، فقال طلحة: كلُّ شيء من صغير وكبير أو خاص أو عام أو يكون إلى يوم القيامة فهو عندك مكتوب؟ قال ﷺ: نعم وسوى ذلك إنَّ رسول الله ﷺ أسرَّ إليَّ في مرضه مفتاح ألف باب من العلم يفتح كلَّ باب ألف باب، ثم قال: لو إنَّ الأمة أطاعتنا لأكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أقدامهم، ثم قال طلحة: فأخبرني عمّا في يدك من القرآن وتأويله وعلم الحلال والحرام إلى مَنْ تدفعه ومَنْ صاحبه بعدك؟ فقال ﷺ: إنَّ الذي أمرني رسول الله أن أدعه إليه وصيي وأولى الناس بعدي بالناس ابني الحسن، ثم يدفعه ابني الحسن ابني الحسين ثم يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين حتَّى يرد آخرهم على رسول الله حوضه، هم مع القرآن لا يفارقونه والقرآن معهم لا يفارقهم^(١).

فمن هذه النصوص نعرف إنَّ القرآن المتداول هو نفسه الذي نزل على رسول الله ﷺ ولا يوجد أي فرق بينه وبين قرآن علي بلحاظ الزيادة أو النقص، بل غاية ما في الأمر أن قرآن علي فيه هوامش تأويلية فالعقل السليم لا يرتضي أن يقبض الله تعالى نبيه ﷺ والقرآن غير مجموع ومتفرّق مع أنّه من أعظم الأمور التي ترتبط بالحياة الدنيا والآخرة، كيف وقد أوصى ﷺ المسلمين بحفظه وجمعه وصيانتها، وما أجهل أولئك الذين زعموا - باطلاً - إنَّ النبي ﷺ مات والقرآن لم يجمع بعد، وأنّه لم يكن مدوّناً في عصره الشريف بل سعى إلى جمعه

(١) الاحتجاج للطبرسي، ج ١، ص ٢٢٣ البحار: ج ١٩ باب ٧.

وحفظه مجموعة من المسلمين!!

فمثل هذه المزاعم الباطلة لا رصيد لها من الصحة، بل نحكم بالبداهة على بطلانها وفسادها، وقد تصدّى العلماء والمحققون والمفسرون وبالخصوص علماء الشيعة الإمامية إلى نسف هذه المزاعم والأباطيل، فعقيدة المسلمين الصحيحة هي إنَّ القرآن قد جُمِعَ في عصر النبي ﷺ وكان متداولاً بين المسلمين في ذلك العصر ولم تتعرض ولا آية من آياته إلى التحريف، أو الزيادة أو النقصان كما ذكرنا سابقاً، وكل من قال خلاف ذلك فهو قول باطل ومردود، وهدفهم إهانة القرآن كما أهانوا من قبل أهل بيت النبي ﷺ، أو أنهم اعتمدوا على أخبار ضعيفة وموضوعة وقالوا بتحريف القرآن وقد فات عليهم أنَّ هذه العقيدة الفاسدة تؤدي إلى تحطيم الدين.

أو إنَّ بعضهم اندفع بهذه المقالة بدوافع سياسية خبيثة كان هدفه إيجاد الفرق بين المسلمين.

المقالة السابعة والخمسون

ردُّ أحاديث تحريف القرآن الكريم الموضوعه

قلنا سابقاً إنّ فرق القرآن الكريم عن بقية الكتب السماوية كالإنجيل والتوراة هو أنّه ظلَّ محفوظاً من أي تحريف بخلاف التوراة والإنجيل اللذين طالتهما الأيادي الخبيثة وحرفتهما بدوافع متعددة، وقد سهّل عملية تحريفهما أمران وهما:

١- إنّ ألفاظهما لم تكن هي نفس الألفاظ النازلة من الحق تعالى على موسى وعيسى عليه السلام، بل كانا عليه السلام يتلقّان الأوامر الإلهية ثم يصيغان هذه المعاني الربانية بكلمات قريبة من الفهم العام مما سهّل عملية تغيير بعض هذه الكلمات فيما بعد.

٢- وجود فترات طويلة انقطع فيها التواتر - كما أشرنا - وظل بنو إسرائيل من غير كتاب بدليل أنّ لوقا ومرقس ويوحنا وغيرهم حينما كتبوا التوراة والإنجيل وقدّموها إلى بني إسرائيل وزعموا لهم أنّ هذه هي التوراة لم تكن بيد القوم نسخة الأصل ليطابقوها مع ما جاء به هؤلاء الكتّاب، بل أخذوا منهم مدوّناتهم على أساس أنّها الإنجيل وأنّها التوراة رغم جهالتهم بحال هؤلاء الكتّاب!

وهذا بخلاف القرآن لانعدام هذين الأمرين، فقد كانت الألفاظ المدوّنة هي نفس الكلمات النازلة من الله تعالى، وظلّ تواتر القرآن مستمراً حتّى عصرنا الحاضر، بل كان مدوّناً ومحفوظاً عند مئات الآلاف من المسلمين فضلاً عن كتّاب الوحي فلم تتوفر الدواعي والفرص لتحريف القرآن، فلما يأس أصحاب

الأغراض الخبيثة والأهداف الزائفة من التعرض لآيات القرآن الكريم اتجهوا إلى طريقة ملتوية لإيجاد التشويش، وزعزعة المسلمين فقد وضعوا أحاديث عديدة كلها باطلة ومكذوبة وموضوعة في موضوع تحريف القرآن لاسيما إذا لاحظنا أمرين:

الأول: إنَّ وضع الحديث كان موجوداً حتّى في عصر النبي ﷺ كما ذكر ذلك المحدثون العظام.

الثاني: وجود دواعي وضع الحديث الذي أختلقه المنافقون الذين دخلوا الإسلام خوفاً وقد عجزوا عن محاربته فقاموا بمحاربة الإسلام عن هذا الطريق الملتوي، كما صنع بولس اليهودي وقد ذكرنا قصته كاملة، فكان على غرار بولس كل من كعب الأحبار، ووهب بن منبّه الضعائي وعبدالله بن سلام اليهودي (المجهول الحال) الذين دخلوا الإسلام لهذا الغرض الخبيث فوضعوا أحاديث باطلة نسبوها إلى رسول الله ﷺ زوراً وباطلاً تشير إلى أن القرآن الكريم فيه زيادات أو أنه سقطت منه آيات عديدة كل ذلك للقدح في عظمة وقداسة القرآن

[مَنْ هُم الكذابون] (١)

وأبو هريرة من بين هؤلاء الكذابين الذي صنّفه علماء الشيعة والمحققون من علماء السنّة مع الكذابين الذين وضعوا الحديث، وقد رويت عنه آلاف الأحاديث مع أنّه لم يصاحب النبي ﷺ إلا ثلاث سنين فقط!! وقد وصل به الأمر أن عمر بن الخطاب قد جلده مرّتين مرّة في زمن النبي ﷺ، وأخرى في خلافته، وقد ذكر مسلم بن الحجاج في صحيحه إنَّ عمر بن الخطاب ضرب أبا هريرة في زمان

(١) عنوان جانبي من المترجم وذلك لأهمية الموضوع.

رسول الله ﷺ، وما زال يضربه حتى سقط على الأرض.

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي: قال أبو جعفر الأسكافي: وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضي الرواية ضربه عمر بالدرّة، وقال قد أكثرت من الرواية احربك أن تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(١).
وذكر ابن سعد في طبقاته، وابن حجر العسقلاني في الإصابة، وابن عبد ربّه في العقد الفريد بعد ذكر خبر البحرين إنّ عمر^(٢).

كنز العمال وابن عساكر

وأيضاً ذكر ابن عساكر في تاريخه الكبير، والمتقي الهندي في كنز العمال: إنّ عمر بن الخطاب ضرب أبا هريرة.

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي عن إستاذه أبي جعفر الأسكافي قول أمير المؤمنين عليه السلام: أكذب الناس أوقال أكذب الأحياء على رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي^(٣).

وقال أبو حنيفة -الذي يعد من الأركان الأربعة عند أهل السنة- كل صحابة رسول الله عدول إلّا بعضهم ومنهم أبو هريرة وأنس بن مالك^(٤).

وخلاصة الكلام أنّ أمثال هؤلاء الكذابين حاولوا الطعن على القرآن الكريم من خلال وضع الحديث وحكايته عن رسول الله ﷺ كذباً وزوراً.
نعم وتوجد طائفة أخرى من الكذابين وهم الغلاة الذين وضعوا الحديث

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٣٦٠ ط مصر، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢، ص ٤٣٣.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٤ القسم ٢، ص ٥٩.

(٣) شرح النهج: ج ١ ص ٣٦٠ ط مصر.

(٤) شرح النهج: ج ١ ص ٣٦٠ ط مصر.

ونسبوه إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وتصوروا أنهم يساهمون في رفع علي عليه السلام!! فوضعوا أحاديث مفادها أن المخالفين للإمام علي عليه السلام تلاعبوا بهذا القرآن وأفسدوه، وأن القرآن الحقيقي والأصلي موجود عند الإمام علي عليه السلام ومن ثم انتقل إلى الأئمة الطاهرين فقط وحرم منه بقية المسلمين إلى أن يظهر الإمام المهدي عجل الله فرجه!! وعلى غرارهم الأخباريين الذين تمسكوا بأخبار آحاد لا توجب علماً ولا حجة، وطائفة أخرى تمسكوا بما روي صحيحاً أن لأمر المؤمنين علي قرآناً خاصاً فتصوروا أن هذا القرآن يختلف عن قرآن علي عليه السلام، وقد بينا الحقيقة قبل قليل فلا يعتنى بما ذكروا، وأشرنا إلى الامتياز الموجود في القرآن الذي جمعه الإمام علي عليه السلام، وأنه نفس هذا القرآن.

المقالة الثامنة والخمسون

القائلون بتحريف القرآن فرقتان ورد أقوالهم

إنَّ القائلين بتحريف القرآن الكريم فرقتان هما الأخباريون من الشيعة والحشوية من أهل السنة، ولهما رأيان فبعضهم قال: بوجود الزيادة والنقصان في القرآن على غرار ما حصل في التوراة والإنجيل بدليل الحديث المشهور: لتركبن سنن مَنْ كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتَّى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.

فمن خلال هذا الحديث الشريف استدلوا على وجود الزيادات والنقص في القرآن كما حصل ذلك في أُمَّة موسى وعيسى عليه السلام، وجواب هؤلاء البسطاء قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٢) فإذا عجز البشر عن الإتيان بآية واحدة كيف إذن يمكن التصديق بوجود زيادات في القرآن!! التي تتطلب قدرة فائقة على غرار قدرة الله تعالى وقد ثبت استحالة هذه القضية.

وأما الفرقة الثانية فإنهم قالوا بنقص القرآن فقط، فإنَّ الآيات التي كانت فيها رائحة الفضائل والمناقب لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله قد حُذفت ورُفعت، وهكذا هم يعتقدون أنَّ بعض الآيات كان فيها أسماء الائمة عليهم السلام، وأسماء المنافقين قد تمَّ

(١) الحجر / ٩.

(٢) الإسراء / ٨٨.

حذفها، وأما آيات الأحكام والقصص والقوانين فأنها لم تتعرض إلى أي محاولة تزوير أو حذف.

وجواب هؤلاء قول أمير المؤمنين علي عليه السلام الأنف الذكر فإنه قال لطلحة: إن أخذتم بما فيه نجوت من النار ودخلتم الجنة فإن فيه حجتنا وبيان حقنا وفرض طاعتنا.

فموضوع الفضائل والمناقب باقٍ على حاله يمكن للعاقل والمتدبر أن يدركها جيداً كما أشار الامام علي عليه السلام.

وأما موضوع الأسماء وبعض الحقائق الأخرى فإن الأمر ليس كذلك والحق هو ما ذكرناه سابقاً من أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يكتب في ذيل كل آية ما يتصل بها من علوم وحقائق وشؤون، فكتب تحت بعض الآيات أسماء من نزلت عليهم أو فيهم كما أخبره رسول الله ﷺ علماً أن هذه التدوينات ليست من صميم الآيات بل هي بمثابة التفسير لها، إلا أن هؤلاء اعتقدوا زاعمين أن هذه التفسيرات النبوية آيات قرآنية أو أجزاء من الآيات.

وقد أورد العالم الرباني الملا محسن الفيض الكاشاني في المقدمة السادسة من تفسيره الصافي بعدما نقل أدلة القائلين بتحريف القرآن

«أقول ويرد على هذا كله إشكال... ثم قال في جوابهم: ولا يبعد أيضاً أن يقال إن بعض المحذوفات كان من قبيل التفسير والبيان ولم يكن من أجزاء القرآن فيكون التبديل من حيث المعنى أي حرّفوه وغيّروه في تفسيره وتأويله أعني حملوه على خلاف ما هو به فمعنى قولهم كذا نزلت أن المراد به ذلك لا أنها نزلت مع هذه الزيادة في لفظها فحذف منها ذلك اللفظ، ومما يدلّ على هذا ما رواه في الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنه كتب في رسالته إلى سعد الخير: وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حرّوفه وحرّفوا حدوده فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال

يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية .. الخ، ومارواه العامة أنّ علياً كتب في مصحفه النسخ والمنسوخ ومعلوم أنّ الحكم بالنسخ لا يكون إلا من قبيل التفسير والبيان ولا يكون جزء من القرآن فيحتمل أن يكون بعض المحذوفات أيضاً كذلك^(١).

فهذه عقيدة المسلمين شيعة وسنة على أنّ القرآن المنزل على رسول الله ﷺ هو نفس القرآن المتداول في هذه العصور بلا أدنى تحريف حتّى في آية من آياته وسوف نفصل الكلام في هذا الموضوع لاحقاً إن شاء الله.

(١) تفسير الصافي للفيض الكاشاني المتوفى ١٠٩١: ج ١ ص ٤٠، المقدمة السادسة، ط بيروت الأعلمي.

المقالة التاسعة والخمسون

لماذا الخلفاء الثلاثة غيروا أحكام القرآن؟

ولعل من أوضح الأدلة على صيانة القرآن من التحريف هي الأعمال التي قام بها بعض المسلمين بعد رحيل النبي ﷺ فقد غيّر الخلفاء الثلاثة بعض الأحكام الشرعية لأسباب سياسية أو غيرها من الدواعي التي دفعتهم إلى ممارسة هذا العمل الشنيع، ولكنهم مع ما قاموا به من تحريف في الأحكام إلا أنهم عجزوا عن تغيير آيات هذه الأحكام في القرآن هي كالتالي:

١- موضوع الخمس: فقد جاء صريحاً في القرآن في سورة الأنفال ﴿واعلموا إنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾^(١).

فالخمس من الغنائم التي كانت في زمن رسول الله ﷺ وقد قسمته الآية الكريمة الى ستة أقسام: قسمان لله وللرسول ﷺ، وسهم لآل بيت النبي ﷺ، وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وأبناء السبيل من بني هاشم.

وقد جرى هذا الحكم أيام رسول الله ﷺ وتم تنفيذه في عصره المبارك إلا أن الخليفة الأول غيّر هذا التشريع الإلهي وأسقط هذه أقسام الخمس كما صرح بذلك أعظم علماء أهل السنة كالزمخشري في تفسيره الكشاف، والسيوطي في الدر المنثور، والطبري في تفسيره الكبير، والثعلبي في تفسيره الكشف والبيان وملا علي القوشجي في شرح التجريد والنسائي، في كتاب الفيه، والشافعي في

كتاب الأم، والبخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه وغيرهم.

وقد جرى أهل السنة إلى يومنا على هذا الإنحراف فهم يمنعون حق أهل البيت عليهم السلام من الخمس إلا أنهم لم يقدروا على تغيير أو رفع آية الخمس من القرآن ولذا ترى حجتهم في هذا الموضوع باطلة وضعيفة.

٢- موضوع الزكاة: المصرح به في نصّ سورة التوبة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١) فأحد أقسام الزكاة الثمانية يُعطى للكفار الذين دخلوا الإسلام نفاقاً أو خوفاً وبالتالي فهم لا يعيشون القناعة والعقيدة، بل الشك يرافقهم وبغض الإسلام يخالجهم، فلذا أمر الله تعالى نبيّه الكريم بإعطاء سهم إلى (المؤلفة قلوبهم) وهم أولئك القشريون في إسلامهم وإيمانهم، وقد مارسه النبي ﷺ فعلاً في محاولة لكسب ودّهم للدين، إلا أنّ الخليفة الأول أسقط هذا الحكم الإلهي كما ذكره الفقهاء الكبار من أهل السنة مثل صاحب كتاب الجوهرة النيرة على مختصر القدوري وهو كتاب في الفقه الحنفي ومعروف عند أهل السنة ذكر في الصفحة (١٦٤) من الجزء الأول: إنّ جماعة من الكفار جاءوا إلى أبي بكر وقد كان رسول الله ﷺ يعطيهم سهم المؤلفة قلوبهم فكتب إليهم بذلك على ورقة وأمرهم بدفعها إلى عمر بن الخطاب فلما أخذوها إليه نظر فيها ثم مزّقها فرجعوا إلى أبي بكر وقالوا له: أنت الخليفة أم عمر؟ فقال لهم: لعل عمر رأى مصلحة في ذلك!!

ومنذ ذلك اليوم أسقط هذا السهم وحتى يومنا الحاضر إلا أنّ الخلفاء ومن سار على نهجهم لم يستطيعوا إسقاط تلك الآية ولا أنّهم جاءوا بآية بدلاً عنها.

٣- منع فذك: وهي من الوقائع العجيبة، والمظالم الفظيعة التي حدثت بعد رسول الله ﷺ فقد منعوا حق الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء بنت النبي الكريم ﷺ، وأمّ الأئمة النجباء وتبدأ القصة أن رسول الله ﷺ بعدما رجع من معركة خيبر صالحه أهل قرية فذك وهم من اليهود على نصف أرضهم على أن لا يقاتلهم ولا يخرجهم من أرضهم، فكانت فذك خالصة لرسول الله ﷺ؛ لأنها مما لم يوجف عليها بخيل وحينها نزل قوله تعالى على النبي ﷺ: ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(١) فلما عاد ﷺ إلى المدينة وهب فذك إلى ابنته وحبيبته المظلومة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، فكانت ملكاً خالصاً لها وقد ذكر ذلك أكابر علماء السنة - فضلاً عن إجماع الشيعة الإمامية - أمثال الثعلبي في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور عن الحافظ ابن مردويه، وأحمد بن موسى المفسر المعروف المتوفى عام ٣٥٢ هـ عن أبي سعيد الخدري، والحلي الشافعي في السيرة الحلبية، والحموي في معجم البلدان، وابن حجر في الصواعق المحرقة، والحسكاني، وابن كثير الدمشقي في تاريخه، والشيخ سليمان الحنفي في ينابيع المودة عن تفسير الثعلبي، وجمع الفوائد وعيون الأخبار، والحافظ ابن مردويه، والواقدي، والحاكم في تفسيره وتاريخه، والمتقي الهندي في كنز العمال وفي حاشية مختصره على مسند أحمد بن حنبل في مسألة صلة الرحم من كتاب الأخلاق، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة عن أبي بكر الجوهري وغيرهم بطرق مختلفة وعبارات متفاوتة في كتبهم المعتمدة ومن جملة كلماتهم هذه: «لما نزلت وآت ذا القربى حقه دعا النبي ﷺ فاطمة فأعطاه فذك الكبير»^(٢).

(١) الاسراء / ٢٦.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ج ٤، ص ١٧٧، ط مصر، وتفسير الطبري ج ٥، ص ٧٢، ط مصر.

ولكن بعد رحلة النبي ﷺ وانتقاله إلى الدار الآخرة قام الخليفة الأول والثاني بالإستيلاء على هذه الأرض الزراعية - فدك - وغصبها من السيدة الزهراء ع عليها السلام بلا أي دليل شرعي فطردوا عمّالها وتصرفوا في وارداتها، فراجعتهم السيدة فاطمة الزهراء ع عليها السلام في ذلك - بعدما ضربوا لها ستاراً في المسجد - يحجبها عن الرجال - وألقت خطبتها الصاعقة وأوضحت الأمر لهم أنّ فدك حقّها ونحلة رسول الله ﷺ لها^(١) وفي مقابل هذه الحقيقة تذرّع الخليفة بمزاعم باطلة وأدلة تافهة وقال لها: إنّ فدك ليست نحلة رسول الله ﷺ لك، فقامت فاطمة ع عليها السلام وقالت له: إنّها حقي من الإرث على أقل تقدير طبقاً لأحكام القرآن الكريم إلا أنّ الخليفة لم يذعن للحق فخالف نص القرآن الكريم، بل خالف سنن المرسلين والأنبياء وسار على نهجه أهل السنة، فقال لفاطمة ع عليها السلام: إنّني سمعت من رسول الله حديثاً قال فيه: نحن معاشر الأنبياء لانورث ماتركناه صدقة!!!^(٢)

وبهذه المهزلة غصبوا حق الزهراء ع عليها السلام مخالفين نصوص القرآن: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَى﴾^(٣) ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٤) ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^(٥) ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^(٦).

(١) كتاب السقيفة لأبي بكر أحمد الجوهري ص ١٣٧، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٦، ص ٢١١.

المؤلف

(٢) راجع كتاب النص والاجتهاد، ص ٥٥، المورد السابع.

(٣) النساء / ١١.

(٤) الأنفال / ٧٥.

(٥) مريم / ٥.

(٦) النمل / ١٦.

وقد كانت طريقة غصب فذك بعيدة كل البعد عن الإسلام ممّا دعى العلماء والمحققين للطعن في الحديث الذي وضعه الخليفة ونسبه - زوراً - إلى رسول الله ﷺ^(١). ومع كل هذا وذاك لم يستطع أحد ان يرفع أدلة الارث من القرآن الكريم.

٤- موضوع متعتي الحج والنساء: فقد أجمع المسلمون كافة على وجود هذين الحكمين من أيام رسول الله ﷺ وحتى أواسط خلافة الخليفة الثاني، وقد عمل بهذين الحكمين في عهد النبي ﷺ وما بعده إلى أن تورّط عمر بن الخطاب يوماً وأعلن حرمتها - ولا يعلم السبب وراء هذا التصرف - فقام على المنبر وقال: متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أحرهما - أو - أنهى عنهما وأعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء.

وقد ذكر تحريم عمر للمتعتين أكابر علماء السنة - فضلاً عن الشيعة - مثل البخاري في صحيحه، وأحمد بن حنبل في المسند، ومسلم في صحيحه باب المتعة بالحج والعمرة وباب نكاح المتعة، والحميدي في الجمع بين الصحيحين، وجار الله الزمخشري في تفسير الكشاف، والطبري في تفسيره، والرازي في تفسيره الكبير، والنووي في أول باب النكاح من شرحه على صحيح مسلم وغيرهم ممّن نقل الأحاديث عن كبار الصحابة والتابعين من قبيل عبدالله بن عباس - حبر الأمة - وأبي بن كعب وعبدالله بن مسعود - أحد كُتّاب الوحي - وجابر بن عبدالله الأنصاري، وعمران بن الحصين، وسلمة بن الأكوع، وأبي ذر الغفاري، وسبرة بن معبد، واكوع بن عبدالله الأسلمي وغيرهم فقد صرّحوا جميعهم أنّ هذين الحكمين كانا على عهد رسول الله ﷺ وقد جرى العمل بهما، وقد

(١) للإطلاع على حادثة فذك تراجع كتابنا ليالي بيشاور / المؤلف.

حرمهما عمر بلا أي دليل ناسخ لهما من قبل النبي ﷺ!!

والظريف في الأمر أن أحد كبار علماء أهل السنة وهو مالك بن أنس إمام المالكية - وهي إحدى الفرق الكبيرة عندهم - والذي كان في سنة ١٧٩ هـ قد أفتى بجواز المتعة وعدم حرمتها فقد نقل فتواه الملا سعد التفتازاني في شرح المقاصد، وبرهان الدين الحنفي في الهداية، وابن حجر العسقلاني في فتح الباري وغيرهم وقد نقلوا نص فتواه بطريقتين قال في أحدهما: هو جائز، لأنه كان مباحاً مشروعاً واشتهر عن ابن عباس تحليلها وتبعه على ذلك أكثر أهل اليمن، ومكة من أصحابه. وقال في ثانيهما: هو جائز لأنه كان مباحاً فيبقى إلى أن يظهر ناسخه.

وللأسف فقد تمسك أهل السنة طيلة هذه السنين بقول عمر وتركوا قول النبي ﷺ وجانبوا القول بجواز هذين الحكمين مخالفة للقرآن والسنة والإجماع إلا أنهم رغم هذه المخالفة لم يستطيعوا أن يرفعوا آية المتعة من القرآن وهي قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾^(١) وهي دالة بشكل قطعي على جواز المتعة ولمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع كتابنا ليالي بيشاور.

٥ - موضوع الطلاق الثلاث: فقد كان الطلاق البائن الذي لارجعة فيه عبارة

عن ثلاث تطليقات في ثلاثة أطهار أي أن الرجل إذا طلق زوجته في غير طهر الواقعة يحق له مراجعتها ما دامت في عدتها بلا عقد شرعي ومعه إذا خرجت من عدتها وهكذا في المرة الثانية وقد عمل بهذه السنة النبوية كل المسلمين أيام رسول الله ﷺ إلى أن جاء عمر بن الخطاب فغير هذه السنة فجعل الطلقات الثلاث في مجلس واحد فإذا قال الرجل لزوجته في مجلس واحد: أنت طالق

ثلاثاً تكون محرمة عليه أبداً، وهذا الإنحراف العمري خروج واضح لنص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء﴾ وقوله: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان..﴾^(١).

ولكن مع هذه المخالفة الصريحة للقرآن إلا أنّهم لم يمتلكوا القدرة على رفع هذه الآية من القرآن الكريم - دعماً لخروقات الخليفة عمر -.

فهذه بعض الأدلة الواضحة على صيانة القرآن من التحريف، وعدم قدرة البشر من التلاعب به زيادة ونقيصة.

المقالة الستون

علماء الشيعة وتحريف القرآن

مضافاً لما تقدّم من الأدلة العقلية والنقلية على صيانة القرآن من التحريف - من عهد النبي ﷺ الذي أشرف على جمعه وترتيبه وحتى يومنا - فقد صرح فقهاء وعلماء ومحققوا الشيعة على صيانة القرآن الكريم من التحريف، وذكروا ذلك في كتبهم وتفسيرهم دفاعاً لإتهامات المبطلين وتعصبات المغرضين، وها نحن نذكر بعض اسمائهم على سبيل المثال منهم: شيخ الطائفة الإمامية أبو جعفر الطوسي في تفسير التبيان، وأبو علي الطبرسي في مجمع البيان، والعلامة البلاغي في تفسير آلاء الرحمن، والمحقق النهاوندي في نفحات الرحمن وغيرهم من المفسرين، وهكذا محدّثوهم أمثال الشيخ الصدوق المتوفى عام ٣٨١ هـ فقد ذكر في كتابه الاعتقادات مانصه: (إنّ اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله على نبيه هو ما بين الدفتين وما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، ومن نسب إلينا أنّنا نقول أنّه أكثر من ذلك فهو كاذب)^(١).

فهذا كلام أحد حفاظ الشيعة الذي قلّ نظيره^(٢) وهو دال دلالة صريحة على عدم تحريف القرآن الكريم؛ لأنّ التواتر قائم على ذلك، هذا وقد أعرض رضوان الله عليه عن تلك الروايات الضعيفة، وأخبار الآحاد التي قد تشير إلى تحريف

(١) الاعتقادات للصدوق ص ٥٩، رقم ٣٣، ط قم، عام ١٤١٢.

(٢) لقد كان الشيخ الصدوق رحمه الله بصيراً في علم الدراية ناقداً فذاً مرجعاً كبيراً في مدينة قم المقدسة له من التصانيف ما يقارب ٣٠٠ مصنف وهو أحد أصحاب الكتب الأربعة لدى الشيعة التي عليها مدار الفقهاء / المؤلف.

القرآن ممّا يعني عدم صلاحيتها وعدم الإعتماد عليها، وممّن صرّح بصيانة القرآن من التحريف من علماء الشيعة الشيخ المفيد رحمته الله وهو من مفاخر الإمامية الذي انتهت إليه رئاسة المذهب في القرن الرابع الهجري^(١) قال في كتابه المقالات: وقد قال جماعة من أهل الإمامة أنّه - أي القرآن - لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزله وذلك كان ثابتاً منزلاً^(٢).

فهذان نموذجان من تصريحات علماء الشيعة على عدم تحريف القرآن من القرن الثالث والرابع الهجري.

(١) تُوفيَّ الشيخ المفيد في الثلاثين من شهر رمضان عام ٤١٣ هـ في بغداد وقد شيع جنازته ٨٠٠٠٠ إنسان، وقبره اليوم في أحد أروقة قبر الإمام الكاظم عليه السلام في الكاظمية نال شرف المراسلة مع الامام المهدي عليه السلام ثلاث مرات وقد لقّبه الإمام بالشيخ المفيد في إحدى رسائله.

(٢) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات للشيخ المفيد رحمته الله ص ٥٤، باب تأليف القرآن، ط قم مكتبة الداوري.

المقالة الواحدة والستون

السيد المرتضى علم الهدى يُصرّحُ بعدم تحريف القرآن

ومن مفاخر الشيعة وعلمائها الأعلام الذين صرّحوا بعدم تحريف القرآن هو السيّد أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام الملقّب بالمرتضى علم الهدى، وذو المجدين وأبي الثمانين، الذي عدّه ابن الأثير مجدداً لمذهب الإمامية على رأس المائة^(١)، قال هذا العالم الكبير:

العلم بصحة القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة فأنّ العناية اشتدت والدواعي توفّرت على نقله وحراسته، وبلغت حدّاً لم تبلغه فيما ذكرناه؛ لأنّ القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتّى عرفوا كلّ شيء اختلف فيه من إعرابه وقرائته وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد...؟ إلى أن قال: إنّ العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه في صحة نقله كالعلم بجملته وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنّفة ككتاب سيبويه

(١) توفي السيد علم الهدى عليه السلام في عام ٤٣٦ هـ ودفن أولاً في الكاظمية بباب القبلة بجوار ضريح جدّه الإمام الكاظم عليه السلام. ثم نقل جثمانه إلى كربلاء كما صرّح بعض العلماء، وللسيّد المرتضى عليه السلام مؤلفات عديدة ذات أهمية بالغة لاسيما رسائله الجوابية مع أهل السنة، فقد عُرِف بقوة بيانه ورصانة برهانه، ومن أهم كتبه في هذا الصدد الشافي ردّ فيه على القاضي الناصبي، وأجوبته في المسائل الطرابلسيات وقد ذكرها الفيض الكاشاني في مقدمة تفسيره والطبرسي في تفسيره والمحقق النهاوندي في نفحات الرحمن ومما جاء فيها ما هو مذكور في المتن / المؤلف.

والمزني فأنَّ أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من جملتها حتى لو أنَّ مدخلاً أدخل في كتاب سيبويه باباً في النحو ليس من الكتاب عُرفَ ومُيِّز وعلم أنَّها ملحق وليس من أصل الكتاب وكذلك القول في كتاب المزني ومعلوم أنَّ العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء...

ثم قال:

إنَّ القرآن كان على عهد رسول الله مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن واستدل على ذلك بأنَّ القرآن كان يُدرَّس ويُحفظ جميعه في ذلك الزمان حتَّى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنَّه كان يُعرض على النبي ويُتلى عليه، وأنَّ جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عدَّة ختمات وكل ذلك يدلُّ بأدنى تأمل على أنَّه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث، وذكر إنَّ مَنْ خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتدُّ بخلافهم فأنَّ الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته^(١).

فهذا رأي فحل من فحول الشيعة وأحد مفاخرها العظام ممَّن انتهت إليه رئاسة المذهب، وهو رأي الطائفة كلّها على أنَّ القرآن الكريم المتداول بين المسلمين اليوم هو نفس القرآن الذي نزل على رسول الله ﷺ لم تمسه يد التحريف، وقد ذكر في كتاب الشافي والأمالى أدلة كثيرة على إثبات هذا المطلب لا يسمع المجال لنقل كلامه ﷺ فَمَنْ أراد التفصيل فليراجع.

(١) راجع مجمع البيان للطبرسي ج ١ ص ١٤ المقدمة، الفن الخامس عن السيد المرتضى.

المقالة الثانية والستون

علماء الشيعة وتحريف القرآن

ومن جملة علماء الشيعة الذين صرّحوا بعدم تحريف القرآن في أوائل القرن الخامس شيخ الطائفة وعماد الشيعة أبو جعفر الطوسي رحمته الله المتوفى عام ٤٦٠ هـ حيث قال في تفسيره^(١):

«وأما الكلام في زيادته ونقصانه فما لا يليق به، لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانه والنقصان منه أيضاً فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا...»^(٢).

وعلى ضوء هذا الكلام فالروايات عند الفريقين التي تشير إلى الزيادة والنقصان فمما لا يركن إليها؛ لأنّها آحاد لا توجب علماً وعملاً ولهذا قال الشيخ الطوسي رحمته الله مجيباً عن هذه الروايات: «فالأولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها؛ لأنّه يمكن تأويلها ولو صحّت لما كان ذلك طعنًا على ما هو موجود بين الدفتين فإنّ ذلك معلوم صحته لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه...»^(٣).

وعليه فالقرآن المتداول هو نفس ذلك القرآن المنزل على رسول الله صلّى الله عليه وآله بلا أدنى تحريف.

(١) وهو تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن يقع في عشرين مجلد طبع أخيراً بأمر آية الله العظمى السيد البروجردي رحمته الله، وللشيخ الطوسي رحمته الله مؤلفات قيّمة أخرى أهمها كتابا الاستبصار والتهذيب وهما من الكتب الأربعة التي عليها مدار الفقهاء / المؤلف.

(٢) التبيان ج ١، الطبعة الحجرية، ص ٢ المقدمة.

(٣) نفس المصدر.

وأيضاً مَن صرَّح من علماء الشيعة بعدم تحريف القرآن أمين الملة والإسلام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي رحمته الله وهو من الأعاظم والثقة والمفسرين الأكابر من علماء الشيعة في القرن الخامس الهجري المتوفى عام ٥٤٨ هـ فمن جملة ما قاله في تفسيره مجمع البيان:

«أما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه، وأما النقصان فيه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه وهو الذي نصره المرتضى رحمته الله واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء»^(١).

وهكذا صرَّح المرحوم الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الشهير بـ «الشيخ البهائي»^(٢) - وهو من علماء الشيعة الكبار - بعدم تحريف حيث قال:

«والصحيح إنَّ القرآن العظيم محفوظ عن ذلك زيادة كان أو نقصاناً ويدلُّ عليه قوله تعالى: (وإنا له لحافظون) وما أشتهر بين الناس من إسقاط اسم أمير المؤمنين عليه السلام منه في بعض المواضع مثل قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك في علي) وغير ذلك فهو غير معتبر عند العلماء».

علماً إنَّ هذا الكلام قاله الشيخ البهائي في زمن ملوكية الشاه عباس

(١) مجمع البيان ج ١، ص ١٥، مقدمة الكتاب، ط بيروت.

(٢) توفي عام ١٠٣١ هـ ويعد من أعاظم علماء الشيعة كان فقيهاً نبياً أصولياً جليلاً القدر، عرف بعلم الرياضيات والتفسير، وله باع واسع في علم المعقول والحكمة عُدَّ في زمانه علامة الدهر وأوحد عصره ونادرة زمانه له كرامات عديدة وتأليفات كثيرة في فنون متنوعة ببيانات رشيقة وتحقيقات دقيقة، والنص المذكور أعلاه عن عدم تحريف القرآن ذكره المحقق النهاوندي في تفسيره نفحات الرحمن فراجع / المؤلف.

الصفوي الذي عُرف بعلاقته الشديدة بأمير المؤمنين علي عليه السلام.

وأيضاً من علماء الشيعة المصرّحين بعدم تحريف كتاب الله المجيد الشيخ عبدالعالي الكركي ابن نورالدين الشيخ علي المحقق الثاني المتوفى في القرن العاشر الهجري، وهو من أفاضل المتكلمين والمحدثين، وكان من المشايخ العبّاد والزهاد في زمانه، وقد ذكر رسالته صيانة القرآن العلامة النهاوندي في تفسيره وهي المسماة (حقيقة الإيقان في عدم تحريف القرآن) فمن جملة كلامه رضوان الله عليه:

«إنّ الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب والسنة المتواترة أو الإجماع ولم يُتمكّن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه وجب طرحه» وهذا كلام علمي متين؛ لأنّ القرآن الكريم قطعي الصدور، بينما الروايات ظنيّة الصدور وكلُّ عاقل لا يرضى أن يُزلزل ما هو قطعي بما هو ظني، ولهذا صدرت روايات عديدة عن أئمة الهدى عليهم السلام يدعون فيها إلى قراءة هذا القرآن الموجود بين الدفتين ومنعوا من الإعتداد على غير ذلك.

المقالة الثالثة والستون

نقل بقية أقوال علماء الشيعة على عدم تحريف القرآن

ومن جملة نوابغ علماء الشيعة الذين صرّحوا بعدم تحريف القرآن فخر الطائفة الإمامية العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (قدس سره) القدوسي المتوفى عام ١١١١ هـ صاحب موسوعة بحار الأنوار حيث قال^(١): «إنّ الخبر قد صحّ عن أئمتنا عليهم السلام أنّهم أمروا بقراءة ما بين الدفتين وأن لا يتعداه بلا زيادة فيه ولا نقصان منه حتّى يقوم القائم فيقرء الناس القرآن على ما أنزله الله تعالى، وجمعه أمير المؤمنين وإنّما نهونا عليهم السلام عن قراءة ما وردت به الأخبار من أحرف يزيد على الثابت في المصحف؛ لأنّها لم تأت على التواتر وإنّما جاء بها الآحاد وقد يغلط الواحد فيما ينقله؛ ولأنّه متى قرء الإنسان بما يخالف ما بين الدفتين غرر بنفسه مع أهل الخلاف واغربه الجبارين، وعرض نفسه للهلاك فمنعونا عليهم السلام من قراءة القرآن بخلاف ما يثبت بين الدفتين لما ذكرناه» ثمّ قال بعد هذا الفصل:

«فإنّ قال قائل كيف يصح القول بأنّ الذي بين الدفتين هو كلام الله تعالى على الحقيقة من غير زيادة ولا نقصان وأنتم تروون عن الأئمة عليهم السلام أنّهم قرؤا ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾، وكذلك ﴿جعلناكم أمة وسطاً﴾ وقرؤا ﴿يسئلونك عن الانفال﴾ وهذا بخلاف ما في المصحف الذي في أيدي الناس، قيل له: قد مضى الجواب عن هذا وهو أنّ الأخبار التي جاءت بذلك أخبار آحاد

(١) البحار ج ١٩ باب ٧ ص ٢٠، طبع كمباني.

لا يقطع على الله تعالى بصحتها فلذلك وقفنا فيها ولم نعدل عما في المصحف الظاهر على ما أمرنا به حسب ما بيناه»

وقد قلنا سابقاً إن الاعتقاد بزيادة القرآن اعتقاد واهم؛ لأن من يعتقد الزيادة عليه أن يثبت أن هناك من هو في مصاف قدرة الله وأنه استطاع أن يخرق التحدي الإلهي في القرآن وهذا ما لم يحصل ولن يحصل أبداً.

وقال المرحوم العلامة الكبير والناطقة الشهير الفقيه النحرير الشيخ جعفر كاشف الغطاء^(١) في كتابه كشف الغطاء: «في نقصه - أي القرآن - لا ريب في أنه محفوظ من النقصان، بحفظ الملك الديان، كما دلّ عليه صريح القرآن، وإجماع العلماء في كل الأزمان، ولا عبرة بالنادر. وما ورد من أخبار النقيصة تمنع البديهة من العمل بظاهرها... إلى أن قال: فلا بدّ من تأويلها بأحد الوجوه»^(٢).

وقال المرحوم القاضي السيد نور الله الشوشري الشهيد عام ١٠١٩ هـ في كتابه «مصائب النواصب»: ما نسب إلى الشيعة الإمامية من وقوع التغيير في القرآن ليس مما قال به جمهور الإمامية؛ إنما قال به شرذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم».

وهكذا دافع عن صيانة القرآن من التحريف العلامة الشهيد الثاني حسين بن

(١) شيخ الفقهاء والمجتهدين الشيخ جعفر الملقب بـ «كاشف الغطاء» نسبة إلى كتابه كان زاهداً عارفاً فقيهاً بارعاً يُعد أعجوبة دهره وعصارة زمانه عُرف بكثرة تفريعاته في الفقه حتّى قال هو «الفقه على بكارته لم يمسه أحد إلا أنا والشهيد وولدي موسى» وهو من الأمور المعروفة عند أهل العلم ولمن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع كتابه الشهير «كشف الغطاء» توفي عام ١٢٢٨ هـ

(٢) كشف الغطاء، ج ٣، ص ٤٥٣، كتاب القرآن، المبحث الثامن في نقص القرآن ط إيران المكتبة التابعة للحوزة العلمية.

زيد الدين المتوفى عام ١٠١١هـ في كتابه معالم الاصول، والعلامة أبو القاسم الجيلاني في الجزء الأول من كتابه قوانين الأصول ضمن بحث حجية الكتاب وغيرهم من أكابر العلماء الاصوليين والأخباريين لا سيما العلامة المرحوم فخر العلماء الملا مهدي النراقي في أواخر القرن الثاني عشر في كتابه شرح تجريد الأصول حيث استدل بالآيات القرآنية على عدم التحريف واعتبر القول به مخالف للإعجاز القرآني الذي هو معجزة باقية وخالدة.

وعلى العموم فمن مجموع كلمات العلماء وأكابر فقهاء الشيعة يستفاد أن القرآن الكريم مصون من التحريف بكل أنواعه وألوانه وهذا ما يتفق عليه غيرهم أيضاً.

وأما شبهة التحريف فقد طرحها بعض المحدثين بأخبار آحاد تبعهم عليها بعض العوام والبسطاء من الناس ولا عبرة بهم.

المقالة الرابعة والستون

إشارة إلى بعض وضاع الحديث وتأسيس قاعدة لإبطال الأخبار الموضوعة

لقد اعتمد القائلون بتحريف القرآن على مجموعة من الأخبار الآحاد، وهذا بلا شك من الأمور غير المعقولة، لأن الآحاد لا يمكن أن تعارض أو تقف أمام المتواترات وقد ذكرنا سابقاً إن القرآن الكريم نُقِلَ إلينا بالتواتر المفيد للعلم وعليه فلا معنى للتمسك بأخبار الآحاد ومن هنا لم يعتنِ أكابر العلماء والمحققين بمثل هذه الأخبار، كما وقد ذكرنا إن الهدف من جعل هذه الأخبار ووضعها هو النيل من القرآن والإسلام بعدما عجزوا عن معارضته ومواجهته.

فمثلاً ذكر صاحب كتاب البداية في علم الدراية عن العقيلي عن حماد بن زيد أنه قال: إن الزنادقة وضعوا أربعة عشر ألف حديث نسبوها كلها إلى رسول الله ﷺ كذباً وزوراً!! فكل مغالطة كانت عندهم أو ما لا تتحمّله عقولهم كانوا يصنعون لها حديثاً مكذوباً!!

وفي التاريخ إن المهدي بن المنصور العباسي حينما ألقى القبض على ابن أبي العوجاء الزنديق وأراد قتله قال بكل صراحة: إنني وضعت أربعة آلاف حديث بين الناس حللت فيها الحرام وحرّمت فيها الحلال!!

ومن أمثال ابن العوجاء كان الكثير كيونس بن ظبيان، وأبي الخطاب، ويزيد الغالي، وبيان بن سمعان، ومحمد بن سعيد الشامي، وأبو هريرة الدوسي، والمغيرة بن سعيد وغيرهم ممن تلاعبوا بالدين من خلال وضع الحديث الكاذب، فقد نقل العلامة المامقاني كلمة للمغيرة بن سعيد قال فيها: قد دسست في أخباركم

أخباراً كثيرة تقرب من مائة ألف حديث^(١).

وقال الامام الصادق عليه السلام: «إن المغيرة بن سعيد دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا وسنة نبينا»^(٢).

وعن يونس بن عبد الرحمن قال: وافيت العراق فوجدت قطعة من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام متوافرين فسمعت منهم وأخذت كتبهم وعرضتها من بعد علي أبي الحسن الرضا عليه السلام فانكر منها أحاديث كثيرة أن تكون من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وقال: إن أبا الخطاب كذب علي أبي عبد الله عليه السلام لعن الله أبا الخطاب، وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون من هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله عليه السلام فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن^(٣).

وفي جملة من الأخبار، الأخبار العلاجية «إن ما خالف القرآن» وفي بعضها «ما خالفه وخالف السنة» و «إنني ما قلته» وفي آخر «الأمر بضرب مخالفه وجه الجدار» إلى غير ذلك من الأخبار^(٤).

وعن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام أنه قال: ما جاءكم عنا، فإن وجدتموه موافقاً للقرآن فخذوا به وإن لم تجدوه موافقاً فردوه^(٥).

وروي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: ما أتاكم من حديث

(١) تنقيح المقال: ج ١، ص ١٧٤ المقام الثالث من المقدمة «الحاجة إلى علم الرجال».

(٢) تنقيح المقال: ج ١، ص ١٧٤ المقام الثالث من المقدمة «الحاجة إلى علم الرجال».

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) وسائل الشيعة للحرّ العاملي ج ٢٧، ص ١١٨، ح ٢٩.

لا يصدق كتاب الله فهو باطل^(١).

وحتى روي عن رسول الله ﷺ: ما جاءكم عني ما لا يوافق القرآن فلم أقله^(٢).

والخلاصة فإن الأخبار في هذا الباب كثيرة جداً حتى ذكر بعض العلماء إنها متواترة بهذا المعنى ومنهم الفقيه الكبير المرحوم الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه في رسائله حيث قال: والأخبار الواردة في طرح الأخبار المخالفة للكتاب والسنة ولو مع عدم المعارض متواترة جداً.

ثم قال: من الواضحات إن الأخبار الواردة عنهم صلوات الله عليهم في مخالفة ظواهر الكتاب والسنة في غاية الكثرة^(٣).

والنتيجة من كل ذلك: إن رسول الله ﷺ، والأئمة الهداة عليهم السلام أرجعونا إلى القرآن الكريم لتصحيح الأخبار أو لمعرفة الأخبار الصحيحة من غيرها بسبب عمليات الوضع والكذب والجعل، وهذا معناه أن القرآن المتداول يجب أن يكون متكاملًا مصانًا من أي تحريف ليكون هذا الإرجاع في محله، وإلا فلا معنى لإرجاعهم إلى ما هو محرّف وناقص، لا سيما مع غيبة الإمام سلام الله عليه. إذاً فمن هذه القاعدة المهمة جداً ألا وهي الرجوع إلى القرآن، وعرض الأخبار على كتاب الله لمعرفة كونها قطعاً بصحة القرآن، وصيانتها وعدم تحريفها، فتكون هذه القاعدة هي إحدى الأدلة على عدم تحريف القرآن.

(١) تفسير العياشي ج ١، ص ٩.

(٢) أصول الكافي ج ١، ص ٦٩، ح ٥.

(٣) فرائد الأصول للشيخ الأنصاري رحمه: ج ١، ضمن موضوع العمل بخبر الواحد.

المقالة الخامسة والستون

الدليل القرآني على عدم تحريف القرآن

ليكن معلوماً عند القارئ أننا لو أردنا أن ننقل كلمات العلماء من الشيعة والسنة في عدم تحريف القرآن لاحتجنا كتاباً خاصاً ولهذا عزفنا عن نقلها واكتفينا ببعضها.

ولكن علينا أن ننبه إلى أن القرآن الكريم قد تصدّى للدفاع عن نفسه في الكثير من آياته، فقد صرح الحق سبحانه وتعالى إن هذا الكتاب محفوظ من التحريف بقدرته العظيمة أي هو الذي سيتولى عملية حفظه وصيانته فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

أي لا يقدر الإنس والجن على التلاعب به، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٢). وكل زيادة من غير جهة الرب سبحانه وتعالى فهي باطل، وكل نقصان من آيات القرآن باطل، لأنه إبطال لحجته، والآية نفت ورود كل باطل عن هذا القرآن، بل هو محفوظ بحفظه تعالى ومسان بقدرته الهائلة، وقد جرت الإرادة الإلهية على حفظه إلى نهاية العالم، لأن الآيات مطلقة.

(١) الحجر / ٩.

(٢) فصلت / ٤١ - ٤٢.

المقالة السادسة والستون

الأدلة العقلية على أن القرآن

المتداول غير محرف

ومن جملة الأدلة على بطلان القول بالتحريف الأحاديث والروايات المتواترة والمستفيضة معني ولفظاً واجمالاً عن رسول الله ﷺ والائمة الهداة عليهم السلام في تمييز الأخبار الصحيحة من غيرها حيث قالوا:

«ما خالف القرآن فهو زخرف أو باطل فاضربوه على الجدار»^(١).

فلو كان القرآن - أو بعض القرآن - محرف لما أمكن عرض الروايات عليه، وما كان لكلامهم صلوات الله عليهم معني، وهنا لا يمكن الأدعاء على أن المراد من القرآن هو ذلك الذي جمعه أمير المؤمنين علي والمحموظ عند الأئمة إمام بعد إمام إلى أن انتهى عند الإمام المهدي عليه السلام، لأن هذا الأدعاء باطل إذ لازمه المحال فكيف يأمرنا الله بغير ما هو غير موجود؟! والأمر بالمحال باطل وقبيح. وعليه فالقرآن المراد ذكره هو نفس القرآن المتداول بيننا اليوم؛ لأنه أساس الإسلام وحجته القائمة. بل لو كان هذا الأدعاء صحيحاً لما كانت أي مزية للقرآن الكريم على بقية الكتب السماوية الأخرى التي نالها التحريف والضياع، ثم ما معني أن يتعهد الله بحفظ كتاب هو في الأساس غير متداول بين الناس؟ فهل يحفظ ما هو محفوظ من الأساس؟! وهذا معناه عدم

(١) اصول الكافي ج ١، ص ٦٩، وتفسير العياشي ج ١، ص ٩، ووسائل الشيعة ج ٢٧، ص ١١٨.

وجود أي فضيلة لهذا القرآن وعدم وجود أي إعجاز لله تعالى في قدرته على الحفظ.

والأهم من كل ذلك أننا لو سلّمنا بصحة هذا الادّعاء فلازمه القول بعدم تحريف التوراة والإنجيل، لأنّ النسخ الأصلية لهما محفوظة عند الأوصياء الذين تلو موسى وعيسى عليهما السلام، وهذا مخالف للإجماع والقرآن والتاريخ.

إذن فالرأي الناضج والصحيح أنّ القرآن المتداول بين المسلمين هو نفس القرآن المنزل من الله وقد حفظه الله تعالى بقدرته العظيمة من التحريف والضياع وهذه مزية غير موجودة في الكتب السماوية الأخرى؛ لأنّ القرآن معجزة الرسول ﷺ الخالدة فلازم استمرارها لاثبات صحة هذا الدين العظيم، فلا يمكن إثبات هذا الإعجاز من خلال الروايات؛ لأنّ ذلك غير معقول وغير مقبول علمياً ومنطقياً، بل ذكرنا سابقاً أنّ الأعداء حينما عجزوا عن مواجهة القرآن لقوة الإعجاز فيه انتقلوا إلى محاربة الإسلام من خلال إدخال التحريف على الروايات والأحاديث ووضع الأخبار الكاذبة ونسبتها إلى النبي ﷺ وأهل بيته وهذا بحدّ ذاته دليل آخر على سلامة القرآن وصيانه، وعجز المفرضين من محاربته وتحريفه.

إذن فالروايات التي تأمرنا بعرض الأخبار على القرآن الكريم لمعرفة الصحيح منها هي دليل على صحة القرآن وسلامته وإلاّ لما أمرونا عليهم السلام بذلك، بل يُعد حديث الثقلين المروي في كتب الفريقين والمتفق عليه من أكبر الأدلة على صيانة القرآن إذ قال ﷺ: **إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي**

أبدأ^(١). ودلالته واضحة في إمكان التمسك بهذا القرآن في كل زمان ومكان على اختلاف العصور، مما يعني سلامة هذا القرآن من التحريف، وإلا لو قلنا بعدم حفظه أو قلنا المراد به غير هذا القرآن، لما أمرنا النبي بالتمسك به، إذن فحديث الثقلين دليل قاطع على صحة القرآن وسلامته من أي تحريف، وفيه دلالة أخرى على أن المراد بـ«كتاب الله» هو القرآن المتداول بين المسلمين إلى عصرنا هذا، إذ لا يمكن أن يطلق النبي ﷺ العبارة وهو يقصد شيئاً آخر فالقرآن هو القرآن محفوظ ومصان.

(١) صحيح مسلم ج ٧، ص ١٢٢، والترمذي ج ٢، ص ٣٠٧، وخصائص النسائي ص ٣٠.

المقالة السابعة والستون

بحث في ترتيب السور والآيات القرآنية

ومن الأمور الواضحة عندنا - كوضوح سلامة القرآن من التحريف - ترتيب السور والآيات القرآنية، فإن مواضعها ونسقها وترتيبها الموجود في القرآن كان بوحى إلهي وأمر رباني؛ لأن القرآن كتاب سماوي عرف إعجازه البلاغي والعلمي، ومن هنا كان لزاماً على الخالق الحكيم أن يتولى ترتيب سور وآياته؛ لأنها دخيلة في وجوه الإعجاز، بل ذكر بعض المفسرين أن النظم الموجود في القرآن أحد وجوه الإعجاز فيه.

وقد ذكر بعض العلماء من أهل السنة إن ترتيب السور كان من الصحابة وعلى يد عثمان بن عفان على وجه التحديد^(١).

وهذا الكلام باطل؛ لأن هؤلاء ينطلقون من منطلقات سلفية؛ لأننا أثبتنا

(١) أقول: هذا بحث اختلفت فيه آراء العلماء فقد صرح السيوطي قائلاً: وأما ترتيب السور فهو توقيفي أيضاً أو هو باجتهاد من الصحابة؟ فيه خلاف فجمهور العلماء - علماء السنة - على الثاني - أي باجتهاد الصحابة. الاتقان في علوم القرآن: ج ١، ص ٢٦١-٢١٨.

وقال الحاكم: والجمع الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان، وقال ابن فارس: جمع القرآن على ضربين أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين فهذا هو الذي تولته الصحابة. (انظر كتاب المحتسب لأبي الفتح عثمان بن جني: ج ١، ص ٩-١٣ ط بيروت).

وقال الزركشي: ... وترتيب بعضها - أي السور - بعد بعض ليس أمراً أوجبه بل أمر راجع إلى اجتهادهم - أي الصحابة - (راجع البرهان للزركشي: ج ١، ص ٢٦٢ ط بيروت).

وقد تناولتُ هذا البحث بشكل مقارن في ترجمتي لكتاب التفسير التاريخي للقرآن الكريم فمن طلب المزيد عليه بمراجعة هامش ذلك الكتاب. المترجم.

سابقاً إنَّ القرآن كان مجموعاً ومرتباً في زمان رسول الله ﷺ هذا وقد نسب الله تعالى القرآن إلى نفسه ولذا يقال: «كتاب الله» وهذا يعني أنَّ جميع شؤون القرآن ترجع إليه تعالى ومنها ترتيب السور والآيات وإلا لما صح هذا الإطلاق وهذه النسبة.

ومما يدلُّ على صحَّة كلامنا ما روي عن عثمان بن أبي العاص حينما أراد النبي ﷺ أن يبعثه إلى الطائف لتعليم القرآن الكريم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ...﴾ وقال ضعوها في مكان كذا من هذه السورة^(١). وروي أنَّ جبرئيل حينما نزل بقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ قال ﷺ ضعوها بين آية الربا والدين.

وهناك الكثير من هذه النصوص^(٢) التي لو أمعنا النظر فيها لخرجنا بهذه النتيجة أعني ترتيب السور والآيات كان على أساس الوحي الإلهي فكما كلف النبي ﷺ بتبليغ آيات القرآن العظيم كذلك هو مأثور بتحديد مواقع هذه الآيات، ليتجلَّى موضوع الإعجاز المرتبط بهذا النسق القرآني الذي أشار إليه المفسرون ومما لا شك فيه أنَّ الاعجاز بيد الله تعالى لا بيد الصحابة!

وقد جمع بعض الناس القرآن في عهد النبي ﷺ وكانوا يعرضونه عليه ليلاحظ ترتيبه ويصحح لهم أخطأهم في هذا الجانب بما يتفق مع ما نزل به جبرئيل عليه السلام.

إذاً يتضح من مجموع ما تقدَّم أنَّ القرآن الكريم في ترتيبه الحالي كان على أساس إلهي بعيد عن تصرفات البشر.

(١) راجع الإتيان للسيوطي ج ١، ص ٦٢.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ١٩.

المقالة الثامنة والستون

ذكر بعض الروايات في تعيين السور واسماء القرآن

وإتماماً لما ذكرناه في المقالة السابقة عن توقيفية السور والآيات وكونها مرتبة ترتيباً نبوياً ما روي عن عكرمة وغيره في تسمية السور فقد كان المشركون يسخرون من أسماء السور القرآنية مثل استهزائهم بالعنكبوت والبقرة لجهلهم بالحكمة من هذه الأسماء الشريفة، كالفاتحة التي ذكر المفسرون لها عدة أسماء مثل أم الكتاب لقوله تعالى: ﴿وأنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾ ومعنى الأم هنا هو الأساس والأصل باعتبار أنها أصل القرآن، بل أصل وأساس جميع الكتب السماوية كما قال القاضي البيضاوي: إن هذه السورة اشتملت على التوحيد والمبدء والمعاد والقضاء والقدر والثناء والإشتغال بالطاعات وطلب المكاشفات...

وقد روي: أساس القرآن فاتحة الكتاب، وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم^(١).

وفي حديث للنبي ﷺ قال فيه: والذي نفسي بيده لا يوجد كهذه السورة في التوراة والإنجيل والزبور وأنها السبع المثاني والقرآن العظيم^(٢). وفي حديث ذكره الشيخ أبو الفتوح الرازي - قدس سره - في تفسيره

(١) مجمع البيان للطبرسي ج ١، ص ١٧.

(٢) نفس المصدر ص ١٨.

ومضمونه إنَّ الله تعالى أنزل (١٠٤) كتاباً سماوياً على الأنبياء العظام وأنَّه جمع ما في هذه الكتب كلها وجعله في الكتب الأربعة القرآن والإنجيل والتوراة والزبور، ثمَّ جعل ما في هذه الأربعة في سورة البقرة، وجعل ما في سورة البقرة كَلِّه في سورة الحمد فكلَّ من تلاها كأنما تلى (١٠٤) كتاباً.

ولعلَّ السبب في جعلها أساس الكتب والدين هو أنَّها علة قبول الأعمال والطاعات، وذلك لقوله ﷺ في الخبر الصحيح: «الصلاة عمود الدين إنَّ قُبِلَتْ قُبِلَ ما سواها، وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها»^(١) وقال ﷺ: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»^(٢).

إذن فجميع الأعمال والطاعات موقوفة على سورة الحمد.

وهكذا هناك علة لأسم سورة البقرة وهي قصة حكيمة ذات أبعاد إنسانية ومبدئية حصلت أحداثها في بني إسرائيل وآل عمران سُميت بذلك لوجود قصتهم في السورة، وهكذا هناك سبب لكل اسم من أسماء السور القرآنية التي حدَّدها رسول الله ﷺ، فقد روى الشيخ الجليل ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني في الكافي بإسناده عن سعد الأسكافي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: أُعْطِيت السور الطوال مكان التوراة، وأُعْطِيت المئين مكان الإنجيل، وأُعْطِيت المثاني مكان الزبور وفضِّلْتُ بالمفصل ثمان وستون سورة، وهو مهيمن على سائر الكتب فالتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والزبور لداود»^(٣).

(١) جامع الأخبار ص ١٨٣، ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة ح ٦، ص ٣٢، ح ١.

(٣) أصول الكافي ج ٢، ص ٦٠١، ح ١٠، كتاب فضل القرآن.

أقول: قد ذكر المحقق النهاوندي عدة فوائد من هذا الحديث المذكور وهي:

المقالة التاسعة والستون

تتمة الروايات في أسماء السور وثواب قرائتها

ومن جملة الأدلة على أن رسول الله ﷺ هو الذي رتب السور القرآنية وهو الذي أطلق على كل واحد منها اسماً خاصاً هي تلك الروايات التي تحدثت عن ثواب قراءة هذه السورة إذ ثم ذكر اسم السورة وهذا كان في زمن النبي ﷺ فمن هذه الأحاديث:

= ١ - إن جميع السور القرآنية (داخلة تحت هذا التقسيم الرباعي الطوال - المثني - المثنى - المثنى - المفضل).

٢ - السور الطوال مقدّمة في ترتيبها على المثني والمثني مقدّمة على المثنى وهكذا.
٣ - الطوال أفضل من المثني، لأن النبي ﷺ جعلها بمنزلة التوراة، والمثني أفضل، لأنها بمنزلة الإنجيل وهكذا.

وقد نقل المحقق النهاوندي عن العالم الرباني المرحوم الفيض الكاشاني إن السور الطوال سبع بعد فاتحة الكتاب وهي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال. هذا وتعد الأنفال والتوبة بمنزلة السورة الواحدة لعدم الفصل بينهما بالبسملة كما هو مروي عن الإمام الصادق عليه السلام.

والمثني من سورة بني إسرائيل إلى ستة سور بعدها وسميت كذلك، لأن كل واحدة منها تضم ما يقارب مائة آية والمفضل من سورة محمد ﷺ إلى آخر القرآن وسميت كذلك لوقوع الفصل بينها بشكل كثير وملحوظ.

والمثنى بقية السور التي هي أقل من المثني وأكثر من المفضل وهذا البحث فيه آراء كثيرة في تحديد الأقسام الأربعة فلمن طلب المزيد عليه بمراجعة التفاسير. المؤلف.

أقول: كان هذا الكلام في متن الكتاب وقد أدرجته في الهامش لعدم علاقته بموضوع البحث. المترجم.

١ - عن أبي بن كعب، عن رسول الله ﷺ: ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني^(١).

وقد جاء في تفسير الصافي عن كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام مرويّاً عن أمير المؤمنين عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب وهي سبع آيات تمامها بسم الله الرحمن الرحيم، سمعت رسول الله يقول إنّ الله قال لي يا محمد ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم^(٢).

٢ - وعن عبد الله بن عباس، وسهل بن سعد عن رسول الله ﷺ: إنّ لكل شيء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة من قرأها في بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام، ومن قرأها في بيته ليلاً لم تدخله الشياطين ثلاث ليالٍ^(٣).

٣ - وذكر العلامة المجلسي خبراً مفصلاً عن الإمام علي عليه السلام جاء فيه: ... تعلّموا سورة البقرة وآل عمران فإن أخذهما بركة وتركهما حسرة^(٤).

٤ - وقال رسول الله ﷺ: إنّ في كتاب الله سورة تُسمّى العزيز بدعاء صاحبها الشريف عند الله يشفع لصاحبها يوم القيامة مثل ربيعة ومضر ثم قال النبي ﷺ ألا وهي سورة يس^(٥).

٥ - وروي عن النبي ﷺ أنّه قال: من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله

(١) مجمع البيان للطبرسي ج ١، ص ١٨.

(٢) نفس المصدر.

(٣) مجمع البيان ج ١، ص ٣٩، ط بيروت.

(٤) البحار: ج ١٩.

(٥) البحار ج ٩٢، ص ٣١٢.

غفر له (١).

٦- وروى عنه عليه السلام: من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة (٢).

٧- عن أبي بن كعب، عن رسول الله ﷺ: مَنْ قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار، ولا عرش ولا كرسي، ولا الحجب والسموات السبع والأرضون السبع والهواء والريح والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة إلا صلّوا عليه واستغفروا له وإن مات في يومه أو ليلته مات شهيداً (٣).

٨- وعن ابن عباس: إن النبي ﷺ يقرأ في الجمعة سورة الجمعة وإذا جاءك المنافقون (٤).

وعن جابر بن سمرة: كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين.

٩- عن جابر بن سمرة إنه قال: كان رسول الله يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة الجمعة والمنافقين (٥).

١٠- وفي البحار نقلاً عن الدر المنثور عن عبد الله بن مسعود أنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة وسبح اسم ربك الأعلى وفي صلاة

(١) مجمع البيان للطبرسي ج ٨، ص ٥٣٣.

(٢) تفسير الرازي ج ١٠ ص ١٠٧.

(٣) نواب الأعمال للشيخ الصدوق ص ١٤٧، بيروت.

(٤) نواب الأعمال ص ١٤٨.

(٥) البحار: ج ١٩ ص باب ٨٧.

الصباح يوم الجمعة ألم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك^(١).

وعن سعيد بن منصور عن جابر أنه قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ: اقرء بهم العشاء سبح اسم ربك الأعلى والليل إذا يغشى والسماء ذات البروج^(٢).

١١- وعن جابر بن سمرة قال: إن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء والطارق والسماء ذات البروج^(٣).

١٢- وفي البحار نقلاً عن الدر المنثور، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وعن ابن عباس وسمرة بن جندب، وأنس بن مالك قالوا: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتيك حديث الغاشية^(٤).

١٣- وفي دعوات الراوندي ضمن أخبار المعمرين في رواية موجزها إن شخصاً طلب من النبي ﷺ تعويذة قال له ﷺ: أين أنت عن ذات القلاء، قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس^(٥). وفي تفسير السيوطي عن جبير بن مطعم إن رسول الله ﷺ قال له: أتحب أن تكون مثل أصحابك في السفر؟ فقال: نعم يا رسول الله. فقال ﷺ: فاقرأ هذه السور الخمس قل يا أيها الكافرون، وإذا جاء نصر الله والفتح، وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، وافتتح كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم واختم قرائتك ببسم الله الرحمن الرحيم.

١٤- وقال رسول الله ﷺ: من قرأ قل هو الله أحد فكانما قرأ ثلث

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه. الباب ١٠١.

(٤) البحار: ج ١٩، باب ١٠٣.

(٥) دعوات الراوندي: باب ١٢١.

القرآن^(١).

وفي بعض الأحاديث إن مَنْ قرئها ثلاثة مرّات كأنما ختم القرآن، ومن هذه الأخبار يتضح لنا أن أسماء السور كان معهوداً في زمان رسول الله ﷺ وهو الذي تكفل تسميتها وعلم المسلمين ذلك.

بل وكان ﷺ يعلمهم تسلسلها وترتيبها حتّى من خلال عرضها لهم وتسميتها، وكان يعلمهم بداية ونهاية السورة من خلال البسملة، وقد روي أنّه ﷺ متى ما نزل عليه جبرئيل بالبسملة كان ﷺ يعرف أنها بداية سورة جديدة.

(١) الدر المنثور للسيوطي ج ٦، ص ٤١٤.

المقالة السبعون

ذكر بعض روايات الائمة الأطهار على ترتيب السور القرآنية

ولاجل تركيز المطلب السابق ننقل هنا بعض الروايات الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام - في خصوص تسمية السور عن النبي ﷺ والذي يدل على ترتيبها - فمن هذه الأخبار:

١- ذكر العلامة المجلسي في موسوعته - البحار - عن الأمالي والعيون وكلاهما للصدوق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب وهي سبع آيات تمامها بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عز وجل قال لي: يا محمد ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم فافرد الأمتان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بازاء القرآن العظيم^(١).

٢- وفي نفس المصدر عن الأمالي بإسناد ينتهي إلى الإمام أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام أنه قال: إن يهودياً جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له: أخبرنا عن سبع خصال أعطاك الله من بين النبيين، وأعطى أمتك من بين الأمم؟ فقال النبي ﷺ: أعطاني عز وجل فاتحة الكتاب، والأذان والجماعة في المسجد ويوم الجمعة، والإجهار في ثلاث صلوات، والرخص لأمتي عند الامراض والسفر، والصلاة على الجنائز، والشفاعة لأصحاب الكبائر من أمتي^(٢).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١، ص ٢٧٠، ح ٦٠، باب ٢٨.

(٢) راجع البحار ج ٩٢، ص ٢٢٤ - ٣٢١.

والشاهد في هذه الرواية قول النبي ﷺ «أعطاني الله فاتحة الكتاب».

٣- عن طب الأئمة ﷺ بإسناد ينتهي إلى الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا كسل أو أصابته عين أو صداع بسط يديه فقرأ فاتحة الكتاب، والمعوذتين ثم يمسح بها وجهه فيذهب عنه ما كان يجد^(١).

٤- عن تفسير العياشي مسنداً عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً وإنما كان يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ بآخره، فكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة فنسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء، لقد نزلت عليه وهو على بغلته الشهباء وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلّى بطنها حتى رأيت سرّتها تكاد تمسّ الأرض وأغمي على رسول الله ﷺ حتى وضع يده على ذؤابة شيبة بن وهب الجمحي؛ ثم رفع ذلك عن رسول الله ﷺ فقرأ علينا سورة المائدة فعمل رسول الله وعملناه^(٢).

٥- وعن كتاب ثواب الأعمال عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: نزلت سورة الأنعام جملة واحدة شيعها سبعون ألف ملك حتى أنزلت على محمد ﷺ فعظموها وبجلوها فأن اسم الله فيها في سبعين موضعاً، ولو علم الناس ما فيها ما تركوها^(٣).

٦- عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ قرأ إذا زلزلت أربع مرّات، كان كمن قرأ القرآن كله^(٤).

٧- عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ التكاثر عند

(١) مكارم الأخلاق للطبرسي ص ٣٩٣.

(٢) تفسير العياشي ج ١، ص ٣١٨، ط بيروت الأعلمي.

(٣) نواب الأعمال للصدوق، ص ١٣٤، ط بيروت الأعلمي.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢، ص ٣٦.

النوم وفي فتنه القبر وكفاه الله شرّ منكر ونكير^(١).

٨- وفي العيون وبأسانيد ثلاثة عن الإمام عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة السفر فقراً في الأولى قل يا أيها الكافرون، وفي الأخرى قل هو الله أحد، ثم قال قرأت لكم ثلث القرآن وربعه^(٢).

٩- وعن كتاب المحاسن مسنداً، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ مَنْ قرأ سورة قل هو الله أحد مرة فكأنما قرء ثلث القرآن، ومَنْ قرأها مرتين فكأنما قرء ثلثي القرآن، ومَنْ قرأها ثلاث مرات فكأنما قرء القرآن^(٣).

١٠- روى السكوني عن الإمام الصادق عليه السلام إن النبي ﷺ صلى على سعد بن معاذ فلما صلى عليه قال ﷺ: لقد وافى من الملائكة سبعون ألف ملك وفيهم جبرئيل يصلّون عليه، فقلت يا جبرئيل بِمَ استحق صلاتكم عليه؟ قال: بقراءة قل هو الله أحد قائماً وقاعداً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً^(٤).

١١- وفي البحار عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي ﷺ قال: مَنْ قرأ قل هو الله أحد من قبل أن تطلع الشمس إحدى عشر مرة، ومثلها إنّا أنزلناه، ومثلها آية الكرسي منع ماله مما يخاف^(٥).

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، عن مولانا أمير المؤمنين

(١) نواب الأعمال للصدوق ص ١٥٥، ط بيروت.

(٢) عيون أخبار الرضا الباب ١٢١.

(٣) المحاسن للبرقي: باب ١٢٤.

(٤) مجمع البيان للطبرسي ج ١٠، ص ٧١٨، ط بيروت مؤسسة التاريخ العربي.

(٥) البحار: ج ١٩، باب ٣٠.

علي عليه السلام أنه قال: إذا أراد أحدكم الحاجة فليباكر في طلبها يوم الخميس وليقرأ إذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران، وآية الكرسي وإنا أنزلناه، وأم الكتاب فإن فيها حوائج الدنيا والآخرة^(١).

١٢- وفي نفس المصدر روي عن الامام الصادق عليه السلام: كان سبب نزول المعوذتين أنه وعك رسول الله ﷺ فنزل عليه جبرئيل بهاتين السورتين فعوّذه بهما^(٢).

والأخبار في هذا الصدد كثيرة جداً وقد تناولها العلامة المرحوم الشيخ محمد باقر المجلسي في بحار الأنوار^(٣). وهي تفيد أن أسماء السور القرآنية كان موجوداً في عصر رسول الله ﷺ مما يعني أنها كانت مرتبة بهذا الترتيب، ومعروفة عند المسلمين بهذا النظم.

(١) البحار ج ١٩، ص باب ٣٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

المقالة الواحدة والسبعون

ثبات المسلمين وإنقيادهم للنبي ﷺ دليل على

صدق النبوة والقرآن

بعد أن انتهينا من الأدلة العقلية والنقلية - الآيات والروايات - على صحة القرآن الكريم وأنه مصان من التحريف والتلاعب، وأن المتداول بيننا اليوم هو نفس ذلك القرآن الذي نزل على النبي ﷺ نصل مع القارئ الكريم إلى نتيجة مهمة في هذه المقالة تتصل بما نحن فيه ألا وهي أفضلية القرآن على باقي الكتب السماوية، على أن أفضليته وتقدمه عليها لا ينحصر في عدم تحريفه وإنما في جهات أخرى ولعل أهمها هو تأثيره على النفوس، والذي يُعد معجزة خالدة وباقية إلى يوم الدين وهذا الأمر لم تجده في معاجز الأنبياء السابقين ﷺ والدليل على ذلك أن العرب قد عُرِفوا بغلظتهم وشدتهم وقساوة قلوبهم - نظراً إلى طبيعة البيئة التي عاشوا فيها - ولكنهم مع ذلك آمنوا بالقرآن، وانجذبوا إليه وتأثروا به، وخضعوا للنبي ﷺ وانقادوا إليه، بل تفانى بعضهم للدفاع عنه ولحمايته، وليس ذلك إلا لتأثرهم بالقرآن الكريم وحقانيته وعظمته وصدقه مما امتازوا به على سائر الأمم الماضية، وكان حواريو النبي محمد ﷺ أفضل من سائر الحواريين وليس هذا إلا لتصديقهم بمعجزة النبي ﷺ حتى فاق إيمانهم إيمان حوارى عيسى عليه السلام وموسى عليه السلام، فقد كانوا يبذلون نفوسهم ويجازفون بأرواحهم لحفظ النبي ﷺ على خلاف بني إسرائيل والحواريين الذين كانوا يقدمون أنفسهم على

نبيهم، ويعملون على حفظ ذواتهم أولاً كما هو مدّون في توراتهم وإنجيلهم، وكما حكى الله تعالى ذلك في سورة المائدة حينما طلب منهم موسى ﷺ أن يحاربوا في أريحا لفتح الشامات فامتنعوا قالوا يا موسى أن فيها قوماً جبّارين وإنّا لن ندخلها حتّى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون»^(١). فقام يوشع بن نون، وكالب بن يوحنا - المعروفين بالعلم والتقوى - بنصيحة بني اسرائيل وترغيبهم في القتال إلا أن القوم تمادوا في العصيان والإمتناع وقالوا: «قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون»^(٢). فهذا حال بني اسرائيل في عهد موسى ﷺ.

وأما وضعهم في عهد عيسى ﷺ فإنّ خواصهم وهم حواريو عيسى لم يظهر منهم الجزع والفرع والحزن عندما أُلقي القبض على النبي عيسى ﷺ ولم يفادوه بأنفسهم وأرواحهم، بل وقفوا ينظرون إليه دون أي ردّ فعل، وأكثر من ذلك فإنّ الذي خان عيسى ﷺ وسلّمه إلى اليهود مقابل ٣٠ قطعة من الفضة هو أحد هؤلاء الخواص وهو (يهوذا الانخريوطي) من الحواريين!! كما هو مذكور في الإنجيل. بينما امتاز المسلمون بالتضحية لنبيهم ﷺ دفاعاً عنه ولعلّ أوضح وأروع نموذج لذلك هو ليلة خروج النبي ﷺ من مكة إلى المدينة إحتياطاً من عمليّة قتل مدبرة قامت بها مجموعة من قبائل العرب، فخرج ﷺ ليلاً بعدما نام في فراشه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وهو يفاديه بروحه ليسلم النبي ﷺ وهو يعلم أن مجموعة كبيرة من المسلّحين سيدخلون عليه يريدون قتله والقضاء

(١) المائدة / ٢٢.

(٢) المائدة / ٢٤.

عليه، وحينما باتَ علي عليه السلام في فراش النبي ﷺ باهى الله تعالى به ملائكته وأنزل في حقه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١). فضلاً عن مواقفه في الحروب والغزوات فقد كان يبذل قصارى جهده ويرمي بنفسه في غمرات الموت ليصنع النصر للمسلمين.

وفي غزوة بدر عندما وصل النبي ﷺ قريباً من بدر، فأخبر أصحابه بذلك واستشارهم في الأمر ليكونوا على بصيرةٍ من ذلك، وخشي أن لا يكون للأنصار رغبة في القتال. فقام المقداد بن الأسود الكندي وهو أحد أصحاب النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، امض لأمر الله فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون.

والذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه).

وروي إن النبي ﷺ حينما توفي وارتحل عن هذه الدنيا: «كان الناس ضجة واحدة» فلم يكن عليهم أصعب من هذا الموقف مما يعكس تعاطفهم وحبهم للنبي ﷺ وخلاصة القول.

إن جميع صور البطولة والإستقامة والثبات التي تحلى بها المسلمون إنما جاءت بعد إيمانهم بالقرآن وتأثيره على نفوسهم وقلوبهم مما لم يتوفر مثيله في

(١) البقرة / ٢٠٧، قال الفخر الرازي في تفسيره ج ٥، ص ٢٠٤: نزلت في علي بن أبي طالب باتَ على فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه إلى الغار، ويروى أنه لما نامَ على فراشه قام جبرئيل عليه السلام عند رأسه، وميكائيل عند رجله، وجبرئيل يُنادي بخٍ بخٍ من مثلك يا ابن أبي طالب يُباهي الله بك الملائكة.

بني إسرائيل، فقد عمل القرآن على إخراج العرب من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم حتى وصلوا الذروة فيه كما وصفهم العالم الفرنسي المعروف في كتابه تمدن العرب، وحققوا أروع صفات المؤمنين والموقنين على خلاف الحواريين الذين عاشوا الشك بربهم كما وصفهم الإنجيل والقرآن الكريم حيث قالوا لعيسى عليه السلام: ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾^(١)؟! بينما يقول المسلم: «إن الله على كل شيء قدير ولا يعجز الله عن شيء في الأرض ولا في السماء» وكل ذلك بتأثير القرآن المعجز.

المقالة الثانية والسبعون

نزول القرآن دفعة واحدة ونزوله تدريجياً

إن من جملة امتيازات القرآن على سائر الكتب السماوية الأخرى أنه نزل دفعةً واحدة بتمامه، وكماله في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى البيت المعمور - في السماء الرابعة - أو بيت العزة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(١). ومعنى البيت المعمور هو قلب النبي ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢)، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(٣) فكانت نفسه الطاهرة ﷺ قد انصاغت بصياغة القرآن طيلة ٤٠ عاماً قبل البعثة وكان يعمل وفق بصائر القرآن طيلة الأعوام.

وكان للقرآن نزول تدريجي طيلة ٢٣ عاماً وهي سني نبوته الظاهرية فنزل عليه آية آية، وبتعبير آخر كانت الآيات تظهر من قلبه على لسانه ﷺ. فقد جاء في كتاب الكافي وبعض التفاسير عن المفضل بن عمر أن الإمام الصادق عليه السلام حينما تلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ و﴿وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ...﴾ و﴿... وَلَوْلَا نَزْلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جَمْلَةً وَاحِدَةً...﴾ قال المفضل: هذه الآيات في تنزيل القرآن فكيف ظهر الوحي في ثلاث وعشرين عاماً؟

(١) القدر / ١.

(٢) الشعراء / ١٩٣.

(٣) البقرة / ٩٧.

فقال الإمام عليه السلام: يا مفضل أعطاه الله القرآن في شهر رمضان وكان لا يبلغه إلا في وقت استحقاق الخطاب، ولا يؤديه إلا في وقت أمر ونهي فهبط جبرئيل بالوحي فبلغ ما يؤمر به قوله تعالى: ﴿لا تحرّك به لسانك لتعجل به﴾^(١).

المقالة الثالثة والسبعون

الإشارة إلى أسرار نزول القرآن تدريجياً بعد نزوله على قلب النبي دفعة واحدة.

لعلّ سائل يسأل: لماذا لم ينزل القرآن الكريم على النبي محمد ﷺ بشكل منظم ومرتب في ألواح كما نزل على موسى وعيسى عليهما السلام؟
والجواب: إنّ هذا النزول التدريجي للقرآن هو أحد دلائل عظمته وامتيازه على سائر الكتب السماوية، لأنّ في هذه الطريقة من النزول أسراراً كثيرة سنذكر بعضها بعد مقدمة قصيرة عن نزول التوراة والإنجيل بشكل دفعي فنقول: إنّ التوراة لم تنزل في أوائل بعثة موسى، بل كان بنو إسرائيل يعتمدون على كلام موسى نفسه إلى أن هلك فرعون والإنتهاء من قتال العمالة، واستقرار بني إسرائيل نزلت التوراة في طور سيناء بعدما انعزل موسى أربعين يوماً عن قومه فجاءهم وهو يحمل الأسفار الخمسة، والغريب في الأمر أن بني إسرائيل لم يشكّوا في موسى، بل عرفوه بالصدق وآمنوا به، ولكنهم مع ذلك كرهوا نزول التوراة واستثقلوها وخالفوها.

وأما عيسى عليه السلام فكانت مدّة نبوّته قصيرة جداً وهي ثلاثة سنوات وبعض الشهور وعليه فكان اللازم نزول الإنجيل عليه دفعة واحدة نظراً لقصر فترة نبينهم عليه السلام وليبقى هذا الكتاب - على فرض بقاءه - بيد الناس حينما يرتحل عنهم عيسى عليه السلام.

وأما القرآن المجيد الذي استمر نزوله نجوماً طويلة ٢٣ عاماً وفقاً لمتطلبات المرحلة وطبيعة الأحداث وما تقتضيه المواقف فقد كان في هذا النزول حكمة

بالغة للبشر وأسراراً عديدة منها:

أولاً: لإثبات إعجاز القرآن: فإنّ التحدي القرآني لفصحاء وبلغاء وشعراء العرب على أن يأتيوا بسورة، بل بآية وعجزهم عن ذلك دليل كبير على إعجاز القرآن، واستمرار هذا التحدي الذي استمر معه عجز البشر أكدّ سماوية القرآن وهذا أكثر تأثيراً من نزوله دفعة واحدة.

ثانياً: رحمة للمؤمنين: إنّ نزول القرآن التدريجي كان فيه نوع رحمة ولطف للمؤمنين، فإنّهم كانوا يأنسون ويزدادون إيماناً كلما نزلت عليهم آية كما قال الله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون﴾ فكلما نزلت عليهم آية وهم في جهاد عدوّهم كانت تزيدهم عزماً وثباتاً ورغبة في القتال، أو في بليّة وامتحان فكانت الآيات تثير فيهم روح التحمل والمواصلة والصبر، أو في مشقة وتعب فكانت الآيات ترغّبهم في الآخرة وشحذ الهمم و... الخ.

ثالثاً: الأثر البلاغي: ثمّ إنّ النزول المتواصل للقرآن مع ملاحظة القرائن الحالية والخصوصيات الخارجية كان له الإنعكاس المتزايد في ظهور بلاغة القرآن.

رابعاً: هداية الكفار: ونزول الآيات الزاجرة للكفار أو التي تهددهم وتبشّرهم بالمصير المشؤوم، أو تلك التي تجيب عن شبهاتهم أو تقطع استهزائهم، أو تلك التي تقطع رجائهم وآمالهم وتوعدهم بأنّ النصر للمسلمين وما إلى ذلك، فهذا النزول المرافق للحوادث كان له الأثر في نفوس الكفار، بل كان سبباً كبيراً في هداية الكثير منهم.

خامساً: نسبة القرآن إلى الله تعالى: ولو كان القرآن قد نزل كلّ دفعة واحدة على النبي ﷺ لزعم المشركون أنّ هذا الكتاب لهم، وأنّ هذه فصاحتهم وكلمااتهم، وأنّ محمداً ﷺ قد سرقه منهم، ولكن نزوله التدريجي منعهم من هذه

المحاولة؛ لأنهم إن زعموا ذلك لطالبهم الناس ببقيته يوماً بعد يوم.

سادساً: قبول العرب للإسلام: ولو كان النزول دفعي بما في القرآن من أحكام وتشريعات وتفريعات وواجبات لكان قبوله ثقيلًا على العرب، بل ولعلهم يفكرون بالفرار من الدين.

ولكن النزول التدريجي لهذه الأحكام جعلهم أكثر قبولاً للقرآن حتى أنهم دخلوا في الدين أفواجا، فمثلاً عند ما أراد الله تعالى أن يحرم عليهم الخمر فإنه سبحانه لم ينزل عليهم في بدايات نزول القرآن «لا تشربوا الخمر»؛ لأنهم سيستوحشون ويرفضون هذا القرآن وهكذا في الزنا والربا وقطع يد السارق و... لكنه سبحانه وتعالى أنزل عليهم هذه الأحكام بشكل تدريجي حتى يكون أقرب إلى القبول بمرور الأيام والسنين، فمثلاً جاء تحريم الخمر في السنة الرابعة للهجرة في المدينة المنورة، فروي إن الذين كانوا يشربونها ويبيعونها قاموا بتكسير الظروف وإراقة الخمر بأيديهم.

وبتعبير آخر إن هذا النزول التدريجي كانت الغاية منه تثبيت قلوب الناس على الطاعة والإعتقاد التام بالقرآن كما قال تعالى: ﴿كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾^(١).

وروي عن عبد الله بن عباس أنه قال: أخذ موسى الألواح بعد ما سكن عنه الغضب فأمرهم بالذي أمر الله أن يبلغهم من الوظائف فثقلت عليهم فأبوا أن يقرأوا بها حتى نتق الله عليهم الجبل كأنه ظلّه ودنى منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأقروا بها.

وقد أشار الله تعالى إلى هذه الحادثة في القرآن الكريم بقوله: ﴿إذ نستقنا

الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه
 لعلكم تتقون»^(١) أي أن بني إسرائيل لم يتحملوا تشريعات دينهم التي جاءت بها
 التوراة النازلة عليهم دفعة واحدة إلى أن هددهم الرب بأن جعل الجبل بالمقلوب
 فوق رؤوسهم، فظهر أن الحكمة من نزول القرآن تدريجياً هو من أجل قبوله
 وتلقيه وهضمه طيلة ٢٣ عاماً بكل حرية ورغبة، وبالفعل فقد كان ذلك وتحول
 العرب إلى أمة متمدنة قد صاغ القرآن نفوسهم، وهذب أخلاقهم وصحح
 سلوكياتهم، وقد أشار عدة من الكتاب إلى هذه الحالة الإيجابية منهم غوستاف
 لوجون في كتاب تمدن العرب، وكارليل في كتابة الأبطال وجرجي زيدان في
 التمدن الاسلامي وغيرهم ممن اعترفوا بتأثير القرآن على العرب مما يعني أنهم
 آمنوا به إيماناً جيداً.

المقالة الرابعة والسبعون

عربية القرآن إحدى جهات إعجازه

يتفق المسلمون على أنّ القرآن معجزة الرسول محمد ﷺ الخالدة مع إلفات النظر إلى أنّ هذه المعجزة ليست بلحاظ المجموع، بل كل سورة وكل آية وكل كلمة هي معجزة بحد ذاتها، فمن جملة إعجاز القرآن كونه نزل بلغة العرب، نعم مع قدرته سبحانه وتعالى أن ينزله بأي لغة أخرى ولكن حكمته اقتضت ذلك: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١) ولقد كان لهذه الخصوصية الأثر البالغ في الحفاظ على أصل هذه اللغة والسبب الحقيقي وراء استمرارها دون أن تتداخل بها اللغات الأخرى خلافاً لغيرها، ولم يتوقف الأمر إلى هذا الحد، بل كانت عربية القرآن سبباً فاعلاً لنشر هذه اللغة في الافاق وتداولها بين الناس وشهرتها بين الشعوب فخرجت من نطاقها المحدود إلى دائرة عالمية واسعة النطاق دون أن تتأثر.

وكانت للفصاحة التي نزل بها القرآن بعدين مهمين:
أولاً: تاريخي وهو أنّ هذه الفصاحة كشفت لنا الطريقة البليغة التي كان العرب يتحدثون بها آنذاك.

ثانياً: إنّ هذه البلاغة القرآنية ساهمت في الحفاظ على اللغة من الاختلاط والتداخل وظلّت جميلة ومتميزة إلى اليوم.
لإنّنا نعرف أنّ التوراة مثلاً لم تتميز بالبلاغة والفصاحة وإنما نقلت الألفاظ

والعبارات بمعناها ولكن بعد مرور فترة من الزمن اندثر النص الأصلي وأبدل بنصوص أخرى، وهذا بخلاف القرآن الكريم الذي كانت فصاحته وبلاغته إحدى أسباب الحفاظ عليه، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فالمعروف أن المستعمر كان يفرض سياسته ولغته على المستعمر - كما هو الحال في الجزائر - أو بالعكس كان المستعمر يتأثر بعادات ولغة المستعمر كما هو الحال في ألمانيا وإيطاليا حينما تأثر الألمان بعادات الإيطاليين وهذه من الأمور المعروفة تاريخياً وسياسياً، ولكن على خلاف ذلك كان العرب المسلمون يؤثرون على جميع المجتمعات التي يدخلونها فاتحين دون أن يتأثروا بهم، وكانت لغة القرآن تفرض نفسها دون منازع ودون عناء وإكراه، من آسيا وأفريقيا وأوروبا، بل كان الناس يجهدون أنفسهم لتعلم العربية، وأكثر من ذلك فإن الذين حاولوا القضاء على القرآن واللغة العربية من خلال تهميشها وإغائها ومنع تداولها فشلوا فشلاً ذريعاً من قبيل ممارسات كمال أتاتورك الذي منع تداول اللغة العربية حتى في الصلاة وعمل على طبع القرآن باللغة التركية وإلغاء النسخ العربية منه وحذف الأدب العربي من الدراسة والتعليم وغير ذلك، ولكن لم يطل الأمر كثيراً حيث انطوت صفحة هذا الدكتاتور المستبد ورجع كل شيء إلى الحياة في تركيا فقد عادت الصلاة بالعربية إلى المساجد وهكذا تداول القرآن العربي.

والأمر ذاته حصل في إيران إبان الحكم الشاهنشاهي حيث أشيع أن الشعب الإيراني فارسي الأصل لا يفهم من اللغة العربية شيء وعليه فلا فائدة من القرآن المطبوع باللغة العربية وتأصلت فكرة طبعه باللغة الفارسية من خلال المقالات في الصحف والمجلات ودعى إلى هذه الفكرة مجموعة قليلة من الذين يدعون الثقافة مستفيدين من نفوذهم في السلطة وتحشيد القوة السياسية ضد

الدين وقد حصل على أثر ذلك منع المجالس الدينية العمومية في المساجد، ومنع التجمعات الدينية فتركت المساجد في الظاهر ولكن عمل العلماء على تنوير أذهان الشباب المتحمس للدفاع عن الدين فكانت الجلسات السرية تعقد في البيوت وبشكل مكثف إلى أن تم كشف المخطط الرامي إلى تهيش الدين بالجملة وفعلاً فقد نجح المخلصون في كسب الرأي العام وفضح أساليب السلطة وعاد الناس إلى القرآن العربي وفشلت كل المحاولات لصدّهم عن ذلك وهو مصداق قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ وعاد تدوال التفاسير العربية للقرآن المجيد على الرغم من وجود تفاسير للقرآن باللغة الفارسية مثل تفسير أبو الفتوح الرازي وتفسير الخواجة عبد الله الانصاري، وتفسير منهج الصادقين لملا فتح الله الكاشاني، والمواهب العلية لملا حسين الكاشفي، وتفسير لمعين الدين ميبدي، وتفسير لوامع التنزيل لمير سيد علي القمي الرضوي وغيرها.

ولكن كما قلنا إنّ الترجمة للنصوص القرآنية تفتقر إلى الجمال البلاغي الذي تتمتع به الكلمة العربية والابعاد المعنوية التي يتخللها كل من يفهمها، فمثلاً قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ فعندما نفسرها بالفارسي يكون المعنى إنّ الله واحد لا غير، ولكن حينما نفكك العبارة ونفسرها بالعربي نقول (هو) اسم إشارة و(الهاء) وحدها تفيد التنبيه والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس وهذا ما ينطبق مع عقيدة التوحيد الخالصة بأنّ الربّ لا يمكن إدراكه بالأبصار، لأنّه ليس جسماً، وكلمة (الله) هو اللفظ الذي تنطوي تحته جميع الأسماء الإلهية المستجمع لجميع صفات الكمال، وكلمة (أحد) إشارة إلى الصفات الذاتية أي لا توجد ذات كهذه الذات وبعبارة أخرى وجوب الصفات لهذه الذات التي ليس لها شريك، لأنّ (الاحد) تعطي معنى الأوحدي ما لا ثاني له أي ليست من عالم الأرقام بخلاف (الواحد) الذي يستتبعه ثاني وثالث...والخ، لأنّ من الأرقام وأيضاً فإنّ (الواحد) يطلق على

العاقل وغير العاقل بينما (الاحد) يُطلق على ذوي العقول حصراً.
وأيضاً ذكر العلماء إنَّ (أحد) تشير إلى الوحدة الحقيقية التي لا تطراً عليها
الكثرة والتي لا تحتاج إلى تقييد وشروط لظهور معناها، بخلاف (الواحد) ذات
باعتبار الكثرة.

وحاصل ما تقدم إنَّ للغة العربية أبعاد عجيبة ولطائف غريبة ومعاني طريفة
لا توجد في لغة أخرى ولهذا كان للآيات القرآنية إعجاز في التراكيب واعجاز في
المعاني واعجاز في البلاغة والفكرة وهكذا، ومن هنا تحدّى الربّ سبحانه وتعالى
البشر بأنْ يأتوا بآية مثله وعلى غرار إعجازه.

المقالة الخامسة والسبعون

فصاحة القرآن وكلام الوليد بن المغيرة مع النبي ﷺ

قلنا سابقاً إنَّ إعجاز القرآن له جهات وجهات كثيرة حتَّى أنَّك تجد الفيلسوف والفقير والطبيب والمستكشف والمحقق والحكيم وحتَّى الإنسان العادي كل ينهل ويستفيد شيئاً من القرآن وتراه في ذهول عجيب عندما يجد الحقيقة في القرآن قد دوّنت بمفردات في غاية الروعة والبلاغة وبمنتهى الفصاحة وهي - الفصاحة أو البلاغة - ما نريد التحدث عنها في هذه المقالة.

فعلماء البيان ذكروا عدة شروط لبلاغة الكلام منها:

١- أن لا تكون الحروف ثقيلة في أدائها.

٢- أن لا يشتمل الكلام على مفردات غريبة وخارجة عن قواعد اللغة.

٣- إيصال المطالب بكلمات أدبية سهلة.

٤- مراعاة البلاغة في الكلام.

٥- مطابقة الكلام مع مقتضى الحال.

وعلى ضوء ذلك فيجب أن يمتاز المتكلم بالقدرة البلاغية الفائقة ليكون كلامه بليغاً بعيداً عن الاطناب الممل، والإيجاز المخل والتكرار، ومراعاة التقديم والتأخير والتنكير والتعريف والتقييد والإطلاق وغير ذلك مما لا تسعه هذه المقالة.

وهذا ما امتازت به آيات القرآن المجيد فأنه في غاية البلاغة والفصاحة، بل له مرتبة بلاغية عالية جداً لا يدركها إلا أهل التخصص والذوق الأدبي الرفيع،

وفي نفس الوقت للقرآن مرتبة بلاغية وفصاحة عربية يدركها كل من ينطق بهذه اللغة، وهذه صورة من صور إعجازه فإنه استجمع الأمرين معاً في آياته وكلماته. وهذه الحقيقة كانت في زمان نزول القرآن ومستمرة مع كل حقبة زمانية أخرى، ولهذا تأثر فصحاء العرب وبلغائهم وأهل الشعر والأدب منهم بالقرآن الكريم وتوصل المشركون إلى نتيجة مهمة وهي عجزهم التام عن وصف هذه الدرجة الفائقة من البلاغة ورأوا من المناسب إطلاق لفظ «السحر» على هذا القرآن!!

حيث ينقل التاريخ إنَّ المشركين حينما عجزوا عن مواجهة بلاغة القرآن الكريم توجهوا إلى الوليد بن المغيرة الذي كان يتحاكمون إليه في الأمور وكان عم أبي جهل فقالوا له: يا أبا عبد شمس ما هذا الذي يقوله محمد ﷺ؟ فقال: دعوني اسمع كلامه فدنا من رسول الله ﷺ وهو جالس في الحجر فقال: يا محمد أنشدني شعرك فقال ﷺ: ما هو بشعر ولكنه كلام الله الذي به بعث أنبيائه ورسله، فقال: أتل. فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم حم السجدة فلما بلغ إلى قوله: (فإن أعرضوا قل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فلما سمع ذلك الوليد اقشعر جلده وقامت كل شعرة في بدنه وقام ومشى إلى بيته ولم يرجع إلى قريش فقالوا: صبا أبو عبد شمس إلى دين محمد ﷺ فاغتمت قريش وغدا عليه أبو جهل فقال: فضحتنا يا عم قال: يا ابن أخي أنا على دين قومي ولكني سمعتُ كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود، فقال أبو جهل: أفشعر هو؟ قال: ما هو بشعر، قال: فخطب؟ قال: لا إنَّ الخطب كلام متصل وهذا كلام منشور لا يشبه بعضه بعضاً له طلاوة، قال: فكهانة؟ قال: لا، قال فما هو؟ فقال: دعني أفكر فيه، فلما كان من الغد قالوا: يا

أباعبد شمس ماتقول؟ قال: هو سحر فأَنه أخذ بقلوب الناس^(١).

ولهذا السبب اطلقوا لفظة «الساحر» على النبي ﷺ، لأنّ كلامه أي القرآن يسحر قلوب الناس من شدة بلاغته وجزالته وفصاحته وقوته مع أنّ كلماته من جنس كلمات العرب التي يتداولونها وهذه هي معجزة القرآن الخالدة.

(١) سفينة البحار للشيخ عباس القمي: ج ٢، ص ٦٨٩.

المقالة السادسة والسبعون

القرآن الكريم ليس بشعر، وما هو الفرق بينه وبين الشعر؟

حينما أنبهر المشركون بأسلوب القرآن، وتراكيب كلماته وبديع نظمه ولطافة أدبه وعجزوا عن مقارنته وتحديه، اتهموه بكونه شعراً واعتبروا النبي ﷺ شاعراً ملهماً يأخذ بقلوب الناس شعره، إلا أن الله سبحانه وتعالى نفى عن نبيه وكتابه هذه الإتهامات الباطلة فقال تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾^(١).

فإنه ﷺ نبي لا يجوز أن يخوض فيما يخوض فيه الناس والشعراء، ثم أن هذا القرآن - بناءً على عود الضمير إلى القرآن في قوله «هو» - ليس من قبيل الشعر؛ لأنه ليس مقفى وموزون، بل هو كتاب موعظة وإرشاد وهداية.

ولأن الشعراء - لا سيما في تلك الحقبة - عرفوا بالإستغراق والمبالغة، بل وحتى الكذب ونسج الخيال ولذا قيل: أحسن الشعراء أكذبهم فمثلاً ذكروا في التاريخ أن لبید بن ربيعة، وحسان بن ثابت كانا من أشهر الشعراء في الجاهلية، أو ممن يشار إليهم بالبنان ولكن حينما دخلا الإسلام وتشرفا بهذا الدين نهاما رسول الله ﷺ عن الكذب حتى تنزل شعرهما ولم يكن بتلك القوة التي كان عليه أيام الجاهلية.

وهذا بخلاف القرآن الذي جعل الصدق إحدى القيم الإنسانية التي دعى

الناس إليها ومع ذلك حافظ على بلاغته، فإن القدرة الإلهية، لا يمنعها أن تجمع بين الأمرين أعني المحافظة على الصدق وعدم المبالغة وعدم رسم الخيال ونسج الأساطير والمحافظة على الفصاحة والبلاغة.

ثمة أمر آخر يميّز بين القرآن والشعر وهو أن كلّ شاعر شهير له ميدانه الخاص به وساحته التي يبدع فيها لا غير فمثلاً عُرف امرؤ القيس بوصف النساء والخيول والطرب، وعرف الأعشى بوصف الشراب، ولا ينحصر الأمر في شعراء العرب، بل هذا سعدي الشاعر الفارسي الذي اشتهر شعره بالغزليات، وفردوسي الذي عرف بشعر الحرب والقتال وغيرهم آخرين.

بينما تميزت بلاغة القرآن في الميادين كافة، ولم تنحصر فصاحته في ميدان دون آخر كما هو بالنسبة للشعراء، بل كلّه فصاحة وبلاغة وقوة ومتانة.

وتجدر الإشارة إلى أمر آخر في غاية الأهمية وهو أن أبلغ القصائد لا يُشتهر منها إلا بيت أو بيتين أو ثلاث من مجموع القصيدة كلّها، وقد تشتهر بمطلعها لقوته أو بغيره لفصاحته أو جزالته مع بلاغته أو غير ذلك، بينما الأمر على خلافه في آيات القرآن فكلّها متانة وفصاحة وبلاغة وكل آية تجذب الأدباء والبلغاء والفرق الأخير بين القرآن والشعر أن أمهر الشعراء حينما يكرر مطلباً واحداً نلاحظ أن مستوى النظم وقوة التعبير تقل في الحالة الثانية أو الثالثة ممّا يعني محدودية قدرة البشر عن تكرار المطالب بنفس القوة والبلاغة، بينما يحافظ القرآن المجيد على قوّته في البلاغة والفصاحة والتركيب واختيار المفردات المؤثرة في كل مرة يكرر فيها مطلباً معيناً كالقصص والمبدأ والمعاد وذكر عقائد الناس أو ذكر صفات الله تعالى وقضائه وقدره، فالتكرار القرآني يزداد تألقاً في عالم البلاغة والفصاحة وهذا ما سنشير إليه في المقالة الأخرى.

المقالة السابعة السبعون

التكرارُ القرآني دليل على بلاغته!

من جملة الأدلة الباهرة على إعجاز القرآن الكريم هو أسلوب تكرر القصص، الذي قد يثير الدهشة عند بعض الناس لينطلوا في تساءلهم عن سر هذا التكرار لا سيما لقصص الأنبياء عليهم السلام.

والحال أننا نفهم من هذا التكرار إعجازاً لا نظير له، وفوائد وحكم كثيرة وأبرزها إثبات إعجاز هذا الكتاب المقدس وكونه صادراً عن الحق سبحانه وتعالى؛ لأننا نعرف أن كل من يريد أن يقصّ حكاية أو يكتب رواية فإنه يبذل قصارى جهده العلمي والأدبي والبلاغي لإبرازها بصورة جميلة تتسم بالروعة مستعيناً بمفردات تجذب السامع والقارئ ويلبسها حلة الفصاحة والوصف الدقيق ليكون النجاح حليف الراوي أو الكاتب. ولكننا حينما نطلب منه أن يكتب لنا نفس القصة ولكن بوصف آخر وبلاغة ثانية وحلة أخرى فإنه قد يكتبها ولكن لانشك في أنها دون الأولى في بلاغتها وجمالها وهذا يعني أن الإنسان لا قدرة لديه في الإستمرار، نعم قد تنجح بعض أعماله الأدبية لا كلها.

بينما نجد التكرار في القصص القرآنية يمتاز بالجمال في كل أبعاده وزواياه؛ لأن صياغة هذه القصص وتكرارها في كل مرة يختلف عن المرة الأولى وبالتالي ففي كل تكرار تجد بلاغة خاصة وفصاحة متميزة حتى أنك تشعر أمام قصة جديدة في كل مرة، ولهذا فإن أهل التخصص من العلماء والبلغاء يكتشفون أشياء جديدة في كل مرة يقرأون فيها القرآن كأنهم يقرأونه للتو، وهذا من أكبر الأدلة على سماوية هذا الكتاب وإعجازه وأنه خارج عن قدرة البشر حتى بالنسبة

للنبي الخاتم محمد ﷺ.

فأنا شخصياً قد قرأت القرآن آلاف المرات - مجزئاً وكاملاً - وأقسم بالله أنني في كل مرة كنت أجد مطلباً جديداً من الآيات القرآنية، بل وحصل معي وبشكل مكرر أنني ومن على المنبر كنتُ أثناء المحاضرة أحصل على أفكاراً جديدة لم تخطر على بالي سابقاً ولم افكر بها مطلقاً ولكني وبمجرد أن أتلو الآية كانت بعض أسرارها وخلفياتها وأبعادها تشرق في ذهني من دون إعداد مسبق وهذا الأمر يحصل مع كل انسان يقرأ القرآن بتدبر ووعي وتأمل وانصاف.

يقول الفيلسوف الفرنسي الشهير «أرنست رنان» وهو أحد فلاسفة القرن الثامن عشر في كتابه «فلسفة الاجتماع»:

يوجد في مكتبتي على ما يربو ألف كتاب علمي وأدبي وفلسفي واجتماعي وسياسي وتاريخي وغيرها وقد قرأتُ كل كتاب من هذه الكتب مرة واحدة لا أكثر إلا كتاب واحد أضعه على طاولتي باستمرار وأقرأه بشكل متواصل وكلما أشعر بضيق وإرهاق أو أبحث عن باب من المعرفة، أو أريد أن أصل إلى نتيجة معينة أتناول ذلك الكتاب المليئ بالمعاني الدقيقة والعالية وفي كل مرة أقرأه يفتح لي بابٌ جديد من المعارف وتحل أمامي كل التعقيدات حتى أصل إلى نتيجة مهمة وهي قدرة صاحب هذا الكتاب وأنه لا نظير له في عالم البشر، أما حقيقة هذا الكتاب فهو قرآن محمد العربي نبي المسلمين العظيم.

هذا اعتراف من بين آلاف الاعترافات التي صرّح بها أهل العلم والتحقيق حول سماوية هذا الكتاب المجيد.

المقالة الثامنة والسبعون

القرآن بفصاحته وبلاغته تحدّي البلغاء؟

يحاول بعض أعداء الدين إلقاء الشك والشبهة في أذهان عوام الناس الذين لا خبرة عندهم بالمواضيع العلمية والدينية، معتقدون أنّهم من هذا الطريق يستطيعون الطعن في الدين، وكان هذا الدين في كل مرحلة وحقبة زمينة، وهو في الحقيقة لا يؤثر على المسار العام للدين ولا على أسسه ومبادئه وإنما يترك آثاراً سلبية على إيمان الناس، لأنّ الشبهة تجعلهم سكارى وحيارى لا سيما البسطاء منهم.

فمن جملة الشبهات في زماننا هذا قول البعض: إنّ معجزة القرآن في بلاغته وفصاحته حصرياً مع أنّ عامة الناس لا تدرك هذه البلاغة فكيف يؤمنوا بما لا يعرفون، وكيف يُستدل على الدين بالأدلة القاصرة الناقصة التي لا يفهمها الناس؟

والجواب عن هذه الشبهة قد تقدّم تقريباً ولكن نقول هنا: إنّ إعجاز القرآن له جهات عديدة وكثيرة ولا ينحصر في البلاغة فقط، نعم بلاغته من الأمور التي لا نزاع فيها، وأما عدم إدراك الناس لها وعدّ ذلك دليلاً قاصراً فله جوابان:

الأول: إنّ جميع معاجز الأنبياء السابقين كانت من هذا القبيل أي لم يدركها كل الناس أو عامة الناس وإنما أدركتها طبقة خاصة منهم، فمثلاً معجزة العصي لموسى ﷺ أدرك حقيقتها أولئك السحرة الذين تحدوا موسى ﷺ فقط، وأما الناس فلم يعرفوا من الأمر شيء، ومعجزة إحياء الموتى وشفاء المرضى للنبي عيسى ﷺ لم يدركها على واقعيتها إلا الأطباء الماهرون في عصره، وأما عامة

الناس فكانت ترى الظاهر من دون أن تعرف كنه الأمر، فليس المفروض أن يكون كل الناس سحرة ليكون إيمانهم وتصديقهم حقيقياً، وليس من اللازم أن يتمتع كل الناس بقابلية الطب ويكونوا أطباء ماهرين لتصدق معجزة عيسى عليه السلام، بل عجز أساتذة السحر والطب عن مقابلة هذه المعجزة كاشف عن صدقها وإيمانهم بهؤلاء الأنبياء كافٍ لزرع الإيمان في قلوب الناس، وبتعبير آخر أن هؤلاء الحكماء والأطباء إذا آمنوا - مع أنهم مجموعة قليلة - فيكون إيمان عامة الناس من باب أولى، وهذا ما حصل مع القرآن الكريم.

ثانياً: إنَّ البلاغة القرآنية ليست بالأسلوب الذي يمنع عامة الناس من فهم الجهات الأخرى التي تتحدث عنها الآيات، لأننا قلنا إنَّ للقرآن إعجازاً في التشريع والحديث عن الغيب وغير ذلك، وهذا غير محجوب عن عامة الناس وبالتالي لا تصمد هذه أمام الحق ولا ما كان على غرارها.

المقالة التاسعة والسبعون

لماذا أُخِصَ نبيُّنا ﷺ بمعجزة الكتاب دون غيره من الأنبياء؟

أحد الأدلة التي تثار هو ما سرُّ بعثة النبي محمد ﷺ بمعجزة القرآن دون غيره من الأنبياء السابقين؟ فلماذا تَخَصَّصَ أولئك بمعاجز عملية وانفرد النبي محمد ﷺ بمعجزة كلامية وهو القرآن؟
والجواب واضح ولعلنا ذكرناه طياً في المقالات السابقة ولكن يجدر بنا أن نفرده هنا.

ف نقول: إنَّ لكلَّ معجزة شرطين مهمَّين وهما:

١- أن يحدثها النبي أو الولي مستعيناً بالأسباب الغيبية غير الظاهرية.

٢- أن تكون من جنس ما يعرفه ويتداوله الناس.

وهذا واضح في معجزة موسى عليه السلام الذي قهر سحر السحرة، فسجدوا لله تعالى بعدما عرفوا عظمة ما أحدثه موسى بن عمران عليه السلام وأدركوا أنَّه ليس سحراً إذ كانت هذه الحرفة مما اشتهر في زمانهم ذلك فكانت المعجزة متناسبة مع ما اشتهر. وهكذا معجزة النبي عيسى عليه السلام إذ كان الطب والعلاج ومهارة التداوي من أشهر الأمور في ذلك العصر إلَّا أنَّهم لم يتوصلوا بعد إلى علاج الأمراض المستعصية أو المستحيلة من قبيل إعادة الروح إلى الميت فلما جائهم عيسى عليه السلام قهرهم بذلك وحقق لهم ما عجزوا عنه فأمن به مَنْ آمن.

وأما في زمان النبي محمد ﷺ فقد كانت البلاغة والفصاحة مما يتبادرون ويفتخرون به، فقد كانت لهم محافل للمطاردات الشعرية وأسواق - كعكاظ -

للسجلات الأدبية والخطب البليغة والأشعار المذهلة، بل كانت للعرب مواسم - كالحج - يجتمع فيها بلغاتهم وأدبائهم وشعرائهم فتلقى الخطب تلو الخطب والقصائد بعد القصائد وكانت كل قبيلة تفتخر على اختها بشاعرهم وخطيبهم، حتى أنهم علّقوا سبع قصائد هي غاية ما أجادت به قريحة شعراؤهم وأبلغ ما تكلم به العرب وأروع ما أنشأ من الشعر، فكتبوها بماء الذهب وعلّقوها على جدار الكعبة وهي المعلقات السبع - ٥٥٠ بيتاً - لامرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة وآخرين.

فكان الأدب والكلام والوصف والسجع والشعر والخطب والبيان هو ميدان هذه الأمة ولهذا بُعث النبي محمد ﷺ بقرآنه ليباريهم في ميدانهم نفسه وهذا سر بعثه بمعجزة القرآن، ولعلّه لو كان العرب قد اشتهر بينهم أمر آخر لبُعث النبي ﷺ بذلك كما قلنا سابقاً. ولهذا انقطع شعراء العرب حينما سمعوا آيات القرآن وأسلم بعضهم مثل لبيد وامتنع من قول الشعر وحينما سُئل قال: لقد أعطاني الربّ أفضل من الشعر وهو يعني سورتي البقرة وآل عمران.

المقالة الثمانون

الزنادقة يعترفون بعجزهم أمام القرآن!

لقد كان لأسلوب القرآن الأثر الكبير في تحطيم همم كل من حاول تحدّيه وعدم قدرتهم على الإتيان بمثله أو معارضته، وذلك؛ لأنّ آياته قد استعمل فيها كلّ ضروب البلاغة والفصاحة من التشبيه والتمثيل والاستعارة وحسن المطمع والفواصل، وحسن التقديم والتأخير والفصل والوصل وخلّوها من الألفاظ الركيكة والغريبة والشاذة...الخ.

حتّى اعترف كل فصحاء وبلغاء العرب بعجزهم وفي نفس الوقت لم يخفوا إعجابهم وتأثرهم بالقرآن، ولكن مع ذلك استمرّت محاولات تحدي القرآن عبر التاريخ، فهذا ابن أبي العوجاء الزنديق مع جماعته الدهريين عملوا على معارضة القرآن وإلقاء الشك في قلوب الناس في أيام الإمام الصادق عليه السلام ولكن حتّى هؤلاء حينما التقوا في موسم الحج جلسوا - وهم أربعة من كبار أئمة الكفر والدهاء والضلال ابن أبي العوجاء، وأبو شاكر الديصاني، وعبد الملك البصري، وابن المقفع فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا ننقض كلّ واحد منّا ربع القرآن، وميعادنا من قابل في هذا الموضع، نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كلّّه، فإنّ في نقض القرآن إبطال نبوة محمّد، وفي إبطال نبوّته إبطال الإسلام، وإثبات ما نحن فيه.

فاتفقوا على ذلك، وافترقوا، فلمّا كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام، فقال ابن أبي العوجاء: أمّا أنا فمفكّر منذ افترقنا في هذه الآية: (فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنْهُ خَلَعُوا نَجِيًّا) فما أقدر أن أضمّ إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئاً، فشغلتنني هذه الآية عن التفكير في ما سواها.

فقال عبد الملك: وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: (يا أيُّها الناس ضُربْ مثلاً فاستمعوا له إِنَّ الَّذِينَ تدْعُونَ من دون الله لن يخلقوا ذُبَاباً ولو اجتمعوا له وإنَّ يسلبهم الذُّبابُ شيئاً لا يستنقذوه منه ضَعَفَ الطالب والمطلوب) ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال أبو شاكر: وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: (لو كان فيها آلهة إلاَّ اللهُ لفسدتا) لم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال ابن المقفع: يا قوم إِنَّ هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: (وقيل يا أرضُ ابلعي ماءكِ وياسماءُ أقلعي وغيض الماءُ وقضي الأمرُ واستوت على الجوديِّ وقيل بعداً للقوم الظالمين) لم أبلغ غاية المعرفة بها، ولم أقدر على الاتيان بمثلها.

قال هشام بن الحكم: فبينما هم في ذلك، إذ مرَّ بهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال: (قُلْ لئن اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتُوا بمثل هذا القرآن لا يأتونَ بمثله، ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً).

فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا: لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت أمر وصية محمدٍ عليه السلام إلاَّ إلى جعفر بن محمد، والله ما رأيناه قط إلاَّ هبناه، واقشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرَّقوا مقرّين بالعجز ^(١).

(١) الاحتجاج للطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري، ج ٢، ص ١٢٣، ط قم الشريف الرضي.

المقالة الواحدة والثمانون

تحدي القرآن

قلنا إن القرآن الكريم هو أكبر الأدلة على نبوة الخاتم صلى الله عليه وآله ولم ينحصر هذا الدليل في تلك الحقبة التاريخية، بل أنه ممتد إلى يومنا هذا وما بعده، لأن الإعجاز القرآني ذاتي صادر من الحق سبحانه وتعالى ولهذا فالتحدي من هذه الجهة مستمر البقاء.

فقریش التي عُرِفَتْ بفصاحتها وبلاغتها وسحر منطقها وقوة أشعارها لم تستطع أن تتحدى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^(١)، ولكن مع فشلهم الذريع أخذتهم العزة بالإثم فاستمروا في مزاعمهم واتهامهم النبي ﷺ بتأليف القرآن، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢)، فكانت هذه الآية قد وضعت قریش في موقف حرج غير قادرين على الإتيان بعشر آيات - بعد فشلهم الأول - ولا باستطاعتهم مواصلة الإتهام للنبي ﷺ وليس بإمكانهم ترك عاداتهم في المواجهة أيضاً فشعروا بورطة حقيقية وأنهم قد ألقوا حجراً ولكن أئمة الكفر نصحوا أتباعهم في الإستمرار بما كانوا عليه، فزعموا أن الآيات الأخيرة أيضاً من تأليف النبي محمد

(١) الطور: ٣٣ - ٣٤.

(٢) هود: ١٣ - ١٤.

صلى الله عليه وآله، فنزل قوله تعالى ليكشف للناس باطلهم. ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾^(١).

فكانت هذه الآية الفاضحة لمزاعم قريش وتكابرهم على الحق وانهزامهم من المواجهة بسبب عدم قدرتهم على الإتيان ولو بآية واحدة، ولعل في قوله تعالى: ﴿ولن تفعلوا﴾ إخبار غيبي عن عدم قدرة الإنسان مطلقاً عن معارضة وتحدي القرآن وبالفعل فلم ينقل التاريخ نجاحاً لقريش أو لغيرها منذ نزول القرآن وإلى عصرنا هذا مما يدل على سماوية الإعجاز وأحقية النبوة الخاتمة وقد أشار القرآن إلى استمرار هذا الإعجاز الذي يستمر معه عجز البشر - في قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾^(٢).

وبالفعل فالذي يفشل عن الإتيان بسورة قصيرة أو بعشر آيات هو في فشله أولى إذا حاول الإتيان بكل القرآن ولذا توصلت قريش آنذاك إلى هذه النتيجة وقامت برفع المعلقات السبع من جدار الكعبة التي كان الهدف من تعليقها هو إبراز بلاغة العرب وإن هذه النماذج هي أرقى ما وصلت إليه في عالم الشعر والفصاحة، ولكنهم أدركوا أنه لا قياس بينها وبين بلاغة القرآن، بل لا يوجد وجه شبه بينها وبين آية واحدة من آيات القرآن الكريم وهي وقوله تعالى: ﴿يا أرض أبلعي ماءك وياسماء أقلعي﴾ فأنها أثارت استغرابهم وأذهلتهم لشدة بلاغتها وعجيب

(١) البقرة: ٢٣ - ٢٤.

(٢) الاسراء / ٨٨.

نظمها، ولهذا اعترفوا أن كلام محمد ﷺ أفصح كلام العرب، وأنه لا نظير له ليقاس به.

ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة تلاوة النبي ﷺ لقوله تعالى: (فَأَن أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثُمُودَ) وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ ذَهَلْ وَأَنْطَلَقَ مَبْهُوتاً إِلَى قَرِيشٍ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ سَحَرَكَ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ آتِئاً كَلَاماً مَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ وَأَنَّ لَهُ لِحَلَاوَةَ وَأَنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةَ، وَأَنَّ أَسْفَلَهُ لَمَغْدُقٌ وَأَنَّ أَعْلَاهُ لَمِشْرٌ، وَأَنَّهُ لِيَعْلُوا وَمَا لَا يُعْلَى^(١).

فكانت الحقيقة هذه يعترف بها الخصم، لأنها دليل واضح على عظمة القرآن معجزة خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

(١) راجع البداية والنهاية لابن الأثير ج ٣، ص ٧٨.

المقالة الثانية والثمانون

إخبار القرآن عن الغيب أحد أدلة صدقه وحقانيته^(١)

قلنا: إنَّ جهات الإعجاز في القرآن كثيرة وذكرنا إنَّ الإخبار عن المستقبل إحدى جهات إعجازه، ثمَّ أنَّ هذه الجهة لها عدة مظاهر ومستويات ونحن سنشير إلى حالة واحدة وهي إخبار القرآن في زمن النبي ﷺ عن انتصار الروم على فارس قبل بضع سنين من وقوع هذا الانتصار. وخلاصة القصة بما يتناسب مع حجم المقالة هو: أنَّه كانت هناك حرباً ضروساً بين الأباطورية الرومانية والأباطورية الفارسية فكل واحد يرغب في توسيع مملكته ويزيد من عدد رعاياه وثرواته فكان أخيراً أن انتصر ملك إيران خسروا پرويز على ملك الروم، واحتل كل من فلسطين والاسكندرية وأطرافها إلى القسطنطينية وهي جميعها كانت تحت تصرف الروم، فلما وصلت أنباء هذا الانتصار فرح المشركون من قریش؛ لأنَّهم اعتبروا إنَّهزام أهل الكتاب - الروم - أمام المجوس بشارة لإنهزام النبي محمد ﷺ الذي يدَّعي كتاباً مقدساً وفي حينها نزل جبرئيل حاملاً معه آيات عن الرحمن من سورة الروم يخبر فيها النبي والمسلمين وجميع العالم عن انتصار الروم فيما بعد هذا الإنهزام: ﴿وَأَلَمْ غُلِبْتَ الْرُومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سَنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ

(١) سيتناول المؤلف ﷺ في المقالات اللاحقة موضوع الغيب / المترجم.

ولكن أكثر الناس لا يعملون^(١)، ففرح المسلمون بهذه البشارة حتى أن أحد الصحابة راهن أبي بن خلف وهو من مشركي مكة إذ زعم الأخير أن محمداً ﷺ يكذب في إخباره هذا بينما أيقن المسلمون بما جاء به النبي ﷺ فراهنه - وذلك قبل أن يحرم الرهان في الإسلام - إن لم تغلب فارس في سبع سنين - على أساس أن كلمة بضع تعني ٧ - فقال له رسول الله ﷺ: لِمَ فعلت ذلك فكل مادون العشرة بضع ثم أمره أن يذهب إلى أبي ابن خلف ويراهنه ما بين ٣ إلى ٩ سنين ففعل ذلك، فكان ظهور فارس على الروم في تسع سنين ثم أظهر الله الروم على فارس زمن الحديبية ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب فذهب ذلك الصحابي وأخذ الرهان من ورثة أبي ابن خلف؛ لأنه كان قد جرح في معركة بدر وتوفى في مكة، وأمره رسول الله ﷺ أن يتصدق بها على الفقراء^(٢).

فكان هذا الإخبار أحد الأدلة البارزة والكبيرة على صدق النبوة، وصدق القرآن، وأنه كتاب من الله تعالى وكل عاقل ومنصف يقطع بذلك لا محالة لا سيما أناس ذلك الزمان الذين غاصروا قدرة الفرس حيث لا يتصور أحد أنهم سيهزمون أمام الروم ولكن مع ذلك تحققت النبوة، وغلب الروم فارساً وليس ذلك إلا دليلاً قوياً على صدق الكتاب.

(١) الروم / ١ - ٦.

(٢) مجمع البيان: ج ٨، مطلع تفسير سورة الروم.

المقالة الثالثة والثمانون

إخبار القرآن عن فتح مكة

ومن جملة الإخبارات الغيبية التي تدلُّ على صدق النبوة والقرآن هو إخباره عن فتح مكة على يد المسلمين وتحريرها من لوث المشركين قبل عام من حدوث ذلك تقريباً، فعندما ذهب النبي ﷺ مع أصحابه إلى مكة عام ٦هـ منع من دخولها وعقد الهدنة حينها مع قريش، وبينما هو كذلك رأى في منامه رؤيا كأنه دخل مكة فاتحاً وقد حلق رأسه وأخذ أظفاره، وفي الصباح قصَّ رؤياه على المسلمين وحينما سألوه عن تفسيرها قال لهم: إنهم سيدخلون مكة محلقين فاتحين، فتعجب المنافقون من هذا الكلام فهبط الأمين جبرئيل على قلب النبي ﷺ ليطمئن قلوب المسلمين بقوله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾^(١) فقد جاءت هذه الآية ببشارتين الأولى فتح مكة في صدر الآية، والثانية فتح خيبر في ذيل الآية ولكن فتح حصون خيبر سيكون قبل فتح مكة، تلك الحصون التي لم يظفر بفتحها أي أحد قبل ذلك لوجود أبطال اليهود فيها أمثال مرحب، والحارث وغيرهما، وفعلاً فقد تمَّ فتح قلاع خيبر ومن بعدها دخل المسلمون مكة فاتحين آمنين خلال عام واحد وهذا دليل آخر على صدق القرآن الكريم.

المقالة الرابعة والثمانون

إخبار القرآن عن عودة رسول الله ﷺ إلى وطنه

ومن جملة مغيبات القرآن الدالة على أنه من عند الله هو إخباره عن عودة النبي ﷺ إلى وطنه الأصلي مكة، فحينما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة بسبب الضغط الجاهلي عليه وأتباعه ومحاولة اغتياله وجد في نفسه شيئاً من الضيق أو الحنين إلى وطنه وأرضه وذلك في منطقة الجحفة. عندها هبط جبرئيل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾^(١)، فكانت بشارة عظيمة تلقاها النبي ﷺ تُنبئه عن رجوعه وعودته إلى أرض الميعاد فاستبشر ﷺ لذلك وكانت نبؤة كبيرة؛ لأنَّ الله أخبر عن شيء مضمّر في قلب النبي ﷺ لم يطلع عليه أحد، ومن جهة ثانية فإنَّ هذه الآية تتضمن إخباراً غيبياً آخر وهو فتح مكة وإلا كيف سيعود إليها النبي ﷺ مع وجود المشركين؟ ولا يخفى على القارئ اللبيب أنَّ في القرآن الكريم آيات أخرى على غرار هذه الآية أي ما تتضمن إخباراً عن فتح مكة مثل قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تَحِبُّونَهَا نَصْرَ اللَّهِ وَفَتْحَ قَرِيبٍ وَبَشَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحَ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا...﴾^(٣).

وعليه فكانت هذه الآيات تبطل كلَّ مزاعم المشركين وتذهب بدسائسهم، لأنَّها إخبارات غيبية تحققت لهم مع مرور الزمن لا سيما فتح مكة الذي عدَّ نصراً كبيراً دعى الكثير من القبائل، مثل أهل مكة واليمن والطائف وهوازن، وبني أسد وفزارة، وبني مرّة وبني كلب وكنانة، وبني هلال للدخول في الإسلام واعتناقه بعدما تأكد عندهم صدق هذه النبوءات.

(١) القصص / ٨٥.

(٢) الصف / ١٣.

(٣) النصر / ١ - ٢.

المقالة الخامسة والثمانون

سورة الكوثر إخبار غيبي آخر يدل على صدق القرآن

تعد سورة الكوثر أقصر سورة في القرآن وهي: ﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل
لربك وانحر إن شانتك هو الابر﴾ فقد اكتفى الحق سبحانه بأقل الكلمات للإشارة
إلى أعظم النبوءات^(١) والملاحظ إن هذه الكلمات سهلة المخرج خفيفة على
اللسان وذات نظم بديع، ومعناها - كما أفاده المفسرون - إنا أعطيناك الخير الكثير
في الدنيا والاخرة، أما في الاخرة فهي عبارة عن نهر يُدعى الكوثر يجري من
تحت العرش ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل والين من الزبد، كل مَنْ
شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً^(٢).

وروي إن الكوثر هو المقام المحمود وهي شفاعة النبي ﷺ^(٣). وأما الخير

(١) للقرآن إخبارات غيبية كثيرة جداً مثل انتصار الإسلام على الشرك، والذل الذي سيصاب به
اليهود وعدم إيمان أبي لهب، وانتصار المسلمين على الكفار في حرب بدر، ونزول الملائكة،
ومحاربة اليهود من القلاع، وبقاء الإسلام، وسلامة القرآن من الأشرار وغيرها من الإخبارات
التي حصلت في ذلك الزمان أو التي هي حاصلة مما سنشير إليه أو ممّا سيحصل في
المستقبل، فلو أردنا أن نقف على جميع ذلك فأنه يحتاج إلى كتاب مستقل ولذلك نحن
نكتفي في هذه المقالات بالإشارة إلى بعضها وبشكل مختصر / المؤلف رحمه الله.

أقول: هذا الكلام كان في المتن ولكن رأيت من المناسب أن أدرجه في الهامش / المترجم.

(٢) تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني: ج ٤، ص ٥١٢.

(٣) انظر تفسير البرهان: ج ٤، ص ٥١٤، ح ١٠، وروي إن من الكوثر تتفرع عدّة أنهر لا يوجد
بستان من بساتين الجنة إلّا وفيه نهر من الكوثر، وروي إن الكوثر حوض يقف عليه الإمام
أمير المؤمنين علي عليه السلام يسقي منه شيعته.

الكثير في الدنيا فله عدة مظاهر، أحدها إن ذكره ﷺ المبارك مستمر وجار كما يجري الكوثر واسمه الشريف يتلو اسم الله تعالى، بل هو ﷺ مظهر عظيم لصفات الله تعالى ولهذا ورد الأمر بوجوب طاعته ﷺ مطلقاً في العديد من الآيات مثل قوله: ﴿مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١).

وثانيها: إن النبي ﷺ الخاتم أفضل الأنبياء والمرسلين وأنه معروف عند الملأ الأعلى كما هو مشهور في الأرض، وأن اسمه مشتق من اسم الله «المحمود» وأنه ليذكر بعد كل شهادة لله تعالى في الأذان والإقامة وأن الصلاة عليه عبادة وسبب لكفارة الذنوب، وترك الصلاة عليه وآله في تشهد الصلاة عمداً مبطل لها^(٢).

وثالثها: إن الله تعالى أنزل عليه القرآن الكريم وهو خير كثير مستمر لإستمرار إعجازه وبسببه استمر اسم النبي العظيم وسيبقى إلى الأبد؛ لأنه اقترن بالله تعالى: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ وقال: ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ وقال: ﴿اطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ وهذا القرن المكرر في القرآن دليل على أنه ﷺ استثناء في عالم الأنبياء.

ورابعها: العلم الكثير الذي أعطي للنبي ﷺ وقد ورث هذا العلم النبوي الهائل وصيه أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهكذا خلقه الرفيع والعظيم هو أحد مصاديق الخير الكثير كيف لا وقد مدحه الله بقوله: ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾.

(١) النساء: ٨٠.

(٢) وأنشد حسان بن ثابت:

من الله مشهود يلوح ويشهد
إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
فدو العرش محمود وهذا محمد

اعز عليه للنبوة خاتم
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه
وشق له من اسمه ليجله

وخامسها: كثرة الأتباع في كل أصقاع الأرض وامتداد دينه وإزدياد المسلمين.

وسادسها: وأهمها هو استمرار نسله المبارك من ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام فهي الكوثر المشار إليه ونسلها الكثير هو أبرز مصاديق الخير الوفير، لأن سبب نزول هذه السورة هو أن عمرو بن العاص، والحكم بن أبي العاص كانوا يقولون عن رسول الله أنه أبتري أي لا ولد له وكان عمرو يقول أنني لأشأ محمداً أي أبغضه، فأنزل الله هذه السورة ومعناها أن مبغضك هو الأبتري لانسب له ولا دين فكانت هذه السورة قد أخبرت عن نبوة عجيبة؛ لأنها نزلت في مكة، وفاطمة عليها السلام كانت آنذاك ماتزال صبية صغيرة ومع ذلك أخبر القرآن الكريم أن ذرية النبي ﷺ ستستمر منها وبالفعل فقد كان ذلك، وأكثر من ذلك فقد خلد اسم النبي ﷺ وأسماء أهل بيته بخلاف مبغضيه وشائنيه، فإن ذكرهم قد مات مع محاولاتهم الكثيرة لإخلاق أسمائهم، واليوم تفتخر ذرية النبي ﷺ بهذا الانتساب الشريف بخلاف المنحدرين من نسل بني أمية وبني العاص، فإن ذكرهم ونسلهم قد انقطع وانتهى بل ويتحاشون ذكر نسبهم المشؤم^(١).

ومن الأمور الغريبة والعجيبة ما ذكره المرحوم ميرزا حسن خان اعتماد السلطنة في كتابه الذي طبع بأمر الملك ناصر الدين شاه القاجاري: «حجة السعادة في حجة الشهادة» فإنه تناول حوادث عام ٦١هـ وذكر فجيعة الإمام الحسين عليه السلام وظلم بني أمية وآل زياد ثم قال: في حينها كان لبني أمية وبني العاص اثنا عشر ألف طفلاً في المهد بينما لم يبق لآل محمد ﷺ من نسل الحسين سوى الإمام

(١) بسبب الجرائم التي ارتكبتها بنو أمية وبنو العاص وقد صُنِفَتْ كتب مستقلة تحدثت عن تلك الفجائع والإنتهكات مثل كتاب التنازع والتخاصم للمقرئزي، وكتاب الرد على المتعصب العنيد لأبي الفرج ابن الجوزي، ومقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني وغيرها / المؤلف.

السجاد وولده الصغير محمد الباقر عليه السلام في كربلاء بعدما تمّ قتلهم جميعاً، ورغم هذا التفاوت في النسبة لم يبق اليوم من بني امية وبني العاص إلا الاسم المقيت، بينما استمرت ذرية النبي ﷺ وهم بالملايين في عصرنا الحاضر فما أعظمها من معجزة؟! وهي تماماً مصداق قوله تعالى: ﴿فَقَطَعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

ثم إن في هذه السورة القصيرة - الكوثر - أمرين مهمين وهامين من الإعجاز بمكان:

الأول: إن الله وعد النبي ﷺ فيها أن يستمر نسله من ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام ومع بقاء هذا النسل الشريف يستمر الإسلام.

الثاني: إن الله وعده ﷺ أن يقطع نسل أعدائه ومناوئيه، وبالفعل فقد قطع دابر القوم الظالمين وهذه المعجزة التي استمرت منذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا هي أقوى دليل وبرهان على صدق القرآن وعظمة الإسلام.

المقالة السادسة والثمانون

إخبارات القرآن العلميّة

ومن جملة الإخبارات الغيبية في القرآن الكريم - الدالة على نزوله من الله تعالى - هو إخباره عن الحقائق العلمية التي لم يتوصل إليها البشر آنذاك فمثلاً تطرّق القرآن إلى حركة الأفلاك والكواكب وخلق السموات والأرض مما لم يكن معهوداً في زمان نزوله لسببين:

١- جهل العرب بذلك وابتعادهم عن مثل هذه الدراسات وإنشغالهم بفنّ الكلام والخطب.

٢ - شيوع نظرية بطليموس المصري القديمة حول الهيئة آنذاك، فإنّها تعدّ أفضل من الهيئة التي وضعها ديمقراطيس أو هيئة المصريين القدماء، وهيئة فيثاغورس وغيرهم فلم يحاول أحد تخطئة نتائج هذه النظرية بسبب شيوعها في أوساط الحكماء والعلماء وقبولهم لها ولعل عدم وجود التلسكوبات العظيمة آنذاك دعاهم إلى هضم هذه النظرية والعمل على وفقها، بل أنّها كانت بالنسبة إليهم كالوحي المنزل لا يجراً أحد على مخالفتها في مثل هذه الأجواء التي نزل القرآن - فيها حيث كانت غارقة في بحر الجهل والتخلف - وهو يتضمن آيات تطرّقت إلى الأفلاك وحركتها مما يخالف نظرية بطليموس ويأتي متطابقاً مع ما توصل إليه العلم الحديث مسعيناً بأحدث الأجهزة. فمثل هذا الكتاب الذي أخبر عن أمور مهمّة وغائبة عن حس الإنسان في ذلك الزمان لهو أكبر الأدلة على كونه كتاباً ليس من صنع البشر وتتلخص نظرية بطليموس أو ما يسمى بـ«الهيئة القديمة» بما يلي:

١- الأرض هي مركز جميع الكواكب.

- ٢- وهي كوكب ساكن غير متحرك.
 - ٣- توجد تسعة أفلاك والفلك عبارة عن جسم عظيم تستقر فيه النجوم.
 - ٤- الهواء محيط بالكرة الأرضية ومن بعده كرة النار ومن بعده كرة القمر.
 - ٥- ومن بعد ذلك يأتي فلك عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل وكل فلك يحيط بالذي قبله، وفلك البروج أو الثوابت محيط بالجميع.
 - ٦- والنجوم مستقرة في الأفلاك غير متحركة كاستقرار المسمار في الجدار.
 - ٧- وفلك الأفلاك محيط بفلك البروج ويُطلق عليه اسم فلك أطلس وهو الوحيد الذي يتحرك فإذا تحرك تحركت بحركته جميع الأفلاك.
- فالنظرية لا ترى أي حركة استقلالية للكواكب. بينما الهيئة الجديدة تقول:
- ١- إنّ الشمس هي مركز الكواكب (عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زحل، اورانوس، نبتون، بلوتو) وكلها تدور حول الشمس.
 - ٢- لكل كوكب مدار خاص به وهو الذي أطلق عليه بطليموس «فلك».
- وهذه بعض الفروقات بين الهيئة القديمة والحديثة وسأذكر البقية في المقالة القادمة إن شاء الله.

المقالة السابعة والثمانون

تطابق القرآن مع اكتشافات الهيئة الجديدة

ومن جملة الاكتشافات الجديدة التي لم يتوصل إليها القدماء:

١ - إن النجوم غير ثابتة في الأفلاك، بل هي أجسام متحركة لها مداراتها الخاصة.

٢ - والأفلاك عبارة عن مدارات هائلة في الجو لا يعلم نهايتها إلا الله تعالى.

٣ - ثمَّ أن هذه الكواكب والأقمار لا تخرج عن مداراتها أبداً.

وقد أشار القرآن بنوع من التعبير المنسجم مع إفهام الناس وطبيعة الإعجاز والفصاحة إلى هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾^(١)، فالطرائق هي المدارات التي تم كشفها، وأيضاً أخبر القرآن الكريم عن عدم خروج هذه الكواكب عن مداراتها في قوله: ﴿وَالْقَمَرُ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٢).

وأخبر القرآن أيضاً عن هذه الكواكب سابحة في الجو متحركة خلافاً للنظرية القديمة قال تعالى: ﴿وَالسَّابِحَاتُ سَبْحاً﴾^(٣) والملاحظ أن الله تعالى أتى بواو القسم فهو يقسم بهذه المخلوقات العجيبة ليلفت إنتباه الإنسان إليها وثمَّ ليتدبّر

(١) المؤمنون / ١٧ .

(٢) ياسين / ٢٩ - ٤٠ .

(٣) النازعات / ٣ .

في مثل هذه العجائب التي ترشده إلى خالقه.
وغير ذلك من الآيات العديدة التي تتفق مع النظرة الجديدة والاكتشافات
الحديثة عن الكون والأفلاك والكواكب مما يعكس عظمة هذا الكتاب المقدس
الذي أخبر عن كل هذه الأمور قبل أكثر من ألف وثلاثمائة عام وليس هذا إلا دليل
إعجازه.

المقالة الثامنة والثمانون

إخبار القرآن عن حركة الأرض

إخبار القرآن الكريم عن حركة الكرة الأرضية يُعد أيضاً من الدلائل الواضحة على صدق هذا الكتاب وأنه من عند الله تعالى؛ لأنه أخبر عن أمر غائب عن حس الناس لم يتوصلوا حينها إلى تلك الحقيقة، فالهيئة القديمة كانت تقول: إنّ الأرض ساكنة وجميع الكواكب السيارة تدور حولها، ولا يجراً أحد على مخالفة ذلك؛ لأنه أصبح بمرور السنين من المسلّمات، بل المقدسات وكل مَنْ يقول خلافه فإنه يُعاقب عقوبة ليست بالهيئة، فمثلاً حكمت المحكمة على البروفسور (برونو) - وهو أحد علماء القرن السادس عشر - بالسجن ستّ أعوام مع إحراق مكتبته الخاصة؛ لأنه قال بحركة الأرض!

وهكذا حكموا على غاليلو الفيلسوف الإيطالي بالسجن لنفس التهمة! وأجبروه على التنازل عن رأيه أمام الملأ، ولكنه بعدما خرج قال: إنّ العلم سيصدقني فجاء القرآن الكريم يشير إلى موضوع حركة الأرض ولكن بعباراته الخاصة التي يدركها مَنْ له باع في البلاغة العربية فلم يأتِ القرآن بلفظة (حركة) وإنما أكتفى بمرادفاتها والسبب يعود إلى أمرين:

١- لكي لا يواجه بالإتهام والإلغاء والشطب؛ لأنه خالف الهيئة القديمة

وبالتالي لا يستمع إليه .

٢- ولأنه اعتمد الألفاظ المتناسبة مع إفهام العرب وبما ينسجم من السياق.

فمثلاً قال الله تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً﴾^(١) والمهد هو المكان^(٢) الذي يُوضع فيه الطفل ويُحرَّك باليد حركة بطيئة وهادئة لا تؤثر على نومه، بل تساعد الطفل على رقاذه وسكونه وقد شبه الربّ تعالى حركة الأرض العملاقة بحركة المهد؛ لأنّها لا تؤثر على حياة الإنسان ولا يشعر بها أبداً، بل هي تساعد على الإستمرار والمواصلة في الحياة، فإنّ لهذه الحركة فوائد كثيرة منها مجيء الليل والنهار وتلطيف الهواء وتبدله دون أن يشعر الإنسان بذلك ودون أي اضطراب وقال تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً والجبّال أو تاداً﴾^(٣) والمهاد هو نفس المهد فترى القرآن يؤكد هذه الحقيقة في العديد من الآيات.

(١) لقد وقع المفسرون تحت تأثير نظرية بطليموس القديمة للأسف فلم يفهموا من كلمة مهد موضوع الحركة، وأنّها لفظة مجازية استفيد منها للإشارة إلى حركة الأرض وإنما جمدوا على تلك النظرية، والعجيب أنّ في زمانني هذا ممّن عليه هالة القداسة لا يزال يعتقد بالنظرية البطليموسية القديمة ودليله في ذلك هو أنّنا لا نحس ولا نشعر بحركة الأرض ولو أنّها كانت تتحرك لرأينا ذلك هذا من جهة، ومن جهة ثانية أنّ القدماء صرّحوا بأنّها ساكنة فيكون قولهم مطابقاً للواقع!!

هكذا استدلّوا للأسف ولا أجدني بحاجة إلى ردّ المزاعم بعدما اتضح كلّ شيء اليوم. / المؤلف.

(٢) طه / ٥٣.

(٣) النبأ / ٦.

المقالة التاسعة والثمانون

تتمة البحث السابق عن حركة الأرض في القرآن

ومن جملة الآيات القرآنية التي تطرقت إلى حركة الأرض قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(١)، فكلمة ذلولاً إشارة واضحة إلى حركة الأرض؛ لأنّ معنى الذلول في لغة العرب يُراد منها الناقة السريعة وهي أفضل أنواع الإبل وقد استعمل الربّ هذه اللفظة ليرشد ذوي العقول والبصائر إلى أنّ الأرض في حركتها سريعة جداً ولكن الإنسان لا يشعر بذلك بدليل قوله ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فهو يمشي ويعمل ويعيش دون أن تؤثر عليه هذه الحركة السريعة التي شبهها بسرعة الذلول.

ومن جملة الآيات الأخرى قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٢)، وأحد معاني كلمة دحى هو التحريك أو الحركة التي يتصف بها الجسم وفي ذلك إشارة إلى حركة الأرض سواء نفسها أو حول الشمس^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَتَبَرَّى الْجِبَالِ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾^(٤)

(١) الملك: ١٥.

(٢) النازعات: ٣٠.

(٣) وللمزيد يراجع كتاب الموائد للعلامة مير سيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني المتوفى عام ١٣١٥هـ، وكتاب الهيئة والإسلام للعلامة السيد هبة الدين الشهرستاني فقد استعان بالعديد من الآيات لإثبات حركة الأرض / المؤلف.

(٤) النمل / ٨٨.

وقوله: ﴿ءامنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾^(١) أي تتحرك وقوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾^(٢) وغيرها من الآيات، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الذين فسروا كلمة الدحو بالإنبساط وضيقوا الخناق على هذا المعنى دون غيره هم مخطئون بلا شك، ولعلني في هذه الرواية سأؤكد ما ذهبتُ إليه في تفسير كلمة «دحاها» بالحركة لا بالإنبساط، والرواية ذكرها العلامة المجلسي ضمن خبر طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: فلما خلق الله الأرض دحاها من تحت الكعبة ثم بسطها على الماء فأحاطت بكل شيء^(٣).

فكانه ﷺ عطف كلمة (بسطها) على (دحاها) والعطف يقتضي المغايرة وبما أنه ذكر البسط فإذا المراد من دحاها هو الحركة كما قلنا.

(١) الملك / ١٦ .

(٢) فصلت / ١١ .

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٤، ص ٨٨، ح ٧٣، عن تفسير الامام العسكري.

المقالة التسعون

للمشمس حركتان وضعية وانتقالية

هذه المقالة دونتها على أثر بعض الرسائل التي وصلتني خلال هذا الأسبوع يسألوني مركزية الشمس وحركة الأرض حولها ألا يعد ذلك مخالفاً للقرآن الكريم الذي صرح بحركة الشمس أيضاً كما صرح بحركة الأرض مثل قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾^(١) ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾^(٢) ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾^(٣) وغيرها.

والجواب: إن علماء الهيئة والفلك ذكروا أن للشمس نوعين من الحركة، وحينما قالوا: إن الشمس مركز للأرض لم يقصدوا أنها ثابتة، بل لها حركة حول نفسها، وحركة في الفضاء مع جميع توابعها وما حولها من الكواكب والأقمار، فالأولى أطلقوا عليها اسم الحركة الموضعية وهي تستغرق ٢٥ يوماً ونصف اليوم، والثانية الحركة الانتقالية مع توابعها وهي حركة سريعة جداً في الفضاء الذي لا يعلم حدوده إلا الله وقد ذكروا أن سرعتها تقدر بـ (٤٢٢٠٠٠) ألف ميل في اليوم الواحد.

فالنظرية القائلة إن الشمس متحركة هي الصحيحة وهي الموافقة للقرآن والواقع وقد يعد المتقدمون والمتأخرون على صواب سواء قالوا بالحركة الوضعية

(١) ياسين / ٣٨.

(٢) إبراهيم / ٣٣.

(٣) ياسين / ٤٠.

أو الإنتقالية؛ لأنّ القرآن يشير إلى مطلق الحركة المنتظمة للشمس، ولكننا إذا نظرنا إلى الآيات بدقة نرى أنّ أراء الفلكيين المتأخرين والمعاصرين هي الأصح كما أشار العلامة مير سيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني، والعلامة السيد هبة الدين الشهرستاني حيث أنّ قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ إشارة إلى الحركة الإنتقالية أي أنّ الشمس برفقة توابعها تجري وفق مسار منتظم إلى أن تصل إلى مستقرها الذي حدده الخالق تبارك وتعالى.

ولكن العلامة المرعشي ذكر إن حرف اللام في كلمة (المستقر) بمعنى (في) أي أنّ الشمس تجري في مستقر لها وهي إشارة إلى الحركة الوضعية أي دوران الشمس حول نفسها.

ومن الأدلة على ما افترضنا به مقالتنا أعني إثبات الحركة الوضعية والإنتقالية للشمس قوله تعالى: ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾ أي متحركين وحركة القمر حول الأرض، والأخيرة حول الشمس فهذا تسخير القمر، وأمّا الشمس فإنّها تتحرك مع أقمارها في فلك خاص ومدار معين خلافاً للنظرية القديمة التي زعموا فيها أنّ الكواكب ثابتة كثبات المسمار في الجدار.

وهكذا قوله تعالى: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ فإنّه صريح في الحركة الإنتقالية وإشارة إلى سرعة القمر وبطئ الشمس فقد ذكر العلماء إنّ الشمس وتوابعها تدور في الثانية الواحدة ١٤ ميلاً، بينما يسير القمر ٢٠ ميلاً في الثانية الواحدة وعليه فلا تدرك الشمس القمر كما أخبر ربنا قبل أكثر من ألف عام في القرآن العظيم معجزة النبي محمد ﷺ وهذا دليل سماويته وصدقه وعظمته.

المقالة الواحدة والتسمون

إخبار القرآن عن ضوء وحرارة الشمس

ومن جملة الإخبارات القرآنية الدالة على كونه معجزة خارقة للعادة هو إخباره عن أصل خلق الشمس وإشارته إلى ضوئها وحرارتها في لطائف تعبيراته ودقائق مفرداته مما يخالف النظرية البطليموسية القديمة، الأمر الذي حدى بالمفسرين القدماء - قبل عصر الاكتشافات المعاصرة - أن يأولوا الآيات القرآنية ويتكلفوا في تأويلها بما ينسجم مع النظرية القديمة إلا أن الأمر اختلف بعدما جاءت الاستشكشافات الحديثة.

فالقدماء قالوا: إنَّ صفات الاجرام الفلكية تختلف عن الأجسام العنصرية في الأرض فالشمس لا هي حارة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة؛ لأنَّ هذه العوارض مختصة بالأجسام العنصرية لا يمكن إنطباقها على الأجرام، بل هي منزَّهة عن ذلك. وأما حرارة الشمس التي يشعر بها كلُّ إنسان، فإنَّهم فسروها بانعكاس ضوء الشمس الذي يولّد حرارة الحرارة ليست من ذات الشمس، بل أنَّ ضوء الشمس حينما يصطدم بالأرض وينعكس فإنَّه يعطي حرارة بسبب هذا الانعكاس، وبعبارة أخرى الشمس مبدأ النور، والأرض مبدأ الحرارة هذه عقيدة علماء الفلك في الأزمنة الغابرة.

إلا إنَّ الحقيقة ليست كذلك بل استطاع العلم الحديث أن يثبتها بأدواته ووسائله فتوصل العلم إلى أنَّ الشمس عبارة عن عناصر متعددة كالنحاس والحديد وغيرهما وكلَّها مجتمعة شكَّلت كتلة نارية مع أبخرة ملتهبة على الدوام بسبب الانفجارات على سطحها مما يتولّد منها ضوء وحرارة خلافاً لمعتقد

القدماء، وقد تصل ألسنة النيران على سطح الشمس إلى ٥٠ ألف فرسخ ولو أن حرارتها وصلت إلى الأرض لما بقي منها أثر تماماً وقد توصل العلم إلى أن المقدار الواصل من حرارة الشمس جزء من ٢٣٨١ مليون جزء.

هذا الشيء العظيم أخبر عنه القرآن الكريم قبل أكثر من ألف وثلاثمائة عام قبل اختراع أبسط الأدوات والآلات الحديثة مخالفاً الهيئة القديمة حينما نزل قوله تعالى واصفاً حقيقة الشمس: ﴿وجعلنا سراجاً وهاجاً﴾^(١) ومعنى الوهج هو مجمع النور والحرارة فأخبر أن الشمس عبارة عن كتلة وهاجة ملتهبة.

وهناك أغرب من هذا حيث أخبر القرآن عن ألوان الطيف الشمسي التي توصل إليها العالم الفلكي الإنجليزي نيوتن في القرن الثامن عشر الميلادي، فقال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء﴾^(٢) والضياء جمع ضوء وهو يعني أن هذا الضوء المنبعث من الشمس عبارة عن مجموعة كبيرة من الأنوار المختلفة في ألوانها إلا أنها ولشدة سرعتها تخرج باللون الأبيض، وغير هذه الإخبارات العلمية الإعجازية يوجد الكثير وسأشير إلى بعضها لاحقاً وكلها دلائل عظمة هذا القرآن.

(١) النبأ / ١٣.

(٢) يونس / ٥.

المقالة الثانية والتسمون

إخبار القرآن عن فناء الشمس وعدم دوامها

من المواضع التي طرحها القرآن هو فناء الشمس وكان حينها قد خالف عقيدة الحكماء والفلاسفة القدماء آنذاك، واليوم وبعد تقدم العلم وتطور وسائله ثبت للعالم أجمع إعجاز القرآن الذي أخبر عن أمر لم يُكتشف إلا بعد مضي أكثر من ألف عام!!

فقد ذهب الحكماء القدماء إلى أن الفلك عبارة عن جسم كروي بسيط شفاف فيه مبدأ الدوران والحركة ومن خواصه أنه لا يتعرض للخرق والإلتئام ولا للإعمار، والخراب ولا يخرج عن مداره ولا يقع ضدًا لغيره ولا غيره ضدًا له ولا يحتاج إلى فترة من السكون بسبب الإهتزاز أو الحركة ولا يتغير أبدًا^(١) وهذه الصفات هي نفسها تجري على الكواكب وتوابعها، وبالجمله فأن الموجودات العلوية في نظر القدماء أبدية خالدة لا يطرأ عليها الفناء والفتور والفساد ولا تزال من مواقعها أبدًا.

بينما أثبت العلم الحديث أن جميع الكواكب والأفلاك معرضة للتغير والفساد والعدم إذ لا فرق بين الأجرام العلوية والأجسام السفلية فكلها محكومة بالعدم والانتها.

وقد ذكر القرآن الكريم نهاية عمر النجوم والشمس، بل نهاية العالم كله بأفصح بيان وأرقى لسان: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ

(١) ولزيادة التفصيل راجع كتاب الشفاء لابن سينا الفصل الرابع الفن الثاني من الطبيعيات.

سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعُشَارُ عَطَلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ^(١).

وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَمْتُ وَأُخِرْتُ^(٢)﴾.

وغيرها من الآيات القرآنية التي أخبرت عن أمر وحدثٍ مستقبلي فظيع وهو الانفجار الهائل الذي ستعرض له الكواكب والأفلاك على أثره تنتهي الحياة على هذا الكوكب وهذه النبوة أمر عظيم؛ لأنها نزلت قبل أكثر من ألف عام ولا نعلم متى سيتوصل العلم الحديث إليها فمن الممكن بعد ألف عام آخر، فهل هذا إلا دليل واضح على عظمة القرآن الكريم؛ لأنه يخبر عن أمور من دون أن يستعين بالأسباب الظاهرية، بل إخبار علام الغيوب وهذه هي جهة الإعجاز فيه. ولو أردنا أن نقف على كل آية نتحدث عن حقائق الكون لما وسعتنا هذه المقالة ولكننا ذكرنا نماذج مختزلة جداً لإثبات معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) التكوير / ١ - ١١.

(٢) الانفطار / ١ - ٥.

المقالة الثالثة والتسمون

القرآن جامع لكل العلوم والمعارف

يُعد القرآن الكريم من أعظم الكتب السماوية على الإطلاق فضلاً على جزالة عبارته وفصاحته وبلاغته، فإنه اشتمل على معارف راقية، وبين طياته معلومات مهمّة، وفوق كل ذلك أنّه خلى من الخرافات والخزعبلات، والأساطير الوهمية، فيكفي أنّه معجزة النبي محمد ﷺ الرجل الذي عاش بين ظهرائي العرب بكل بساطة وتواضع ووضوح دون أن يدّعي الفلسفة ومع ذلك فاجئ العالم بمثل هذا الكتاب العظيم النازل عليه من ربّ العالمين.

والمتطلّع في آيات القرآن يجدها تناولت عدة مواضع علمية وإنسانية وإجتماعية وحقوقية وفكرية، فضلاً عن محاججاته مع المشركين وأهل الضلالات وردّهم بالأدلة العقلية المقنعة بتعابير لم تبتعد عن الفصاحة والمتانة والإنسجام والتوافق من أوله إلى آخره، خلافاً للكتب السماوية المزعومة كالطورا والإنجيل وقد أشرتُ إلى بعض التناقضات فيهما، بل الخرافات والأوهام في المقالات الأولى.

بينما قال ربّنا في القرآن: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾^(١) فالإشارة إلى المطالب العالية والحكمة المتعالية، حيثُ شُيّد بطريقة فصيحة ولغة مفهومة لا تجد أي تضارب في آيات الذكر الحكيم. فإنّ ذلك من أبرز الأدلّة على أنّه نزل من علّام الغيوب.

والشيء الغريب الذي يستحيل أن يأتي به البشر هو جمع هذه المعارف الراقية، والحكم العقلية، والمبادئ النبيلة، والقصص الهادفة والأمثلة... الخ في كتاب واحد، بل في سورة واحدة كالكوثر التي تقدم الكلام عنها.

وهذا ما عنته الآية السابقة أي أن البشر لو جربوا أن يكتبوا كتاباً كالقرآن لوجدوا أنفسهم أمام ركام هائل من التناقضات والمغالطات كما هو الحال في التوراة أو الإنجيل مع أن الكتاب النازل من عند الله يجب أن يخلو من النقص والتناقضات والاختلافات، والألفاظ الركيكة، والسبب أن الإنسان معرض إلى الخطأ والسهو والنسيان والجهل... بينما يمتنع ذلك كله في حق الله تبارك وتعالى.

المقالة الرابعة والتسمون

تقمة المقالة السابقة

ومن الجواهر التي كنزتها آيات القرآن الكريم هي بواطن وحقائق الأشياء وأبعادها الأخرى غير الظاهرية، وبتعبير آخر فإنّ هناك الإعجاز الظاهري والباطني للقرآن الكريم هو ما أثار العلماء وأهل التفسير واللغة.

ومثال ذلك الإنسان، فإنّ العلماء ذكروا إنّ أجهزة الإنسان وجوانحه الداخلية كالقلب والرئة والمعدة، والخلايا والشرابين و... هي أعظم من ظواهر الإنسان وجوارحه لدقتها، وصعوبة تركيبها وحركتها ولكن لا يدرك ذلك إلاّ علماء الأحياء والتشريع.

وهكذا القرآن الكريم فإنّ بواطنه أعظم بمراتب من ظواهره ولهذا قال ربّنا: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾^(١) وقال: ﴿ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين﴾ إشارة منه سبحانه وتعالى إلى إشمال القرآن على جميع المعارف والعلوم من عقائد وتاريخ ومواعظ وحكم، وتأويل الرؤيا، والمجادلة، والمناظرة، والفلك والأرض، والسماء، وعلم المعاني، والبيان والطب والهندسة، والجبر، كما وفيه تلميحات إلى بعض الصنائع والحرف كالحدادة والخياطة والبناء، والغزل والغوص والصيد والصباغة والتجارة والكتابة والسبق والرماية والسياسة والحقوق والملك، والجهاد والحرب، والسلم والصلح وما يتصل بذلك من احكام البالغ عددها ٣١٣ حكماً.. الخ.

إذا لا نستطيع في هذه المقالة أن نفهرس العلوم والمعارف التي تعرّض إليها القرآن الكريم، لأن ذلك يستدعي كتاباً ضخماً مستقلاً كما عمل العلامة أبو علي الأسواري رحمه الله تعالى فقد انفق من عمره ٣٦ عاماً في سورة البقرة فقط! من حيث المباحث التاريخية المتصلة بها تفسيراً وتأويلاً وكان يسعى، لإنهاء هذا العمل الكبير إلا أن الأجل لم يمهلهم ورحل إلى رحمة ربه، وأما عن التفاسير التي تعرّضت لبيان وشرح الآيات القرآنية فأنها أكثر من أن تحصى فقد أحصى صاحب كشف الظنون ٣٠٠ تفسيراً للقرآن ثم أظهر عجزه عن استقراء جميع ماكتب في هذا المضار،

وفضلاً عن ذلك فإن بعض هذه التفاسير يقع في مجلّدات عديدة مثل تفسير (الإستغناء) تأليف أبي بكر ادفوي المتوفى عام ٣٨٧هـ إذ تبلغ مجلّداته مائة مجلد من القطع الكبير!

ويستطيع كل من أحب التفصيل والإطلاع على بعض جهات عظمة القرآن أن يراجع تفسير تبيان القرآن للطوسي، ومجمع البيان للطبرسي، وتفسير أبو الفتوح الرازي، ومفاتيح الغيب للرازي، ولوامع التنزيل للسيد علي اللاهوري القمي، وتفسير الجواهر للطنطاوي، والتفسير الكبير للطبري، وتفسير ابن الأثير، وأنوار التنزيل للقاضي البضاوي، والكشاف للزمخشري، وآيات الأحكام للأردبيلي، وغريب القرآن للطريحي، وحقائق التأويل للسيد الشريف رضي الدين، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، واعجاز القرآن للباقلاني، وغرائب القرآن للنيشابوري، والنكت في إعجاز القرآن للرّماني وغيرهم.

فمن راجع هذه الكتب أو بعضها لوجد النكات العلمية والإعجازية حول الكلمة والحرف فضلاً عن الآيات والسور، فالقرآن منظومة علمية أخلاقية رفيعة المستوى الهدف منه إرساء دعائم الخير في الأرض، وبناء الإنسان وتهذيب

الأرواح، وبالأسفي لضيق وقتي فقد كنت أتمنى أن أخوض في هذا المضمار، فالقرآن كالبحر المليء باللؤلؤ والجواهر الثمينة التي لا تقدر بالثمن وكل غواص يحصل على مقدار من هذه اللثاى وذلك بمقدار غوصه وتحمله وعمقه، إلا أهل البيت عليهم السلام الذين نزل القرآن في بيوتهم وفيهم وإليهم وصدر عنهم إلى الناس فإنهم أدرى وأعلم بكل خفايا وظواهر القرآن، لأنهم الراسخون في العلم وهم الإمام المبين المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾^(١).

(١) روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) قام أبو بكر وعمر من مجلسهما فقالا: يا رسول الله هو التوراة؟ قال: لا، قال: هو الإنجيل؟ قال: لا، قال: فهو القرآن؟ قال: لا، قال: فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ:

هو هذا إنه الإمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كل شيء / راجع البرهان في تفسير القرآن للبحراني: ج ٤، ص ٦٦، ح ٦، وروي مثله عن الإمام الصادق عليه السلام وبنفس المضمون عن أمير المؤمنين علي عليه السلام وعن ابن عباس.

وقد حققت في دراسة إن الإمام المبين هنا لا ينطبق إلا على البشر خلافاً لما ذكره بعض المفسرين، ولمن أراد المزيد عليه بمراجعة كتابنا عين سلسيل في شرح زيارة آل ياسين ط الكويت / المترجم.

المقالة الخامسة والستون

أهل البيت عليهم السلام أعلم بالقرآن من غيرهم على الإطلاق

كيف ثبت للناس أنّ أهل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله هم أعلم الخلق بخفيا وأسرار القرآن الكريم؟

وقبل أن نجيب عن ذلك نذكر مقدمة وهي:

إنّ كلّ علم من العلوم - كالنحو والصرف والفقه والمنطق والاصول والدراية والفلسفة والرياضيات... الخ - لا بدّ له استاذ ماهر له القدرة على تعليم غيره بشكل صحيح وواضح، وهذا لا يتم إلّا مع إحاطته بذلك العلم، وإسيتعابه لمفرداته وكثرة إطلاعه على مسائله وتخصّصه فيه، فلا يمكن أخذ الرياضيات من استاذ الفقه، ولا الفلسفة من الجغرافية وهكذا..

والقرآن الكريم هو من قبيل السهل الممتنع، فهو في الوقت الذي يبدو سهلاً وواضحاً ومفرداته نفس مفرداتنا، إلّا أنّ حقائقه ومعانيه ليست في متناول يد الجميع بل تبدو بعضها ممتنعة إلّا من أحب الله تعالى أن يكشف له الحجب، ويرفع له الستار عبر علماء القرآن الذين اختصهم الله بهذه الكرامة وهم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، فقد أفاض الحق سبحانه وتعالى على نفوسهم الطاهرة والمستعدة لفيوضات القرآن النازلة من عنده، فكانوا راسخين في العلم كاملين في المعرفة، تامين في محبته، عارفين بأسرار الكتاب ولهذا أرجع الربّ تبارك وتعالى الخلق كافة إليهم بقوله: ﴿فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾^(١) والذكر

هو القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) ولقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٢) فقد جعل الله تعالى لكتابه هذا أهلاً، وهم أهل الذكر وأمر الناس بالرجوع إليهم والسؤال منهم حصراً عن كل ما يتعلق بالحياة الدنيا والآخرة.

وأما الدليل على كون أهل الذكر هم آل محمد ﷺ الروايات الصحيحة المروية في كتب المسلمين من طرق عديدة عند الفريقين، فقد ذكر الثعلبي وهو إمام أصحاب الحديث من أهل السنة رواية عن جابر بن عبد الله الأنصاري - وهو من خواص رسول الله - عن أمير المؤمنين علي عليه السلام إنه قال نحن أهل الذكر^(٣). وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قلتُ له: إِنَّ مَنْ عِنْدَنَا يَزْعُمُونَ أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ إِنَّهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قال: إِذَنْ يَدْعُوكُمْ إِلَى دِينِهِمْ قَالَ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: نَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ وَنَحْنُ الْمَسْئُولُونَ^(٤).

وللذكر معنيان: النبي ﷺ فقد سُمِّيَ ذكراً لقوله تعالى: ﴿ذَكَرًا رَسُولًا﴾، والقرآن لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وهم صلوات الله عليهم أهل القرآن وأهل النبي ﷺ.

إذاً المراد من الذكر في المعنى الأول القرآن، والثاني رسول الله ﷺ وأما بيان المعنى الأول فقد مرّ، وأما المعنى الثاني فللقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذَكَرًا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ

(١) الحجر / ٩.

(٢) النحل / ٤٤.

(٣) تفسير الثعلبي عند تفسيره للآية الكريمة. ومثله في البرهان.

(٤) تفسير البرهان: ج ٢، ص ٣٧٠، ح ٥، ط قم اسماعيليان.

الله مبینات ﴿١﴾.

ويكاد يكون هذا الأمر من المسلّمات، لأنّ القرآن نزل على رسول الله ﷺ وهو بدوره ينشر معارفه وحقائقه لأهل بيته على وجه الخصوص لإستعداداتهم الفائقة وإخلاصهم المنقطع النظير، وتقواهم وورعهم وزهدهم.. كما ويبين معاني القرآن ويفسره ويشرحه لأئمته عامة لتحصين المسلمين من أي خروقات وتفاهات كالقياس، والرأي والعقائد الفاسدة التي جاءت إلى الواقع الإسلامي من بعد رحيل النبي الأعظم ﷺ. وكان المطلوب من المسلمين أن يتمسكوا بأهل البيت عليهم السلام بإعتبارهم ورثة العلم النبوي وبإعتبارهم أعظم وأوسع الأبواب المؤدية إلى مرضاة الله تعالى لقوله ﷺ: (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد البيت فليأت الباب) ^(٢). ولقوله ﷺ: (إنّ الله خلقني وعلياً من شجرة أنا أصلها وعلي فرعها والحسن والحسين ثمرتها والشيعة ورقها فهل يخرج من الطيب إلّا الطيب) ^(٣). ولقوله ﷺ: (يا علي أنا مدينة العلم وأنت بابها ولن تؤتي المدينة إلّا من قبل الباب) ^(٤). ولقوله ﷺ وهو آخذ بيد علي يوم الحديبية: (هذا أمير البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخدول من خذله، ثمّ مدّ بها صوته فقال: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد البيت فليأت الباب فمن أراد العلم فليأت الباب) ^(٥). وقال ﷺ أيضاً: (علي أخي ومني وأنا من علي فهو باب

(١) الطلاق / ١٠.

(٢) كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٢٠، الباب الثامن.

(٣) نفس المصدر، وأسد الغابة ج ٤، ص ٢٢.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢، ص ٣٧٧.

(٥) كفاية الطالب ص ٢١١، الباب الثامن.

علمي ووصيي^(١). وقال عليه السلام: (علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي)^(٢).

لقد صرح النبي ﷺ بهذه الأحاديث ومثلها وعلى غرارها بالمئات في أوقات متعددة من حياته الشريفة حسب مقتضى الحال وقد ذكرها جمهور المسلمين من السنة و الشيعة في كتبهم المعتبرة وما سأذكره على سبيل المثال لا الحصر:

الحافظ يحيى بن معين البغدادي المتوفى عام ٢٣٣هـ
وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى عام ٣١٠هـ (ذكرها في تهذيب الآثار).

وأبو عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى ٤٠٥هـ (ذكرها في المستدرک).
والحافظ أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣هـ (ذكرها في تاريخ بغداد).

ومجد الدين الفيروز آبادي المتوفى عام ٨١٦هـ (ذكرها في نقد الصحيح).
والحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى عام ٩١١هـ (ذكرها في جمع الجوامع).

وأmir محمد اليماني المتوفى عام ١١٨٢هـ (ذكرها في الروضة الندية).
وسيد محمد البخاري (ذكرها في تذكرة الأبرار).
وأبو سالم محمد بن طلحة الشافعي المتوفى عام ٦٥٢هـ (ذكرها في مطالب السؤل).

(١) راجع الفدير ج ٦، ص ٥٤، ط طهران.

(٢) مجمع الزوائد للهيتمي ج ٩، ص ١١٤.

أهل البيت عليه السلام أعلم بالقرآن من غيرهم على الإطلاق ٣٤٩

وشمس الدين محمد بن محمد الجزري المتوفى عام ٨٣٣هـ (في أسنى المطالب).

وشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المصري المتوفى عام ٩٠٢هـ (في المقاصد الحسنة).

والمتقي الهندي علي بن حسام الدين المتوفى عام ٩٧٥هـ (ذكرها في إكمال جمع الجوامع).

وجمال الدين محمد طاهر الهندي المتوفى عام ٩٨٦هـ (تذكرة الموضوعات).

وهؤلاء كلهم من أكابر علماء السنة.

فإن قيل: إن هذه الأحاديث مخدوشة في أسانيد كعادة المعاندين وأهل اللجاج والشقاق.

قلنا: راجع المقالة رقم ٥٥ من هذا الكتاب فقد ذكرنا بعض ما يتصل بهذا الموضوع.

المقالة السادسة والتمون

اعتراف علماء السنة بأنّ علياً أفضل الصحابة على الإطلاق

لقد ذكر بعض أكابر علماء أهل السنة أيضاحات وبيانات رشيقة على حديث أنا مدينة العلم ونحن بدورنا سنذكر بعض كلماتهم فمنهم الحافظ الشيخ عبد الروؤف بن تاج العارفين المناوي الشافعي حيث قال:

فإنّ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلّها، ولا بد للمدينة من باب، فأخبر أنّ بابها علي كرم الله وجهه، فمن أخذ طريقه دخل المدينة، ومن أخطأه أخطأ طريق الهدى، وقد شهد بالأعلمية الموافق والمخالف والمعادي والمخالف، أخرج الكلاباذي إنّ رجلاً سئل معاوية عن مسألة فقال: سل علياً هو أعلم مني، فقال، أريد جوابك، قال: ويحك كرهت رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعزّه بالعلم عزا، وقد كان أكابر الصحابة يعترفون له بذلك، وكان عمر يسأله عما أشكل عليه، جاءه رجل فسأله ههنا علي فسله، فقال: أريد أن اسمع منك يا أمير المؤمنين؟! قال، قم لا أقام الله رجلك، ومحي اسمه من الديوان.

وصح عنه من طرق، أنّه كان يتعوذ من قوم ليس هو فيهم حتّى أمسكه عنده ولم ير له شيئاً من البعوث لمشاروته في المشكل، وأخرج الحافظ عبد الملك بن سليمان قال ذكر لعطاء: أكان أحد من الصحابة أفقه من علي؟ قال: لا والله^(١). وقال أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي - المتوفى ٦٥٨ هـ -

(١) فيض القدير: ج ٣٠، ص ٤٦.

بعدما ذكر ثلاثة أحاديث مسندة من طرق أهل السنة في قوله ﷺ: أنا مدينة العلم... عقب بقوله: هذا حديث عالٍ، ثمّ قال في آخر الباب بعدما أفصح عن رأيه ونظره: فقد قال العلماء من الصحابة والتابعين وأهل بيته بتفضيل علي عليه السلام وزيادة علمه، وغزارته، وحدة فهمه ووفور حكمته، وحسن قضاياه، وصحة فتواه، وقد كان أبوبكر عمر وعثمان وغيرهم من علماء الصحابة يشاورونه في الأحكام، ويأخذون بقوله في النقض والإبرام اعترافاً منهم بعلمه ووفور فضله، ورجاحة عقله، وصحة حكمه، وليس هذا الحديث في حقه بكثير؛ لأنّ رتبته عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلّم وعند المؤمنين من عباده أجل وأعلى من ذلك^(١).

وقال محمد بن طلحة الشافعي - المتوفى عام ٦٥٤هـ - وهو من أعظم علماء أهل السنة بعدما أورد حديث: أنا دار الحكمة وعلي بابها وأنا مدينة العلم وعلي بابها...: لكنه ﷺ خص العلم بالمدينة والدار بالحكمة لما كان العلم أوسع أنواعاً وأبسط فنوناً، وأكثر شعباً، وأغزر فائدة وأعمّ نفعاً من الحكمة، خصص الأعمّ بالأكبر والأخص بالأصغر وفي قول النبي ﷺ ذلك إشارة إلى كون علي نازلاً من العلم والحكمة منزلة الباب من المدينة والباب من الدار لكون الباب حافظاً لما هو داخل المدينة وداخل الدار من تطرّق الضياع إليه واعتداد الذهاب عليه، وكان معنى الحديث أنّ علياً عليه السلام حافظ العلم والحكمة، فلا يتطرق إليهما ضياع، ولا يخشى عليهما ذهاب - فوصف علياً بأنّه حافظ العلم والحكمة، ويكفي علياً عليه السلام علوّاً في مقام العلم والفضيلة أن جعله رسول الله حافظاً للعلم والحكمة - (ومن ذلك ما نقله القاضي الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي^(٢) أن

(١) كفاية الطالب: باب ٥٨، ص ٢٢٣، ط إيران.

(٢) في كتابه مصابيح السنّة ج ٤، ص ١٧٤، ح ٤٧٧٢.

رسول الله لمّا خصص جماعة من الصحابة كلّ واحد بفضيلة، خصص عليّاً بعلم القضاء، فقال: (وأقضاهم علي) - ^(١) وقد صدع هذا الحديث بمنطوقه وصرّح بمفهومه - أنّ أنواع العلم وأقسامه قد جمعها رسول الله لعليّ دون غيره، فإنّ كلّ واحد ممّن خصه رسول الله بفضيلة خاصّة لم يتوقّف حصول تلك الفضيلة على غيرها من الفضائل والعلوم، فإنّه قال ﷺ: (أفرضهم زيد بن ثابت، وأقرأهم أبي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل) ولا يخفى أنّ علم الفرائض لا يفتقر إلى علم آخر، ومعرفة القراءة لا تتوقف على سواها، وكذلك العلم بالحلال والحرام، بخلاف علم القضاء فالنبي قد أخبر بثبوت هذه الصفة العالية لعليّ ﷺ مع زيادة فيها، فإنّ صيغة أفعل تقتضي وجود أصل ذلك الوصف والزيادة فيه على غيره، وإذا كانت هذه الصفة العالية قد اثبتت له، فتكون حاصلة له ومن ضرورة حصولها له أن يكون ﷺ متّصفاً بها ولا يتصف بها إلّا بعد أن يكون كامل العقل، صحيح التميز، جيد الفطنة، بعيداً عن السهو والغفلة، يتوصل بفطنته إلى وضوح ما أشكل، وفصل ما أعضل، ذا عدالة تحجزه أن يحوم حول حمى المحارم، ومروءة تحمله على محاسن الشيم، ومجانبة الدنيا، صادق اللهجة، ظاهر الأمانة، عفيفاً عن المحظورات، مأموناً في السخط والرضا، عارفاً بالكتاب والسنة، والإتفاق والاختلاف والقياس، ولغة العرب بحيث يقدّم المحكم على المتشابهة، والخاص على العام، والمبين على المجمل، والناسخ على المنسوخ، وبينني المطلق على المقيد، ويقضى بالتواتر دون الآحاد، وبالمسند دون المرسل، وبالمتصل دون المنقطع وبالإتفاق دون الإختلاف، ويعرف أنواع الأقيسة من الجلي والواضح والخفي، ليتوصل بها إلى الأحكام من الواجب والمحظور، والمندوب والمكروه،

(١) نفس المصدر السابق.

فهذه امور لا يصح إتصاف الإنسان بعلم القضاء ما لم يحط بمعرفتها، ومتى فقد علمه بها لا يصلح للقضاء ولا يصح اتصافه به، فظهر لك أيّدك الله تعالى أنّ رسول الله حيث وصف علياً بهذه الصفة العالية بمنطوق لفظة المثبت له فضلاً، فقد وصفه بمفهومه بهذه العلوم المشروحة المتنوعة الأقسام فرعاً وأصلاً، وكفى بذلك دلالة خصّ بهدية الهداية قولاً وفعلاً، على إرتقاء علي في مناهج معارج العلوم إلى المقام الأعلى وضربه في أعشار الفضائل المعجزات بالتساهم بالقدرح المعلى^(١).
فهذه نماذج عن تقدم الإمام علي عليه السلام في العلم الذي اختصه به رسول الله ﷺ وهي تكفي لإثبات الحق، والمنصف الحيادي يركن إلى هذه الحقيقة بلا مكابرة ويعترف لعلي بالفضل.

(١) مطالب السوؤل في مناقب آل الرسول لابن طلحة الشافعي ج ١، ص ١٠٩، ط مؤسسة أم القرى.

المقالة السابعة والستون

وجوب الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام

لفهم القرآن الكريم

لقد صرّح المحققون بصحة أسانيد حديث مدينة العلم كما ذكرنا نبذة من ذلك سابقاً ومفاد هذا الحديث هو وجوب الرجوع إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام لأخذ العلم منه بإعتباره باب علم النبي ﷺ، ولعل أهل تلك العلوم التي ورثها الإمام علي عليه السلام هو علمه وإحاطته بالقرآن الكريم وإطلاعه بشكل مفصل ودقيق على أسرارهِ وخفائاه وبطونه وعلاوة على هذا الحديث الصحيح ذي المضامين العالية فإنّ هناك أحاديث بنفس المضمون ولها نفس الدلالة ومتفق على صحتها وتواترها مثل حديث الثقلين المصرح فيه أنّ أهل بيت النبي ﷺ هم عدل القرآن حيث قال صلى الله عليه وآله: اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفرقا حتّى يردا عليّ الحوض إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً^(١).

(١) جاء هذا الحديث بألفاظ متقاربة في كتب الحديث والتفسير والتاريخ عند الفريقين ومن جملة المصادر السنية التي ذكرته - بعد إجماع الشيعة على صحته وتواتره عندهم -:

- صحيح مسلم ج ٢، ص ٢٣٧.
- مسند أحمد بن حنبل ج ٥، ص ١٨١ و ١٨٢.
- سنن الترمذي ج ٢، ص ٢٢٠.
- الخصائص للنسائي ص ٩٣.
- المستدرک علی الصحیحین ج ٣، ص ١٠٩.
- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١، ص ١٩٤.

هذا وقد كرر النبي ﷺ هذا الحديث مرات ومرات، فقد ذكر الرواة إن النبي ﷺ قاله في عرفات في حجة الوداع، وقاله في غدير خم، وقاله في عودته من الطائف، وقاله في آخر خطبة له على المنبر في مسجده، وقاله في مرض موته حينما اكتضت حجرته ^(١) بأصحابه.

قال ابن حجر: لا تنافي إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعتر الطاهرة وكان هدفه ﷺ إنقاذ الأمة وإرشادها إلى الطريق الصحيحة وإلى معدن العلم ومنبع النور والهدى للحيلولة

= حلية الأولياء لأبي نعيم الإصفهاني ج ١، ص ٣٥٥.

ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ص ١٦.

تذكرة الخواص ص ٣٢٢.

تفسير الرازي: ج ٣٠ ضمن آية الاعتصام.

تفسير الخازن: ج ١ ضمن آية الاعتصام.

الصواعق المحرقة ص ٢٥ و ص ٨٦، ص ٨٧ و ص ١٣٦.

لسان العرب في معنى العترة والثقل والحبل ج ٤، ص ٣٤٥، مادة عترة، ج ١١، ص ٨٨، مادة ثقل.

وج ٤، ص ١٣٧، مادة حبل.

منتهى الأرب ج ١، ص ١٤٣ في مادة ثقل.

مطالب السؤول ص ٨.

المناقب للخوارزمي ص ٩٣.

تفسير الثعلبي ضمن آية (واعتصموا بحبل الله جميعاً) سورة آل عمران آية ١٠٣.

الفصول المهمة للمالكي ص ٢٣.

إسعاف الراغبين ص ١١٠.

ينابيع المودة ج ١، ص ٣٣.

مصاييح السنة للبغوي ج ٥، ص ٥٩٣.

تاج العروس في مادة الثقل ج ٧، ص ٣٤٥.

(١) الصواعق المحرقة الباب ١١ الفصل الأول ص ٢٣١ ط دار الكتب العلمية بيروت.

دون انحرافهم وضلالهم، فعَرَفَ لهم الثقل الأكبر وهو القرآن، والثقل الأصغر وهم عترته وأنهم بمثابة القرآن، بل هم الناطق عنه وتوأمه إلى يوم القيامة وأنه لا يجوز التمسك بأحدهما دون الآخر، فكما أن التلميذ لا يتمكن أن يعتمد على الكتاب دون المعلم والمرشد ولا أن يعتمد على المعلم دون الكتاب، فكذلك علاقة الأمة بالقرآن والعتره فهم جزء لا يتجزأ من العلاقة المتواصلة بالقرآن والسماء وعليه لا يمكن الاستغناء عنهم.

روى المتعصب العنيد ابن حجر المكي في الصواعق المحرقة، وجلال الدين السيوطي في إحياء الميت إن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ألا أنني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجلّ وعترتي أهل بيتي ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفرقان حتى يردا عليّ الحوض فاسئلوها ما خلّفت فيهما^(١). وقال ابن حجر: سمى رسول الله ﷺ القرآن وعترته - وهي بالمشاة الفوقية الأهل والنسل والرهط الادنون - ثقلين؛ لأن الثقل كل نفيس خطير مصون وهذان كذلك إذ كل منهما معدن للعلوم الدنية والأسرار والحكم العلية، والأحكام الشرعية ولذا حثّ ﷺ على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم وقال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت.

وقيل: سمياً ثقلين ثقل وجوب رعاية حقوقهما، ثم الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض ويؤيده الخبر السابق ولا تعلموهم فأنهم أعلم منكم، وتميزوا بذلك عن

(١) الصواعق المحرقة: الباب التاسع الفصل الأول ص ١٩٤ ط دار الكتب العلمية بيروت

بقية العلماء؛ لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة... وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم إنقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض... ثم أحق من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته^(١)

إذا فالنبي دعى الأمة إلى التمسك بأهل بيته لا لعاطفة بل لأنهم علماء القرآن وموضحي الأحكام فمن سار على هديهم كأنما سار على هدي النبي ﷺ ولهذا روي عنه ﷺ إنه قال: من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن التي غرسها ربي فليوال علياً من بعدي وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي الويل للمكذّبين من أمتي القاطعين فيهم صلتي لا أنا لهم الله شفاعتي^(٢).

هذا المقدار من الأحاديث النبوية في وجوب رجوع المسلمين إلى آل محمد ﷺ كافٍ وإلا فهناك المئات من الأحاديث المنقولة بطرق صحيحة عن الفريقين ولكن يكفي للمرء أن يتدبر ويتأمل في قوله ﷺ: علي مع القرآن والقرآن مع علي فإنه يعني إحاطته التامة بكل ما في القرآن - الذي فيه تبيان كل شيء - من محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام وظاهر وباطن وتنزيل وتأويل و...

ومن هنا كان أمير المؤمنين عليه السلام يقولها وبكل ثقة من على المنبر: سلوني.

(١) المصدر نفسه الباب ١١ ص ٢٣١-٢٣٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي نقلاً عن حلية الأولياء لأبي نعيم، ومسند أحمد والطبراني في المعجم الكبير والمتقي الهندي في كنز العمال والرافعي في المسند والقندوزي في ينابيع المودة.

التي ما قالها أحد قط؛ لأنها تمثل أعلى رتبة في العلم الذي حازه علي عليه السلام فلهذا كان قوله سلوني من أكبر الأدلة على سعة علمه وكثرة إطلاعه وكان عليه السلام يقولها دائماً حتى نقلها المؤرخون بألفاظ متقاربة كقوله عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة لا تسئلوني عن آية من كتاب الله إلا حدثكم عنها متى نزلت بليل أو نهار أو في مقام أو مسير في سهل أم في جبل، وفي من نزلت في مؤمن أو منافق، وما عني الله بها عام أم خاص ^(١).

وقد رويت هذه الكلمة العظيمة بألفاظ متقاربة كقوله: سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل. وقوله عليه السلام: سلوني عن أسرار الغيوب فأنني وارث علوم الأنبياء والمرسلين، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل.

وروى الشيخ سليمان الحنفي في ينابيع المودة نقلاً عن مناقب الخوارزمي عن يحيى بن أم الطويل أنه سمعت علياً عليه السلام يقول: إذا كنت غائباً عن نزول الآية كان يحفظ على رسول الله ﷺ ما كان ينزل عليه من القرآن، وإذا قدمت عليه أقرأنيه ويقول: يا علي أنزل الله عليّ بعدك كذا وكذا، وتأويله كذا وكذا ويعلمني تأويله وتنزيله ^(٢).

وذكر الثعلبي في تفسيره، والشهرستاني في مقدمة تفسيره إن الصحابة

(١) فضائل الصحابة لابن حنبل ج ٢، ص ٦٢٤، ص ١٠٩٨. والمناقب للخوارزمي الفصل السابق ص ٩٠، ح ٨٣، ومطالب السؤل ج ١، ص ١٢٥ ط أم القرى، كفاية الطالب ص ٢٠٧، الباب الثاني والخمسون، حلية الأولياء ج ١، ص ٦٧، الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢، ص ١٠١ شرح نهج البلاغة ج ٦، ص ١٣٦.

(٢) الينابيع باب: ١٤ ص ٨٣، ط قم الشريف الرضي.

اتفقوا على أن أهل البيت عليهم السلام أختصوا بعلم القرآن، بل حينما نراجع المحاورات والمحاججات التي دارت بين أهل البيت عليهم السلام وبين الناس كانوا يستلونهم أديكم خصصية غير علمكم بالقرآن؟ وهذا هو دليل واضح على تفردهم بهذا العلم الجامع.

وقد صرح أمير المؤمنين علي عليه السلام في بعض خطبه بذلك كقوله: «نحن شجرة النبوة محط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينايع الحكم»^(١).

وقد علق ابن أبي الحديد المعتزلي على ذلك بقوله: لقد كان هذا الأمر فيه عليه السلام ظاهر لقول الرسول الاكرم ﷺ فيه أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن أراد المدينة فليات الباب. وقال أيضاً أقضاكم علي، فالقضاء يستلزم علوماً كثيرة، فحاله في العلم حال رفيعة جداً لم يلحقه أحد فيها ولا قاربه وحق له أن يصف نفسه بأنه معادن العلم وينايع الحكم فلا أحد أحق به منها بعد رسول الله ﷺ^(٢).

فهذا شأن أهل بيت الرسالة ومعادن العلم الذين أفصح عن مرتبتهم رسول الله ﷺ فجعلهم عدل القرآن الكريم وحملة علومه.

(١) شرح نهج البلاغة خطبة ١٠٨.

(٢) المصدر نفسه.

المقالة الثامنة والتمون

يجب على الأمة متابعة أهل البيت بالأدلة القرآنية

لم يرد الله سبحانه وتعالى للإنسان إلا الهداية والنجاة، وأن يسلك طريق الحق، وقد ذم في كتابه المجيد أولئك السائرين على طريقة أسلافهم الهوجاء العمياء، وهكذا يذم العقلاء كلَّ انسان يسلك طريقاً دون أن يعرف مؤداه وخاتمة ولكنه يكتفي بالقول ذهب الناس وأنا منهم! أو يقول: وجدتُ آبائي على هذه الطريق وأنا تابع لهم، كما قال الله تعالى حكاية عن أمثال هؤلاء: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾^(١). فمثل هذا الإنسان مذموم عند الله وعند جميع العقلاء، وفي مقابل هؤلاء أعطى القرآن الكريم السبيل الأمثل الذي يجب على كل عاقل أن يأخذه، فقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَيْهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٢). وهذه الآية تنطبق على المقالات التي وردت في كتابي هذا، فكل من يقرأه، ثم يقرأ بقية الأديان والمعتقدات عليه أن يعيش الصدق، والعقل، والمنطق والإنصاف، ومن ثم يتبع أحسن الأقوال وملاك الأحسن هو العقل والحق لا الأهواء والتقاليد.

وعلى هذا الأساس العقلي المتين تابعت الشيعة الإمامية أهل بيت النبي محمد ﷺ إنطلاقاً من الآيات القرآنية العظيمة الدالة صريحاً على عصمتهم

(١) الزخرف: ٢٢.

(٢) الزمر: ١٨.

وطهارتهم وأفضليتهم، وتقدمهم على غيرهم في العلم والسجايا والقرب الإلهي وكذلك الأحاديث النبوية والأدلة الأخرى فمنها:

أولاً: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾^(١).

فقد صرح المسلمون سنة وشيعة أن هذه الآية نزلت على أهل البيت عليهم السلام خاصة وهم النبي محمد ﷺ والإمام علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام^(٢). ومعلوم أن المعصوم بالعصمة المطلقة، والمطهر من كل دناءة ورجس

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) لقد أجمع الشيعة على نزولها في أهل البيت بلا مخالف، وهكذا اعترف أهل السنة بذلك وسنذكر بعض مصادر أهل السنة من باب المثال لا الحصر:

صحيح مسلم ج ٢، ص ٣٣١ وج ٧، ص ١٣٠.

تفسير الثعلبي عند تفسيره لآية التطهير.

تفسير الرازي عند تفسيره لآية التطهير، ج ٦، ص ٧٨٣.

الدر المنثور عند تفسيره لآية التطهير، ج ٥، ص ١٩٩.

والصواعق المحرقة الباب ١١ ثم قال: أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين لتذكير الضمير (عنكم).

الإصابة للعسقلاني: ج ٤، ص ٢٠٧.

تاريخ ابن عساكر ج ٤، ص ٢٠٤ و ٢٠٦.

الرياض النضرة: ج ٢٠، ص ١٨٨.

كفاية الطالب باب ١٠٠، ص ٣٧١.

ينابيع المودة باب ٣٣، ج ١، ص ١٢٤.

وغيرهم بالعشرات وقد روي هذا الخبر العظيم عن عائشة، وعن أم سلمة، وعمر بن أبي سلمة (ريب النبي)، وأنس بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، ووائل بن الأسقع وأبي سعيد الخدري.../ المؤلف.

وخبائة فهو المقدّم على غيره، وهو الذي تجب طاعته ومتابعته والإتيان لإمره وذلك لإستقامته.

ومن الايات النازلة في أهل البيت عليه السلام قوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم﴾

النساء: ٦٢.

﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ الرعد: ٨.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ التوبة: ١١٩.

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ آل عمران: ٩٨.

﴿فاسئلوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون﴾ النحل: ٤٥.

﴿ثم أروثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ فاطر: ٢٩.

﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام

بعضهم أولى ببعض﴾ الاحزاب: ٦.

وآيات كثيرة لا يسع المجال لذكرها كلها، وقد ذكر جمع كبير من علماء

السنة - فضلاً عن إطباق كلمة الشيعة - إن هذه الايات نزلت في أهل البيت ^(١).

(١) تفسير الثعلبي في تفسير الكشف والبيان عند تفسيره لهذه الآيات.

والحافظ أبو نعيم في ما نزل من القرآن في علي.

الواحد في أسباب النزول.

مطالب السؤل: ج ١، ص ٣٤.

وتاريخ بغداد: ج ٦، ص ٢٢١، والصواعق المحرقة: ص ٧٦، ونور الأبصار للشبلنجي: ص ٧٣.

كفاية الطالب باب ٦٢، ص ٢٣١.

شواهد التنزيل للحسكاني.

ينابيع المودة باب ٤٢ ص ٤٨، ج ١. عن الطبراني، عن ابن عباس قال: نزلت في علي أكثر من

ثلاثمائة آية في مدحه.

ثانياً: عدم وجود الاختلاف بين الائمة الاثني عشر - الذين أخبر عنهم النبي - الذين هم من نسل رسول الله ﷺ، خلافاً للفلاسفة والحكماء والفقهاء من العامة وبقية المذاهب والطوائف، فأنك تجد إختلافاً في النظريات والآراء والفتاوى في الاصول والفروع وهذا غير موجود في مذهب أهل البيت عليه السلام، بل هم وحدة ومنظومة متناسقة لا يتضارب كلامهم، ولا تختلف أقوالهم؛ لأنهم ورثوا العلم من جهة واحدة وهي النبوة الخاتمة، ومن ثم من باب علم النبي ﷺ ألا وهو الإمام الأول علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم الحسن ثم الحسين وهكذا إلى علي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق وموسى بن جعفر الكاظم وعلي بن موسى الرضا ومحمد بن علي الجواد وعلي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري والمهدي صاحب الزمان صلوات الله عليهم أجمعين، هؤلاء ورثة علم النبوة وقادة الأمة الذين استغنوا بعلمهم عن القياس والرأي والإستحسان، وعن كل الضلالات والآراء الفاسدة والمعتقدات الباطلة، بل هم سفراء الله وحججه على بريته لا يختلفون ولا يتفاوتون ولا تتعارض ولا تتقاطع أسسهم؛ لأنهم الحق والحق واحد، فالمنظومة الدينية التي رفعوها لنا كانت منسجمة ومتطابقة في أصولها وفرعها مع القرآن.

ثالثاً: (١) النصوص النبوية الصحيحة والمتواترة الدالة على وجوب متابعة

(١) لقد قدّمنا وأخرنا بين الفقرة الثانية والثالثة وذلك لأسباب فنية لا غير، وقد حذفنا بعض كلام المؤلف رحمه الله فيما يتعلق بكتاب الملل والنحل للشهرستاني، وانتقاده لمثل هذا الكتاب غير الدقيق وذكر مثلاً عن عدم دقة الشهرستاني في ذكر الحقائق، وسبب حذفنا لهذا المطلب هنا يعود لسببين:

الأول: إنّه قد مرّ ذكره تماماً في كتاب الفرقة الناجية فلا حاجة للتكرار.
الثاني: إنّه لا علاقة له بالموضوع المشار إليه أعلاه / المترجم.

أهل البيت عليهم السلام قد مرَّ ذكر بعضها وهذا بغض آخر للفائدة:

قال رسول الله ﷺ: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثّل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» ذكره الطبراني في المعجم الصغير ص ٧٨ ط دهلي والواحي في أسباب النزول ص ٣٨٦ ط دار الكتب العلمية، وفرائد السمطين: ج ٢، ص ٢٤٤، رقم ٥١٨، وتفسير الدر المنثور: ج ١ عند قوله وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، والصواعق المحرقة ج ٢، ص ٦٧٥، ط مؤسسة الرسالة، وكنز العمال ج ١٣، ص ٨٢، ط حيدر آباد، وينابيع المودة الباب الرابع: ص ٢٨ ط اسلامبول وكفاية الطالب باب ١٠٠ وغيرهم.

وقال رسول الله ﷺ عن علي عليه السلام: إن هذا أول من آمن بي وهو أول من يصافحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر وهذا فاروق هذه الأمة يُفرّق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين» وقد ذكر الكنجي الشافعي في ذيل هذا الحديث قوله ﷺ: وهو بابي الذي أوتي منه وهو خليفتي من بعدي» وقد ذكر هذا الحديث الكثير من علماء أهل السنة نخصّ بالذكر منهم الطبراني في المعجم الكبير، والبيهقي في السنن، والشافعي في مطالب السؤول، والمتقي الهندي في كنز العمال، والهيثمي في مجمع الزوائد عن سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، وحذيفة بن اليمان.

فيظهر من هذا الحديث أنّ علياً عليه السلام هو الفاروق الأكبر بين الحق والباطل، وبعبارة أخرى هو الفاروق بين القرآن الكريم والأباطيل، وهو الفاروق بين المعاني الشريفة والأساطير السخيفة، ولولاه لمّا تبين للحق وجهه ولا انكشف للعلم رمز، وليت شعري فأنّ هذا كافٍ لمن ألقى السمع وهو شهيد في وجوب الالتزام بمذهب أهل البيت عليهم السلام فهم الملجأ والمنجى من مظلات الفتن.

المقالة التاسعة والتسعون

إقرار علماء أوروبا وغيرهم بعظمة القرآن

لقد واعدنا القراء في المقالة ٧٧ أن نذكر لهم كلمات بعض علماء الغرب حول عظمة القرآن، وها نحن نفي بذلك الوعد لأهميته إذ الفضل ما شهدت به الأعداء، ولتكون الحجة ألزم للخصم لا سيما الشعوب الأوربية والغربية التي تعتقد أنها أفضل من شعوب الشرق تحت ذريعة التقدم التكنولوجي عندهم إلا أنهم يقرون بعجزهم وحيرتهم ويعترفون بتواضعهم ولا يخفون كلمات إعجابهم أمام القرآن الكريم، ونحن في هذه المقالة سنذكر شطراً من كلماتهم لإتمامها^(١).

١- الدكتور شبلي شميل العالم المصري المسيحي المعروف في اتجاهه المادي المتأثر بنظرية دارون قال في رسالته التي بعثها إلى السيد محمد رشيد رضا وقد أدرجها الأخير في المجلد الحادي عشر من تفسيره المنار عام ١٣٢٦هـ: يا غزالي العصر أنك تعتقد أن محمداً من أعظم وأكبر الأنبياء ولكني أعتقد أنه أحد أفراد البشر إلا أنه في نفسي أكبر مما هو في تصورك، فعلى الرغم من افتراقنا في المعتقد إلا أننا نلتقي في العقل والفكر والإنصاف... ثم ختم رسالته بهذه الأبيات:

دع من محمد في سدى قرآنه	ما قد نحاه للحمّة الغايات
إنّي وإنّك قد كفرتُ بدينه	هل أكفرن بمحكم الآيات؟
أو ماحوت في ناصح الألفاظ من	حكم روادع للهوى وعظّات

(١) لا يخفى أن كلماتهم ذكرها المؤلف رحمه الله بالفارسية وترجمتها إلى العربية قد تختلف في بعض كلماتها مع الأصل؛ لأننا لم نعتمد الترجمة الحرفية / المترجم.

وشرائع لو أنهم عقلوا بها ما قيدوا العمران بالعادات
نعم المدبر والحكيم وأنه ربّ الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحجا رجل السياسة والدها بطل حليف النصر في الغارات
ببلاغة القرآن قد خلب النهي وبسيفه أنحى على الهامات
من دونه الأبطال في كل الردي من سابق أو لاحق أو آت

٢- الدكتور غوستاف لوبون الفيلسوف الفرنسي الشهير المتوفى ١٩٣١م،
فقد نال هذا العالم شهادة في الطب والاقتصاد، والحقوق وله كتاب تحت اسم
تمدن العرب كتبه بلغته ثمّ ترجم إلى العربية والاردو والفارسية، قال في الباب
الثاني منه:

لم ينحصر القرآن السماوي للمسلمين بكونه كتاباً مذهبياً، بل فيه الدستور
الإجتماعي للمسلمين فعلى الرغم من كونه قد نزل من عند الله إلا أن إرتباط
أجزائه قليل وهو ما يدعو إلى الحيرة..

وقال في الفصل الثالث من الباب الخامس من الكتاب الرابع:
إنّ الأحكام والتعاليم الأخلاقية في القرآن راقية وعالية جداً مثل الخير
والحسن والعدل والإحسان وإكرام الضيف والإعتدال في الملكات النفسية
والوفاء بالعهد وإكرام الوالدين وصلة الرحم ومحبتهم وإعانة الأرامل والأيتام
ومقابلة السيئة بالحسنة.. وغيرها من الموارد التي أكدّ عليها وكلّها من الصفات
الحميدة وقال في موقع آخر: إنّ شريعة ومنهاج الإسلام ترك تأثيراً واضحاً عند
القوم الذين اعتنقوه فجعلهم يتصفون بالسماح.

فلم يوجد في الدنيا مذهباً كالإسلام ترك في قلوب معتنقيه هذه القدرة
والنفوذ، ولعل السبب يعود إلى القرآن الذي هو وراء هذا الأثر الفعال في جميع
عادات المسلمين، ففي كل موقع يدخل إليه القرآن فأنه يمتاز بالقوة ليرك عقول

العقلاء في حيرة من أمرها.

يكفي شاهداً على ذلك قبول المصريين للإسلام بعدما فتحت مصر وحررها المسلمون مع أنهم كانوا قد رفضوا مدينة الروم واليونان وصنعوا لأنفسهم مدينة عجيبة مما يعكس قدرتهم وصعوبة تجاوزههم بسهولة عن كل هذا التراث والتقدم العلمي، ولكن مع كل ذلك فإنهم استقبلوا الإسلام وتكلموا العربية أيضاً، بل أنهم طيلة قرن واحد في ظلال الإسلام كانوا قد تركوا تراث سبعة آلاف عام وتمسكوا بالإسلام كدين وعادات حتى مع إنقراض الفاتحين بعد مرور قرن عليهم، ولا يمكن تفسير كل هذه القدرة الإسلامية إلا بالقرآن الذي دعى الشعوب إلى التعاليم العالية.

٣- توماس كارلايل: وهو فيلسوف إنكليزي توفي عام ١٨٨١م له كتاب الأبطال وقد تُرجم إلى العربية، فإنه حينما يذكر البطل الكبير محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: عندما نتأمل في بلاغة القرآن - فضلاً عن كونه كتاباً سماوياً - نرى أنه من حيث الألفاظ والتركيب أبلغ كتاب عربي تم تدوينه، لأن أسلوب بلاغته في السجع والإسترسال وغير ذلك موافق لأعلى ذوق امتد طيلة هذه القرون ممن تكلم بهذه اللغة وقد ملئ هذا القرآن بالأمثال الواضحة، والصادقة والحقيقية والتذكرة البليغة، ولا يقرأ أحد هذا القرآن بتأمل وعلم إلا ويرى الحقائق جواهرأً بالقرب منه وهي جليلة وظاهرة مما يعني أن القرآن مرتبط ومتصل بأصل حقيقي ومبدأ عالي ومقدس. فإن الحقائق المتألقة وخصائص أسرار الوجود ذكرت في القرآن بطريقة يعترف كل من قرأها بأن إدعاءات محمد ﷺ صحيحة صادقة.

وهذه نقطة واضحة جداً؛ لأن كل كلام حقيقي فله تأثير ونفوذ على القلوب، إلا أن جميع الكتب تعد حقيرة وصغيرة أمام القرآن الذي لا يُعاب عليه شيء.

٤- تولستوي: الفيلسوف الروسي المعروف المتوفى عام ١٩١٠م له كتاب باسم (حكم محمد) قال فيه: كلُّ من أراد سهولة وبساطة الدين الإسلامي عليه أن يطالع القرآن مطالعة دقيقة، وذلك لأنه أشتمل على أحكام وتعاليم وحقائق متنورة وواضحة وسهلة باستطاعة الأفراد العاديين أن يستفيدوا منه، ففي هذا الكتاب المقدس آيات نازلة عن مكانة الدين الإسلامي العظيم، وطهارة روح القدس الذي أنزل هذا الكتاب المقدس على النبي محمد ﷺ فمن جملة آياته الاجتماعية الكبيرة هذه الآية: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾^(١).

٥- سافاري: وهو أحد المستشرقين الفرنسيين قد ترجم وفسّر القرآن إلى لغته ذكر في مقدمة تفسيره إنّ القس الإيطالي (ماراكسي) قضى أربعين عاماً في تفسير ونقد القرآن الكريم بألفاظ لاذعة وخشنة ممّا يدلّ على جهله وعدم معرفته، وإفراطه وتطرفه، إذ لم يفهم القرآن ولن يفهمه، فالقرآن كالإنسان له جسم وروح فالأول يظهر من خلال ألفاظ القرآن المشتملة على البلاغة والفصاحة وقوة السبك وطراز الوصل والفصل والتأثير على النفوس - فضلاً عن الثاني - فالقرآن له تأثير وجاذبية خاصة على النفوس لا توجد في أي كتاب آخر.

٦- السيد سديو: المؤرخ والمستشرق الفرنسي الكبير له كتاب باسم (تاريخ العرب والإسلام) و(تاريخ رسول الله) قال ما خلاصته: القرآن كتاب سماوي ومجموعة حكمية كبيرة، لم يترك شيئاً من الحكم والآداب إلّا تناولها، يرتكز القرآن على الحكمة والعدل والإحسان، فهو دليل البشر نحو الحق والفضائل

والكمالات والابتعاد عن الباطل والضلالة، فالقرآن الكريم كتاب عظيم اشتمل على أحكام ومبادئ كلية عامة كانت قد نزلت على الأنبياء السابقين، فأن مواعظه وأحكامه تُعْمِي وتخرس أولئك الباحثين عن نقاط الضعف في الإسلام كيف لا وقد استطاعت هذه الحكم القرآنية أن تهدي عرب البادية الذين اتصفوا بخشونتهم وعاداتهم السيئة وأفعالهم المقيتة حتى صاروا معلّمين ومرشدين للبشرية، فالقرآن أوجد تمدناً جديداً عرف بـ (تمدن العرب) وصار من حقهم أن يفتخروا بهذا الكتاب السماوي المحكم.

٧- گوته: الفيلسوف والشاعر الألماني المتوفى عام ١٨٣٢م ضمن شرحه في العوامل المحفزة والدافعة للقوى البشرية وعدم الركون إلى الخيالات والعادات السيئة قال:

ومثل ذلك مثلنا عندما كنا شباباً وقعنا تحت تأثير كلام القساوسة المتعصبين إتجاه القرآن الكريم كتاب المسلمين. ولكن بعدما انتقلنا إلى مرحلة أخرى من العمر وهي مرحلة العلم والتجربة والاعتماد على الذات في فهم الأمور وتقصي الحقائق عرفنا أنه يتوجب علينا أن نقرأ الكتب بدقة كاملة ومن هنا قرأنا القرآن بكل دقة وإمعان فأخذ منا مأخذاً كبيراً ووقع تأثيره في النفوس وبقينا في حيرة من أمر هذا الكتاب، ثم طبقنا الألفاظ على المعاني الصحيحة والعالية فعرفنا عظمة هذا الكتاب الكبير وعندها علمنا أن أحكام ومقاصد وقواعد واصول هذا الكتاب أكبر من توصف بالقوية أو المحكمة، والآن اكتشفنا أن العظمة مقابلة لا معنى لها؛ لأنه - القرآن - أكبر بكثير من العظمة، وعن قريب سيلعب هذا الكتاب دوراً مهماً في العالم وستكون له نتائج كبيرة وتأثير عميق على أهل العلم وبالنتيجة سيكون مدار العالم على هذا الكتاب.

من موسوعته (اسيكلويدى): إِنَّ القرآن الكريم نزل بأفضل اللغات وأفصحها، ولشدة فصاحته وبلاغته فأنه جذب نحوه عقول العقلاء، وقد أيقن أهل العلم والمعرفة أن هذا الكتاب سيظهر على العالم كله بلا معارض وإلى الأبد، وأتباع هذا القرآن سيقضون حياة طيبة وممتعة، ومن عظمة هذا القرآن ما ورد في الآية ١٦٤ من سورة الانعام: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ والآية ٨٧ من سورة الزلزال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

٩ - السيد وليز: وهو أحد علماء وكتاب بريطانية حيث قال: إذا أردنا أن نعرف ديناً على أنه الدين الكامل، فيجب أن يمتاز ذلك الدين بالقدرة على معاصرة كل فترة من الزمان بمدنيتها، وكلّ دين لا يستطيع مسايرة الحالة المدنية في زمان من الأزمنة فيجب أن يضرب به عرض الجدار، لأنه حينئذٍ مجموعة من الأباطيل والشور، واللهو واللعب، ويقود أتباعه إلى الضلالة والذلة والحقارة. ومن مجموع الأديان الموجودة في عالمنا اليوم الإسلام الذي استطاع أن يساير المتغيرات طيلة ١٣ قرناً متغلباً على كل الحواجز ومتماشياً مع كل مدينة جديدة من دون أن تتعرض نصوصه وأحكامه للتغيير والتبديل، وكل من أراد أن يعرف حقيقة ذلك فعليه بمطالعة القرآن بكل دقة وعناية فأنه سيرى حقائق علمية وقانونية وسياسية ونظماً اجتماعية عندها سيعلم أن ما قلناه لم يكن مجازفة.

فالقرآن كتاب حكيم، فهو علمي وديني وإجتماعي وتهديبي وأخلاقي وتاريخي وكثير من أحكامه ونظمه صالحة للتطبيق في عالمنا اليوم وما بعد عالمنا إلى يوم القيامة وذلك لعدم وجود كتاب جامع وكامل عملياً ونظرياً كالقرآن.

١٠ - كونت هنري دو كاستري: وهو أحد العلماء الفرنسيين الكبار وهو إلى جانب ذلك ضابطاً كبيراً، بعثته فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر إلى الجزائر عندما كانت تحت الاحتلال وعلى أثر معاشرته للمسلمين ومخالطته بهم ودقته

في عقائدهم عرف أنّ القساوسة المتعصبين أصحاب الجاه والمناصب وغيرهم من كُتّاب أوروبا قد كذبوا عليهم فيما يخص خاتم الانبياء محمد ﷺ وأنّهم قالوا شططاً دفعتهم الأحقاد وقادتهم العادات واعتمدوا الأكاذيب والخرافات، فلم يقولوا إلا بهتاناً وظلماً.

فبعدهما طالع هذا العالم كتب المسلمين وفي طليعتها القرآن الكريم عرف الحقيقة من أهلها وسمع في صميم وجدانه ندائها، فتناول قلمه وكتب بلغته الفرنسية كتاباً تحت عنوان (الإسلام الأفكار والخيالات) فقد خدم الإسلام والمسلمين، بل العالم أجمع حينما نفى كلّ الخيلات والأكاذيب والخرافات التي ألصقها القساوسة بالإسلام، فأبرز الحق وكشف عن الحقيقة ودفع تهم المغرضين عن نقاء الإسلام العظيم، فقد كان رجلاً منصفاً وشريفاً قدّم خدمة جليلة نرجوا من الله تعالى أن يشيبه عليها، والجدير بالذكر أن الكاتب المصري الشهير أحمد فتحي زغلول باشا قام بترجمة هذا الكتاب إلى العربية، ثمّ قام المرحوم السيد محمد الفاطمي القمي مستشار الديوان العالي - وهو أحد القضاة المعروفين في إيران - بترجمة الكتاب من العربية إلى الفارسية، ومما جاء في هذا الكتاب في الفصل الأوّل منه والذي صدره المؤلف بعنوان (صدق محمد) ^(١) بعدما ذكر كلاماً طويلاً عن عظمة الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وآله: إنّ العقل حيران كيف صدرت هذه الآيات عن هذا الرجل الأُمّي؟

مع اعتراف أهل المشرق أنّ الفكر البشري لعاجز عن الإتيان بمثل هذه الآيات لفظاً ومعنى، الآيات التي حينما استمع إليها عقبة بن ربيعة (وهو أحد

(١) المؤلف يوصي المسلمين إلى مطالعة هذا الكتاب القيم لينكشف زيف الكُتّاب المسيحيين.

فصحاء وبلغاء ذلك العصر) ظلّ في حيرته تائهاً^(١).

وقال المؤلف أيضاً: نحن الغربيين لا نستطيع أن نفهم معاني القرآن كما يفهما العرب؛ لأنّها مخالفة للنظام التربوي عندنا، ولكن هذا لا يمنع من إعترافنا أنّه أثر تأثيراً بالغاً في العقل العربي، ولقد أصاب جان جاك روسو حينما قال: بعض الناس يتعلمون شيئاً قليلاً من اللغة العربية ثمّ يقرأون القرآن فيضحكون منه، إلّا أنّه لو سمعوا محمداً وهو يقرأ عليهم تلك الآيات بلسانه الفصيح ونغمته المؤثرة على العرب وما أعطي من قوة البيان، والتأييد لسجدوا عند كلّ حكم من الأحكام ولقالوا: يا رسول الله خذ بأيدينا إلى مواقع الشرف النبيل، أو خلّصنا من مواقع الخطر الحادق بنا فنحن لأجلك نموت أو نتنصر.

أو كما قال (بولا تقيير): «أئنّي أعترف إنّ المشكلة في الإنسان فعليه أن يصدق بالأمر ولا يبقى متحيراً، ففصاحة بشرية بهذا المستوى الرفيع والمؤثر، لا سيما أنّها فصاحة عالية ودائمة بلا ضعف، إلى حدّ الإعجاز والرفعة مما لا يمكن لأهل الأرض ولا لملائكة السماء الإتيان بمثل ذلك».

ثمّ ذكر المؤلف هذه الآية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا مَنْ استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا إنّما أنزل بعلم الله وإن لا إله إلّا هو﴾ فكيف يتسنى لنبي هذا الكتاب أن يؤلّف هذه العبارات؟ مع العلم بأنّ هذه الطريقة في السبك في وقتها كاللاتينية في العصور الوسطى لا يدركها إلّا أهل العلم!

وقال في ص ٣٢ من الكتاب: وقد لاحظنا أنّ الناس الذين لم يكونوا أميين في الأُمّة العربية أنّهم قاموا وادّعوا النبوة، ومن جملتهم مسيلمة الكذاب الذي

(١) الإسلام الأفكار والخيالات، ص ٣٠.

اعتبر نفسه قرين محمد ﷺ وجاء بسورٍ معينة إلا أن العرب سخرُوا منه ومنها.
فالقرآن إن لم تكن فيه هذه المعاني الشامخة الواضحة التي سيطرت على
أذواق وأفكار وقلوب الناس لما خضعوا له. لقد اعتبر محمد ﷺ قرآنه دليلاً على
نبوته دائماً وإلى الأبد ليبقى ذلك سرّاً لا يُستعصى فتح طلسماته، ويصعب الوصول
إلى حقيقته إلا في حالة الإيمان؛ لأنّ هذا الكتاب نزل من الله تعالى.

وقال في ص ٣٥: لقد كانت أديان الأنبياء واحدة وكلّهم من زمان آدم وإلى
محمد ﷺ على مذهب واحد، وقد نزلت من السماء ثلاث كتب وهي التوراة
والإنجيل والقرآن، ونسبة القرآن إلى الإنجيل كنسبة الأخير إلى التوراة، ونسبة
محمد ﷺ لعيسى كنسبة عيسى إلى موسى ﷺ وكما أن معرفة تلك الكتب
والأنبياء مهمّة كذلك القرآن الكتاب السماوي الأخير وصاحبه خاتم الرسل إذ
لا كتاب بعده ولا نبي بعده.

وقال في ص ٢٩: في القرآن آية: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾
إنّ الألفاظ المترادفة في لغة العرب والمعاني الدقيقة ساعدت على تكرار هذه
الألفاظ ولكن بأفكار أخرى، ومنها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وهو أصل
الإعتقاد بالإله الواحد الفرد الصمد المنزه عن النقائص، أي ما يمكن للعقل هضمه
وفهمه وهذه عقيدة محكمة والمسيحيون يعتقدون ذلك دائماً، وبهذا العقيدة أمتاز
المسلمون عن جميع الأقوام والفرق؛ لأنّهم مؤمنون حقيقيون بما يتلفظون به.
ولا يمكن التصور أنّ هذه العقيدة أتت بها النبي من خلال مطالعته للتوراة، أو
الإنجيل وذلك؛ لأنّا لو طالعنا هذين الكتابين لوجدنا عقيدة الثالوث وهي تخالف
فطرة هذا النبي، بل تخالف وجدانه منذ بداية خلقته، إذاً ظهور عقيدة التوحيد فجأة
من أكبر المظاهر في حياة هذا النبي ودليلاً كبيراً على صدق رسالته وكونه أميناً في
نبوته.

١١- جان ديون پورت: العالم المسيحي الإنكليزي المنصف الذي عُرِفَ بعدم التعصب الأعمى لقد كتب هذا العالم كتاباً رائعاً دافع فيه عن حريم الإسلام عام ١٨٦٩م تحت عنوان (محمد والقرآن) طبع ونشر في أوروبا وقد قدّم خدمة عظيمة للإسلام والمسلمين حينما دافع في فصوله الأربع عن التهم والأباطيل والسفاسف التي أثارها القساوسة المتعصبون، وقد قام أخيراً السيّد غلام رضا سعيدي بترجمة هذا الكتاب إلى الفارسية، يكفي للمسلمين أن يقرأوا جلدًا واحدًا من هذا الكتاب ليعرفوا مقدار الجهد الذي بذله المؤلف في الدفاع عن الإسلام وليعرفوا أيضاً عظمة الإسلام عن لسان غير المسلمين وعندما يلعبوا المتلاعبون بالحقائق والمزيفون لها أمثال كسروي الذي يخلط الأوراق ويزيّف الأحكام ويقدمها إلى الشباب على أنّها الإسلام في تناقضاته محاولاً بذلك تحطيم الإسلام وإهانة خاتم الأنبياء ﷺ.

لقد ذكر المؤلف في الفصل الأول من القسم الثاني من الكتاب: يُعد القرآن من الناحية الأدبية أفضل أثر شعري في بلاد المشرق، والقسم الأعظم منه النثر الموزون والسجع، وهذا السبك مطابق لأذواق أقدم العصور في هذه الجهة من الأرض.

ولقد أترف الجميع بأنّ القرآن نزل بأبلغ وأفصح لسان وهي لغة قريش القبيلة الأكثر نجابة وأدباً وابتعد قدر الإمكان عن بقية اللهجات الأخرى للقبائل فيعد القرآن نموذجاً راقياً للغة العربية، بل أرقاها فهو مملوء جمالاً لفظياً وتشبيهاً سحرياً بليغاً.

وعلى الرغم من كون القرآن مبهماً من جهة وبسيطاً من جهة أخرى إلا أنّه وبالجملّة يملك رصيذاً كبيراً من القوة وهذا المعنى هو الذي جذب نظر الشاعر الألماني (گويتة) الذي قال: القرآن أثر يبهت كل من قرأ الفاظه الثقيلة بادی الأمر

إلا أنه ينجذب ويُفتن به من دون اختيار في نهاية المطاف.

يقول العالم (گیبون): لم ينحصر القرآن في الأحكام الدينية والأخلاق، بل امتد هذا الكتاب من المحيط الأطلسي وإلى ضفاف نهر الكنك بقوانينه القضائية والمدنية والجزائية والمالية، وجميع هذه القوانين ثابتة لا تتغير؛ لأنها صادرة عن الله سبحانه وتعالى.

وبعبارة ثانية يُعد القرآن دستوراً عمومياً، وقانوناً أساسياً للمسلمين يشمل مجموعة من القوانين الدينية والاجتماعية والمدنية والتجارية والنظامية القضائية والجنائية والجزائية، وكلها ممّا يتعاطاه الإنسان يومياً فضلاً عن النظافة المعنوية (تزكية النفس) والنظافة الظاهرية للجسم.

وكذلك تناول القرآن الحقوق العامة والخاصة، والمنافع العامة والخاصة ثم الأخلاق والجنايات وعذاب العالم ثم نجاته، وأخيراً من نجاته إلى نهياته مرّة أخرى.

وذكر المحقق (كومب): إنّ القرآن يختلف عن الإنجيل؛ لأنّ الأخير ليس فيه بُعداً فقيهاً، بل إنّ محتوياته عبارة عن قصص وروايات وحكم تدفع الإنسان إلى الخير والإيثار والتحلي بالأخلاق الفاضلة والعواطف النبيلة. ولا توجد أي حلقة وصل ذات جاذبية عالية بين هذه الفقرات الإنجيلية.

بينما يُعد القرآن مدرسة وطريقة سياسية وذلك؛ لأنّه أفرغت في آياته كلّ أبعاد وقواعد المؤسسات السياسية والقانونية التي تدير البلاد، وبالجملّة فكلّ المسائل الحياتية والمالية ومصدر التقنين موجودة في القرآن الكريم وهو منبعها. إنّ عقيدة محمد ﷺ خالية من شوائب سوء الظن والابهام والتردد والقرآن أقوى شاهد على وحدانية الله. ومن جملة الأمور الحسنة الموجودة في هذا الكتاب هي نقطتان في غاية الأهمية:

الأولى: تعظيم الخالق ووصفه بأكمل وأجمل الصفات وتنزيهه عن كل نقص وعن كل هاجس نفساني بشري.

الثانية: لا توجد في القرآن أي أفكار أو أمثال أو قصص مخالفة للتقوى والعفة وسوء الأخلاق، فهو خالٍ من العيوب.

ومع كل الأسف فإن مثل هذه النواقص موجودة في الكتب الأخرى، فالقرآن منزّه بنفسه عن مثل هذه العيوب لا يحتاج إلى أصغر جهد لتصحيحه ومن الممكن مطالعته من أوله إلى آخره دون أن يجد قارئه أي نقص في نص من نصوصه ما يخالف الحياء.

فالإسلام دين تكون عن طريق القرآن وبعبارة أخرى فهو دين التوحيد الخالص وفي الإيضاحات القرآنية المتصلة بالخالق لا يوجد أي غموض في هذا الجانب. فالله تعالى كما يصفه القرآن هو العلة الأولى الذي خلق العالم ووضع فيه قوانينه وبنفس الوقت فهو الخالق الذي لا يدرك كنهه القائم بذاته والقوة الحاضرة دائماً والفاعلة على طول الخط.

١٢- اللورد بيدلي: العالم المعروف الذي كتب كتاباً بعنوان (نداء الإسلام في الغرب) شرح فيه أمور كثيرة عن الإسلام وعظمة خاتم الأنبياء والقوانين الإسلامية المحكمة والقرآن المجيد فمن جملة ما قاله:

اتصف محمد ﷺ بالطمأنينة والوقار وخصائص أخرى لا تُعد وكان مخالفاً لكلّ الخرافات وأساطير الملحدين، وأساس دينه الطاهر هو القرآن الذي حوى كلّ المسائل الاجتماعية والأحكام والقوانين الإلهية الداعية لايجاد الطمأنينة والراحة للبشرية، لأنّ الإنسان سابقاً وحاضراً يبحث عن الدليل الذي يرشده إلى السعادة الحقيقية الأبدية، وهذا الدليل الكبير وجد من عالم الغيب في شبه الجزيرة العربية، حيثُ وضع لهم كتاباً حكيماً يقود البشرية إلى طموحاتها.

فنحن نريد ديناً يحقق لنا العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية ويسود حكمه هذا بين الأقوام كلها، فالأناجيل الاربعة التي تقود الأمة المسيحية لا تمتلك مثل هذه الصيغة فمثلاً من جملة الحقوق الفردية والاجتماعية هو القصاص الذي خلت منه الأناجيل، بينما يحفظ القرآن في نصوصه ونفسه وعرضه وله في مجال استرداد الحقوق نصوص بالغة الاهمية شديدة التأكيد، وفي نفس الوقت يضمن العدالة الاجتماعية والمساواة بين الأفراد ضمن قواعد ثابتة وهو ما يحير العقلاء. كل انسان عاقل عالم يقف بكل خضوع أمام عظمة القرآن، فأنا شخصياً أتصاغر وأتواضع أمام هذا الكتاب السماوي العظيم بقوانينه المستحكمة وأخاطب نفسي بضرورة احترام مثل هذا الكتاب الكبير.

١٣- كوسين دبرسوال: المستشرق الفرنسي الكبير عُرف بتخصصه بالمخطوطات الشرقية وكان يتقن العربية حتى عُين ناظراً في المكتبة الوطنية في باريس وقد توفي هذا العالم سنة ١٨٣٥م بعدما ترك كتاباً بعنوان (تاريخ الشرق) يقول فيه: لقد أصيبت عقول العقلاء بالحيرة إتجاه القرآن إذ كيف يتسنى لرجل أمي أن يأت بهذه الآيات المليئة بالمعاني والألفاظ التي أعجزت البشر عن تحديها؟ فأهل الشرق - العلماء والعوام - يعترفون بأن آيات القرآن خارجة عن قدرة البشر، فأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله من حيث الألفاظ والمعاني وذلك؛ لأن القرآن لم يخاطب المسلمين فحسب بل أهل العالم أجمع فالآيات القرآنية أنغام إلهية كل من تلاها أو استمع إليها فإنه ينجذب إليها من دون شعور وقد حدث ذلك حينما تلا جعفر الطيار ابن عم النبي محمد ﷺ بعض الايات على النجاشي ملك الحبشة فما أن استمع إليها الأخير إلا وتقاطرت الدموع من عينيه.

١٤- در منكهام: وهو كاتب وعالم فرنسي معروف له كتاب بعنوان «حياة محمد ﷺ» جاء فيه: إن سحر البيان في القرآن وحقايقه غير القابلة للإنكار هما

من أسباب تعجب واستغراب العلماء الكبار، فأن كثيراً من الضالين حينما استمعوا إلى سحر البيان القرآني تأثروا تأثيراً كبيراً حتى خرجوا من ظلمات الشقاء والانحراف إلى طريق النجاة والهداية، نعم هو القرآن الذي كان وراء إلغاء الفوارق الطبقية، ودعى إلى قانون المساواة، وعلى أثر تعاليمه الراقية أفاق أهل العالم وخرجوا من وادي الجهل والضلالة ليدخلوا في مدينة العلم والمعرفة والمدينة الصالحة.

١٥- وليام موييس: وهو مؤرخ وعالم انكليزي معروف له كتاب بعنوان (سيرة محمد) قال فيه: قرآن محمد كتاب اشتمل على الدلائل المنطقية الواضحة والمسائل العلمية العديدة، والقوانين القضائية والحقوقية، والدساتير الاجتماعية والمدنية التي تُعنى بحفظ وتنظيم الحياة، كل ذلك ثم ذكره بعبارة سهلة ولكن في غاية الإتيان حتى أنها سحرت كل من طالها.

١٦- وجاء في دائرة المعارف: لقرآن محمد ﷺ في عالم البشرية مقاماً علمياً وأدبياً رفيعاً، لأنه جاء بأفصح لسان واجمل بيان، له لطائف عالية ومضامين متعالية جذب نظر العقلاء والعلماء، حتى أنه - القرآن - احتل الصدارة في جميع المكتبات العالمية الكبيرة.

وأحكامه الدينية متقنة ومعتدلة، وقوانينه الاجتماعية أوجدت الأمل في قلوب أهل اليقين، حتى صار بالمقدور أن تكون هي الأساس لإدارة المدن.

١٧- باير: وهو أحد المستشرقين المعروفين قال: إذا دقق أحد بالفاظ ومعاني القرآن، ونظر إليه بانصاف لوجد أن القرآن كتاب لا نظير ولا معارض له وكل من سار على هدى القرآن فإنه يحصل على حياة مريحة وهادئة، وما أجمل ما قاله الدكتور (ماركسي): القرآن كتاب تام المنهج في التوحيد الإلهي، والعلماء الكبار في العالم أخذوا تعاليمهم العالية من القرآن وقد أستفيد منها بشكل عام.

وقال (لومانس) استاذ جامعة واشنطن: كل مَنْ أمعن النظر في معاني وألفاظ القرآن عرف أنّ هذه الآيات العظيمة ليست من ولادة البشر، بل كلّه كلام إلهي.

١٨- نولدكي: وهو استاذ كبير ومستشرق ألماني شهير توفي عام ١٨٣٦م له كتاب بعنوان (تاريخ القرآن) جاء فيه: كل آيات القرآن براهين ومنطق وكذلك توجد قوة إقناع عجيبة في ألفاظ ومعاني تلك الايات تجذب قلب كل مَنْ استمع إليها، وتسيطر على قلوب المعاندين والمخالفين، والذين يتبعون القرآن كأنّهم أعضاء الجسد الواحد يرتبط بعضهم ببعض كإتصال الروح ببدن الأُمَّة.

ويمتاز القرآن رغم بلاغته وفصاحته المتفوقة بالسهولة وهذا سر إنتشار هذا الكتاب المقدس بمدة قليلة بين القبائل الجاهلية البعيدة عن الآداب، حتّى تأدبوا بآدابه وتعلّموا منه بل صاروا مرشدين ومعلّمين ومؤدبين لغيرهم من أهل الدنيا.

١٩- الدكتور مارديل: المستشرق الفرنسي المعروف يقول هذا العالم عن القرآن:

القرآن كتاب عجيب فكّله حكم ومواعظ وعبر وجواهر ثمينة القيمة، وكل ما فيه لا يوجد في أي كتاب آخر ولن توجد، وكلام القرآن أفضل وأمتن من كلام بوذا وافلاطون، فأياته دلائل النبوة ومبالك السعادة التي خرجت من قلب ذلك الرجل الكبير والنبي الشامخ إلى الوجود فهو - القرآن - نموذج القدرة الإلهية المتكاملة وعلاقة القدرة البشرية مطلقاً.

٢٠- مسيول ژول لا بوم: المستشرق الفرنسي المعاصر، وهو أحد العلماء المختصين في العلوم الإسلامية وعلوم القرآن المجيد، كانت لهذا العالم بعض الخدمات الفكرية المفيدة باللغة الفرنسية فقد وضع فهرسة للآيات القرآنية حسب

مواضيعها وتُعد أفضل فهرسة وُضعت لحد الآن، وقد ذكر في فهرسته كلاماً حول القرآن الكريم:

أكثر آيات القرآن في الوعظ والزجر والترغيب والترهيب وهذا يعني أنه لم يخصص خطابه إلى كبراء ورجال ذلك الزمان، بل وجهه إلى العالم كله فمثلاً قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾ وكذلك قوله: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ فهذا الأصل القوي في القرآن كان سبباً لهداية وإرشاد الناس إلى طريق السعادة والكمال والنجاة.

وقال أيضاً في مقدمة الفهرست: لو تأمل علماء الملل والنحل وأرباب العلم بكل إنصاف في المعارف القديمة قبل الإسلام ثم نظروا إلى المعارف العالمية بعد إنتشار الإسلام لقتنعوا أن التقدم الحاصل في المعرفة والفكر البشري إنما جاء على يد المسلمين الذين ورثوه بدورهم من القرآن، لأنه كالبحر العميق الذي يغذي الأنهار بالعلم كل على حده، وهذه من الأمور التي ستبقي القرآن حياً دائماً إلى الأبد، وفي فترة زمنية ينهل أهل العلم من القرآن بمقدار فهمهم وشعورهم.

المقالة المائة

العادات والتربية الخاطئة منعت من إسلام العلماء الأجانب الذين أقرّوا بعظمة الإسلام والقرآن

بعدما ذكرنا كلمات هؤلاء العلماء يواجهنا سؤال تكرر علينا سابقاً
وسنجيب عليه بما يتناسب مع حجم المقالة لترتفع سفسطة شياطين الجن والانس
وهو:

لماذا لم يسلم هؤلاء العلماء الغربيون على الرغم من مدحهم للإسلام
وتعظيمهم للقرآن، وإكتشافهم الحقائق العلمية، ووصولهم إلى الأدلة القاطعة، بل
ودفاعهم عن الدين الإسلامي، وانتقادهم لأقوال القساوسة ودفع أكاذيبهم، فلماذا
امتنعوا عن إعتناق الإسلام؟

الجواب: إنّ العادات السيئة وأصول التربية المنحرفة والتقاليد البالية كانت
ومنذ القدم سبباً لحرمان الناس من نيل النجاة والوصول إلى النهايات السعيدة
والسبب هو صعوبة التخلص من عادات الآباء والأمّهات والبيئة المركوزة في
أعماق النفس المسيطرة على شخصية الإنسان والتي قد تتحكم فيه فأنّ الإنشداد
إلى الخرافات موجباً لشقاء الإنسان وحرمانه من الخير والنور وهذا الإنشداد
على غرار تعلّق الرضيع بثدي أمّه حتّى مع بلوغه السنتين رغم أكله لأنواع
الأطعمة إلّا أنّه يرغب في الإرتضاع والعودة إلى اللبن على الرغم من استذواقه
للطعام فإنشداد الإنسان إلى عاداته وتقاليده على هذا الفرار، فهو أنس في
اللاشعور، وتعلّق من غير إختيار تماماً كعمل الإنسان في بعض الأعمال الرذيلة
كحمل القاذورات وتنظيف الآبار العفنة المليئة بالأوساخ والحشرات الضارة، فأنّا

مهما حاولنا أن نصدّ هذا العامل عن ممارسة عمله هذا فإنه يأبى إلا الاستمرار وحتى لو قدمنا له الأدلة العلمية بل الأدلة الحسية على خطورة عمله واستقذار الناس له فإنه يبقى في مهنته ولديه أنس بما يقوم به وإنشداد لا نظير له.

فأصحاب العادات السيئة والتقاليد المنحرفة والتربية الخاطئة حالهم حال الطفل في الإنشداد ومثالهم مثال حامل القاذورات في الأنس كما قال ربنا: ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ وهذا ما دعى إلى عناد بعض الأمم ومحاربتهم للأنبياء وعدم قبولهم الأديان السماوية لا سيما إذا اقترن هذا التعلق بالعادات مع التعصب والعناد واللجاج.

فعدم إسلام هؤلاء العلماء هو عدم قدرتهم للتخلص من عاداتهم التي كبروا عليها في البيت والمدرسة والكنيسة وفي مواقع أخرى حيث كانوا يسمعون من آبائهم وأمهاتهم وقساوستهم ومعلميهم كل ما هو سيء عن الإسلام وعن القرآن وكل ما يقدح بشخصية النبي محمد ﷺ فكانت التهم والأكاذيب قد تحوّلت في أذهانهم إلى قناعات وحقائق شابوا عليها وكبروا وهم مازالوا يسمعونها فلما أصبحوا علماء وعرفوا الحقيقة أيقنت عقولهم بخلاف ما كانوا سمعوا إلا أن نفوسهم تأبى قبول الإسلام بسبب تلك التعلقات القائمة على التربية والبيئة والإنشداد الذي تكلمنا عنه، ومما يؤيد كلامنا الفيلسوف المسيحي الذي مرّ ذكره وهو غوستاف لوبون حيث ذكر في خاتمة الفصل الثاني من كتابه المتقدم:

لعل قُرّاء هذا الكتاب يتساءلون إذا كانت أوربا متأثرة إلى هذا الحد

بالإسلام فلماذا لم يعترف علماءهم غير المتعصبين بذلك؟

وأنا شخصياً كنتُ أسأل نفسي هذا السؤال وجوابه واضح وبسيط وهو أن

الحرية الفكرية التي ننعّم بها نحن اليوم لا تُعد أن تكون مجرد مظهر زائف بدليل أننا في بعض المواضع لا نستطيع أن نمارس تمام حريتنا، أن البناء الروحي لنا

على قسمين:

الأول: ما نحصل عليه من المطالعات والدراسة والتأثير الأخلاقي والعقلاني من المحيط.

الثاني: ما حلصنا عليه بقانون الوراثة والتربية وهذا القسم أقوى نشاطاً في أفكارنا وخيالنا.

فهذا البناء المعنوي من القسم الثاني هو المستولي على أكثر الناس فيتصورون العقائد القديمة أنّها جديدة وعليه مدار أفكارهم ورؤاهم حتّى أنّهم مجبورون على تقبّل هذه الرؤى إلّا أنّهم يتصورون أنفسهم أحراراً.

فالحقيقة إنّ المسلمين كانوا في نظر أوربا من ألد الأعداء طيلة تلك الفترة لا سيما أيام فتح القسطنطينية فأنّ السيوف لعبت دوراً في تحقيرنا وطأ طأة رؤوسنا، وتسلبت البعض علينا وبالعكس أيام الحروب الصليبية فبين المسلمين وبيننا نحن وجدت سلسلة من التعصبات أمتدّت زمناً طويلاً توارثتها الأجيال حتّى أصبحت جزءاً من طبيعتنا على غرار العداوة والعصبية بين المسيحيين واليهود إلى درجة أنّنا نزعّم أنّ جميع العلوم والفنون القديمة تفرعت وجاءت من الروم واليونان ولا نرضى بالقول أنّها جاءت على يد المسلمين وهم الذين كانوا وراء تمدن أوربا المتوحشة الجاهلة، فيسعى البعض لكتّم هذه الحقيقة التي لا يمكن الآن إثباتها بسهولة.

فالمدينة الإسلامية تركت أثراً عجبياً في العالم كلّهُ حتّى حيّرت العقول المتنورة، ومؤسس هذه المدينة كان رجلاً عربياً وليست الأقوام المختلفة التي دخلت الإسلام فيما بعد، فالتأثير الأخلاقي للعرب هو الذي أدخل الإسلام إلى قلوب الشعوب الأوربية وأربك السلطة الرومانية ووضعها على الطريقة الصحيحة للبشرية، وهكذا التأثير الذهني والعقلاني للعرب كان وراء فتح أبواب العلوم

والفنون والفلسفة التي لم تكن أوربا تعرف شيئاً عنها حتّى كانوا - العرب - اساتذتنا طيلة ستمائة عام.

فخلاصة الجواب: هو إنّ العادات المورثة والسلوكيات البيئية مستحكمة على السلوك الفردي فهي تمنعه من الرضوخ للحقيقة وقبول البراهين القاطعة وإنّ كان عالماً، وذلك لأنّ شدة أنسه بالمورثات، وتعلّق نفسه بالعادات تمنعان عقله من قبول الحق، ولكن رغم ذلك فإنّ شمس الحقيقة تشرق في قلوب بعضهم من رواء سحب الجهل وظلمة السلوك الموروث المنحرف وقد ذكرتُ شطراً من كلمات هؤلاء العلماء مع أسماء كتبهم ممّن دخل نور الإيمان إلى قلوبهم وعُرفوا بالإنصاف.

خاتمة المترجم

الترجمة تأليف آخر بحد ذاته وهي مهمة شاقة وصعبة إذ يتوجب علينا فهم النص أو الفكرة ثم صياغتها بطريقة نحافظ بها على ما أراده المؤلف، وكنت قد ترجمت كتاباً لهذا المؤلف القدير وهو الفرقة الناجية في مجلدين كبيرين الذي حاز المرتبة الثالثة معادلة بالأولى في أفضل كتاب تُرجم من الفارسية إلى العربية عام ٢٠٠٢م في إيران في المؤتمر العالمي للشيخ الطوسي، وهذا هو الكتاب الثاني الذي وفقني الله تعالى لترجمته لنفس المؤلف رحمه الله.

طُبِعَ هذا الكتاب عام ١٩٤٦م بالفارسية ثم أُعيدت طباعته خمس مرّات في إيران وهو سفر جليل فيه الكثير من النقاط الجديدة والمهمة لا سيما فيما يتصل بعلوم القرآن الكريم ودراساته، ولا أنسى أن أشكر ربّي على ما أولاني من عافية ومدّ في عمري حتّى أتممتُ هذا العمل، وبعد ذلك أهدي كتابي هذا إلى الأرواح الطيبة في الوجود وهم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم وأرجوا النجاة به والشفاعة عندهم والكون معهم في الدنيا والاخرة.

ولا أنسى أن أسجل شكري الجزيل للذي كان وراء ترجمتي للكتاب وهو المجاهد الكبير السيد هاني الموسوي دامت بركاته.

هذا وقد انتهيت من ترجمة الكتاب في كربلاء المقدسة بتاريخ ٢٣ ربيع الأوّل ١٤٢٥هـ تحت أصوات قصف الطائرات والدبابات لقوات الإئتلاف حيثُ تحولت كربلاء المقدّسة إلى مدينة أشباح بعدما خرجت الأهالي من مركزها فذب

الدمارُ في شوارعها، والحرائق في محلاتها، وإنعدام الأمان فيها، وخيَّمَتْ أجواء
الحزن والكآبة على أهلها، وخُلِّيَ صحن الإمام الحسين عليه السلام وصحن العباس عليه السلام
من الزائرين، وكثرت عمليات السلب والنهب، ولكن الحياة لن تتوقف إلى هنا
فالأمل موجود وستشرق الشمس مرة أُخرى تحمل إلينا عبر خيوطها السعادة
والأمل.

الشيخ فاضل الفراتي - كربلاء المقدسة

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

محتويات الكتاب

٦	مقدمة المؤلف
١٣	المقالة الأولى
١٣	قوانين وأحكام الأنبياء
١٣	مناهج للبشرية
٢٠	المقالة الثانية
٢٠	بما أن الإنسان موجود، عاقل فعليه انتخاب أفضل الأديان
٢٢	المقالة الثالثة
	في ولادة موسى ﷺ ونبوته وإنقلاب بني إسرائيل وخراب بيت المقدس
٢٢	وذهاب التوراة
٢٧	المقالة الرابعة
٢٧	إبطال التوراة الحالية بأدلتها
٣٢	المقالة الخامسة
٣٢	إبطال إتهامات التوراة للأنبياء
٣٢	وتنزيه ساحتهم عن الفواحش والمعاصي
٣٨	المقالة السادسة
٣٨	في ذم الخمرة وذكر مساوئها وإبطال إتهامات التوراة حول شرب الأنبياء لها

المقالة السابعة	٤٥
التوراة تتهم الأنبياء بأنهم يعبدون الأصنام، وهارون يصنعُ العجلَ للعبادة!	٤٥
المقالة الثامنة	٥٠
في ولادة وصلب عيسى ﷺ، وغلبة اليهود للنصارى وحرقتهم الإنجيل وإنقطاع سند الإنجيل المتداول اليوم عن الإنجيل الأصلي	٥٠
المقالة التاسعة	٥٤
إقرار علماء النصارى على إنقطاع سند إنجيل متى	٥٤
المقالة العاشرة	٥٦
اختلاف الأقوال في مرقس، وأنه لم يكن من الحواريين قطعاً، وإنجيله مقطوع السند	٥٦
المقالة الحادية عشرة	٥٩
إنّ لوقا لم يكن من تلامذة بولس ولا من الحواريين، وإنّ إنجيله ليس بأنجيل عيسى بن مريم ﷺ	٥٩
المقالة الثانية عشرة	٦١
اختلاف الأقوال في يوحنا، وأنه لم يكن من الحواريين، وإبطال إنجيله ..	٦١
المقالة الثالثة عشرة	٦٤
إبطال الكتب والرسائل ومجهولية الكاتب لدى النصارى	٦٤
المقالة الرابعة عشرة	٦٨
مَن هو بولس؟ وأين ولد ونشأ؟ وكيف تحوّل من اليهودية إلى المسيحية؟	٦٨

٣٨٩	 محتويات الكتاب
٧١	 المقالة الخامسة عشرة
٧١	 فضح لحالات بولس والإشارة الى خيانتة لدين المسيح ﷺ
٧٤	 المقالة السادسة عشرة
٧٤	 العوامل التي تفوق بها بولس ونفذ من خلالها إلى المسيحيين
٧٨	 المقالة السابعة عشرة
٧٨	 إنعدام تاريخ رسائل بولس
٨٠	 المقالة الثامنة عشرة
٨٠	 اختلاف أقوال الأناجيل في أصل ونسب عيسى بن مريم ﷺ
٨٥	 المقالة التاسعة عشرة
٨٥	 مناظرة مع بعض الشباب المسيحيين عن نسب عيسى ﷺ
٩٠	 المقالة العشرون
٩٠	 اختلاف الأناجيل في حياة عيسى ﷺ ومكان توقفه
٩٣	 المقالة الواحدة والعشرون
٩٣	 اختلاف الإنجيلين في حادثة شفاء البنت
٩٥	 المقالة الثانية والعشرون
٩٥	 اختلاف الإنجيلين في شفاء الأعمى
٩٧	 المقالة الثالثة والعشرون
٩٧	 اختلفت الأناجيل كيف أُلقي القبض على المسيح؟
٩٩	 المقالة الرابعة والعشرون
٩٩	 إختلاف الأناجيل في قصة الوشايه والقبض على المسيح ﷺ
١٠١	 المقالة الخامسة والعشرون
١٠١	 إختلاف الاناجيل حول كيفية صلب المسيح ﷺ

١٠٧	المقالة السادسة والعشرون
١٠٧	إختلاف الأناجيل في حوادث ما بعد صلب المسيح ﷺ
١١٠	المقالة السابعة والعشرون
١١٠	ردّ مزاعم القساوسة الذين يدّعون أنّ أصحاب الأناجيل كتبوها بالهام
١١٣	المقالة الثامنة والعشرون
١١٣	كُتَابُ الْإِنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ لَمْ يَكُونُوا رُسُلًا
١١٦	المقالة التاسعة والعشرون
١١٦	ردّ مزاعم القسيسين أنّ لوقا من الرسل الملهمين
١١٩	المقالة الثلاثون
١١٩	إبطال عقيدة الثالوث وأنها من عقائد عبدة الأصنام
١٢٥	المقالة الواحدة والثلاثون
١٢٥	حوار مع أحد المبشرين حول الثالوث وإبطاله بدلائل التوحيد
١٣٠	المقالة الثانية والثلاثون
١٣٠	تتمة الحوار مع المبشر المسيحي حول الصفات الإلهية
١٣٥	المقالة الثالثة والثلاثون
١٣٥	تتمة الحوار: معنى الواحد الحقيقي والتقية
١٣٨	عود على بدء
١٤١	المقالة الرابعة والثلاثون
١٤١	تتمة الحوار: معنى الواحد الحقيقي والاعتباري
١٤٩	المقالة الخامسة والثلاثون
١٤٩	إثبات نجاسة اليهود والنصارى من التوراة والإنجيل

محتويات الكتاب	٣٩١
المقالة السادسة والثلاثون	١٥٥
تتمة أدلة بطلان الإنجيل: العشاء الرباني، وشرب الخمر وتبديل الجنس	١٥٥
المقالة السابعة والثلاثون	١٦١
مذهب النصارى مأخوذ من مذهب عباد الأصنام الهنود والمشركين ..	١٦١
المقالة الثامنة والثلاثون	١٧١
بُعِثَ النَّبِيُّ الْخَاتَمُ ﷺ فِي فِتْرَةٍ كَانَ الْعَالَمُ كُلُّهُ يَغْرُقُ بِالْفُسَادِ	١٧١
المقالة التاسعة والثلاثون	١٧٦
المعجزة دليل على صدق النبوة وإنكار البهائيين لذلك	١٧٦
المقالة الأربعون	١٨١
في سبب إنكار الماديين للمعجزات، والإستدلال على إمكان وقوعها .	١٨١
المقالة الواحدة والأربعون	١٨٧
في وقوع المعجزات والإشارة إلى بعض المصاديق	١٨٧
من أدلة التوحيد: عندما نلقي بنظرنا إلى عالم الموجودات نشاهد فيه ...	١٨٧
المقالة الثانية والأربعون	١٩١
ثبوت المعجزات عند أصحاب الأديان والإشارة إليها في القرآن	١٩١
المقالة الثالثة والأربعون	١٩٥
بعض الآيات القرآنية التي إشارة إلى معاجز النبي محمد ﷺ	١٩٥
المقالة الرابعة والأربعون	١٩٨
الأدلة على تحقق إنشقاق القمر، وردّ عقائد المنكرين	١٩٨
المقالة الخامسة والأربعون	٢٠٦
المعراج الجسماني للنبي ﷺ وردّ آراء المنكرين	٢٠٦

٢١١	المقالة السادسة والأربعون
٢١١	إثبات إمكان المعراج الجسماني ووقوعه وعلته مقابل الماديين
٢١٤	المقالة السابعة والأربعون
٢١٤	القرآن معجزة النبي الخاتم ﷺ
٢١٦	المقالة الثامنة والأربعون
٢١٦	عدم تواتر الكتب السماوية - غير القرآن -
٢١٩	المقالة التاسعة والأربعون
٢١٩	عدم تواتر الإنجيل من زمن عيسى وما بعده
٢٢٠	المقالة الخمسون
٢٢٠	إثبات تواتر القرآن من زمن النبي محمد ﷺ وإلى الآن
٢٢٢	المقالة الواحدة والخمسون
٢٢٢	النبي ﷺ يأمر المسلمين بتدوين القرآن وحفظه
٢٢٤	المقالة الثانية والخمسون
٢٢٤	تأكيد النبي على حفظ وصيانة القرآن، والإشارة إلى قتل القراء في اليمامة وبثر معونة
٢٢٧	المقالة الثالثة والخمسون
٢٢٧	جمع القرآن في عهد النبي الأكرم ﷺ
٢٣٠	المقالة الرابعة والخمسون
٢٣٠	جمع القرآن ثلاثة مرّات وابتعاد المسلمين عن العترة هو سبب لتفرّقهم والإشارة إلى مظلومية الإمام علي عليه السلام
٢٣٥	المقالة الخامسة والخمسون
٢٣٥	الإمام علي عليه السلام أعلم الأمة وباب علم النبي ﷺ، وأنه جمع القرآن بأمر النبي ﷺ

٣٩٣	 محتويات الكتاب
٢٤١	 المقالة السادسة والخمسون
٢٤١	 الفرق بين القرآن الذي جمعه الإمام علي عليه السلام وسائر القرائين
٢٤٤	 المقالة السابعة والخمسون
٢٤٤	 ردُّ أحاديث تحريف القرآن الكريم الموضوعه
٢٤٨	 المقالة الثامنة والخمسون
٢٤٨	 القائلون بتحريف القرآن فرقتان ورد أقوالهم
٢٥١	 المقالة التاسعة والخمسون
٢٥١	 لماذا الخلفاء الثلاثة غيَّروا أحكام القرآن؟
٢٥٨	 المقالة الستون
٢٥٨	 علماء الشيعة وتحريف القرآن
٢٦٠	 المقالة الواحدة والستون
٢٦٠	 السيد المرتضى علم الهدى يُصرِّح بعدم تحريف القرآن
٢٦٢	 المقالة الثانية والستون
٢٦٢	 علماء الشيعة وتحريف القرآن
٢٦٥	 المقالة الثالثة والستون
٢٦٥	 نقل بقية أقوال علماء الشيعة على عدم تحريف القرآن
٢٦٨	 المقالة الرابعة والستون
٢٦٨	 إشارة إلى بعض وضّاع الحديث وتأسيس قاعدة لإبطال الأخبار الموضوعه
٢٧١	 المقالة الخامسة والستون
٢٧١	 الدليل القرآني على عدم تحريف القرآن

٢٧٢	المقالة السادسة والستون
٢٧٢	الأدلة العقلية على أن القرآن المتداول غير محرف
٢٧٥	المقالة السابعة والستون
٢٧٥	بحث في ترتيب السور والآيات القرآنية
٢٧٧	المقالة الثامنة والستون
٢٧٧	ذكر بعض الروايات في تعيين السور واسماء القرآن
٢٧٩	المقالة التاسعة والستون
٢٧٩	تتمة الروايات في أسماء السور وثواب قرائتها
٢٨٤	المقالة السبعون
٢٨٤	ذكر بعض روايات الائمة الأطهار على ترتيب السور القرآنية
٢٨٨	المقالة الواحدة والسبعون
٢٨٨	ثبات المسلمين وإنقيادهم للنبي ﷺ دليل على صدق النبوة والقرآن
٢٩٢	المقالة الثانية والسبعون
٢٩٢	نزول القرآن دفعة واحدة ونزوله تدريجياً
٢٩٤	المقالة الثالثة والسبعون
٢٩٤	الإشارة إلى أسرار نزول القرآن تدريجياً بعد نزوله على قلب النبي دفعة واحدة
٢٩٨	المقالة الرابعة والسبعون
٢٩٨	عربية القرآن إحدى جهات إعجازه
٣٠٢	المقالة الخامسة والسبعون
٣٠٢	فصاحة القرآن وكلام الوليد بن المغيرة مع النبي ﷺ

٣٩٥	 محتويات الكتاب
٣٠٥	 المقالة السادسة والسبعون
٣٠٥	 القرآن الكريم ليس بشعرٍ، وما هو الفرق بينه وبين الشعر؟
٣٠٧	 المقالة السابعة والسبعون
٣٠٧	 التكرارُ القرآني دليل على بلاغته!
٣٠٩	 المقالة الثامنة والسبعون
٣٠٩	 القرآن بفصاحته وبلاغته تحدّي البلغاء؟
٣١١	 المقالة التاسعة والسبعون
٣١١	 لماذا أُختِصَ نبيُّنا ﷺ بمعجزة الكتاب دون غيره من الأنبياء؟
٣١٣	 المقالة الثمانون
٣١٣	 الزنادقة يعترفون بعجزهم أمام القرآن
٣١٥	 المقالة الواحدة والثمانون
٣١٥	 تحدّي القرآن
٣١٨	 المقالة الثانية والثمانون
٣١٨	 إخبار القرآن عن الغيب أحد أدلة صدقه وحقانيته
٣٢٠	 المقالة الثالثة والثمانون
٣٢٠	 إخبار القرآن عن فتح مكة
٣٢١	 المقالة الرابعة والثمانون
٣٢١	 إخبار القرآن عن عودة رسول الله ﷺ إلى وطنه
٣٢٢	 المقالة الخامسة والثمانون
٣٢٢	 سورة الكوثر إخبار غيبي آخر يدلُّ على صدق القرآن
٣٢٦	 المقالة السادسة والثمانون
٣٢٦	 إخبارات القرآن العلميّة

٣٢٨	المقالة السابعة والثمانون
٣٢٨	تطابق القرآن مع اكتشافات الهيئة الجديدة
٣٣٠	المقالة الثامنة والثمانون
٣٣٠	إخبار القرآن عن حركة الأرض
٣٣٢	المقالة التاسعة والثمانون
٣٣٢	تتمة البحث السابق عن حركة الأرض في القرآن
٣٣٤	المقالة التسعون
٣٣٤	للمشمس حركتان وضعية وإنتقالية
٣٣٦	المقالة الواحدة والتسعون
٣٣٦	إخبار القرآن عن ضوء وحرارة الشمس
٣٣٨	المقالة الثانية والتسعون
٣٣٨	إخبار القرآن عن فناء الشمس وعدم دوامها
٣٤٠	المقالة الثالثة والتسعون
٣٤٠	القرآن جامع لكل العلوم والمعارف
٣٤٢	المقالة الرابعة والتسعون
٣٤٢	تتمة المقالة السابقة
٣٤٥	المقالة الخامسة والتسعون
٣٤٥	أهل البيت: أعلم بالقرآن من غيرهم على الإطلاق
٣٥٠	المقالة السادسة والتسعون
٣٥٠	اعتراف علماء السنة بأنّ علياً أفضل الصحابة على الإطلاق
٣٥٤	المقالة السابعة والتسعون
٣٥٤	وجوب الرجوع إلى أهل البيت ﷺ لفهم القرآن الكريم

محتويات الكتاب	٣٩٧
المقالة الثامنة والتسعون	٣٦٠
يجب على الأمة متابعة أهل البيت بالأدلة القرآنية	٣٦٠
المقالة التاسعة والتسعون	٣٦٥
إقرار علماء أوروبا وغيرهم بعظمة القرآن	٣٦٥
المقالة المائة	٣٨١
العادات والتربية الخاطئة منعت من إسلام العلماء الأجانب الذين أقرّوا بعظمة الإسلام والقرآن	٣٨١
خاتمة المترجم	٣٨٥
محتويات الكتاب	٣٨٧

هذا الكتاب

اليوم نقفُ أمام كتابٍ بديع، وأخِ ثالثٍ لكتابي ليالي بيشاور والفرقة الناجية اللذين تصدّت الدار لطبعهما من قبل، وضمّ هذا الكتاب بين دفتيه مائة مقالة ناقش فيها المؤلف التوراة والإنجيل والقرآن الكريم وأثبت تحريفهما سوى القرآن، واحتوى أيضاً على مواضيع علمية جديدة في السيرة والتاريخ وعلوم القرآن، ولعل لا يوجد بعضها في الكتب المتداولة، فهي بحدّ ذاتها تشكّل ثرائاً قرآنياً يغني ويخدم المكتبة الإسلامية.

وهذا الأثر النفيس سطرته أناملُ أحد علماء الإمامية ومفكرينهم ألا وهو (السيد محمد الموسوي الشيرازي الشهير بساطان الواعظين قدس سره).

